الأخلاق البيتية

الأستاذ مظاهري

دار ومكتبة الرسول الأكرم (ص)
دار المحجة البيضاء

الأخلاق البيتية

الأخلاق البيتيّة

الأستاذ مظاهري

ترجمة وتحقيق

لجنة الهدى

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم «ص»

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

حديث مع القرّاء

إن المواضيع التي ستقرؤنها في هذا الكتاب هي بمثابة القسم الأول من سلسلة البحوث التي تفضل بإلقاها آية الله مظاهري ـ دامت إفاضاته ـ وهو أحد أساتذة الأخلاق في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وذلك خلال شهر رمضان المبارك من العام الهجري ١٤٠٩ في مصلّى القدس الكائن في مدينة قم المقدسة، بعد صلاتي الظهر والعصر الجامعتين من كلّ يوم من أيام شهر رمضان الفضيل.

ولقد استقبلت جماهير مدينة قم محاضرات آية الله مظاهري بشكل منقطع النظير، وهو ما تعوّدناه من أهالي مدينة قم الأماجد، حيث امتلأ مصلّى القدس بجموع المستمعين، ناهيك عن أولئك الذين ينصتون إليه من الراديو؛ بالإضافة إلى الأخوة الذين كانوا يتصلّون بالأستاذ هاتفياً ويطلبون منه تكرار مثل هذه البحوث الضرورية والمفيدة.

وبناء على ذلك صممنا ـ بعد كسب الإذن من الأستاذ ـ على ضبط ما هو موجود على أشرطة الكاسيت، وحذفنا ما هو مكرر منه، ثم استخرجنا الأحاديث من مضانّها الأصلية، والآيات من كتاب الله المجيد.

وللتأكد من صحّة عملنا عرضنا ما رتبناه من محاضرات الأستاذ مظاهري على سماحة الشيخ حسين طيبيّان ليصوّبه بعد تنقيحه وتهذيبه وتشذيبه، فأثنى على العمل، ليُقدّم إليكم ـ قراءنا الأعزّاء ـ بالشكل الذي نتمنى أن ينال رضا الله ورضاكم.

وعليه نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لسماحة الشيـخ طيبيّان، راجين من الباري تعالى أن يمنّ عليه بالتوفيق والسداد.

والأمل كلّ الأمل في أن يكون هـذا الكتاب نسخـة شفاء لجميـع الأُسر والعوائل تساهم في استحكام أسس بيت الزوجية، الذي هو أسـاس المجتمع الحيّ، وتنفع العاملين على نشرها وإشاعتها في يوم الجزاء.

نسـأل الله تبارك وتعـالى أن يـوفقنـا من التمكن بسـرعـة، وبنفس هـذه الـطريقة طبـاعـة الجـزء الثـاني من هـذا الكتـاب، والحـاوي على مجمـوعـة محـاضرات الأستـاذ المذكـور، والتي ألقيت عـام (١٤١٠) هجـري في نفس المكـان، ولاقت من الجمهور مـا لاقته سـابقتها؛ لكي نقـدمّها إلى العـوائـل المحترمة المبجّلة.

إن اسم هذا الكتاب وُضع بناء على طلب الأستاذ الباحث، كيما يساهم ـ أينمـا وُجد في أحـد البيوت ـ في حـل المشاكـل الناتجـة من عـدم الالتـزام بالأخلاق الإسلامية بالشكل الذي يرضاه الله ورسوله.

وفي الختام ـ لا ندّعي خلّو عملنـا هذا من العيب أو النقص، لـذا ومن أجل الحظوة بترتيب أفضل لهذه البحوث المفيدة في الطبعات القادمة، نتمنى على القارىء الكريم أن يتحفنا باقتراحاته أو انتقاداته التي سنتقبلها ونعمل بها إن كانت على هذا الطريق.

(النـاشـر)

مـقـدمـة

انسجام الدين مع الفطرة
معنى الفطرة
فطرة التعلّق بالله
العبادة مسألة فطرية
أهميّة العبادة والدعاء
عبادة الزهراء البتول «ع»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرِ خلقه، وأشرف بريّتهِ أبي القاسم محمد صلّى الله عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين سيّما بقيّة الله في الأرضين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

إن البحث الذي سأتطرق إليه في هذا الشهر المبارك بإذن الله تعالى، وبلطفٍ من بقيّة الله «عج» أسميته «الأخلاق البيتية».

وأطلب من الزهراء البتول عليها السلام في هذا الأمر أن تتلطّف ليقع هذا البحث في المكان الذي يكون مورد عناية الجميع، ويكون مفيداً ونافعاً لنا جميعاً، ولو تأتّى لنا البلوغ بهذا البحث إلى أسمى مراتبه لسوف تكون الفائدة عامة، وعندها سيجد الجميع فيه دواءً ناجعاً لهم مما يعانون من مشاكل أخلاقية واجتماعية ونفسية.

البحث يمكن أن يُعدَّ من الناحية الأخلاقيّة قيّماً، ومن الناحية النفسية والاجتماعية مفيداً، وهو في كلّ أحواله نحتاج إليه كما يحتاج إليه جميع من يعيش على سطح هذه الكرة الأرضية.

هذا البحث يحتوي على مقدّمة وفصول متعددة، وفي المقدمة نتعرض إلى ستة مواضيع مقتضبة تدور حول انسجام الفطرة مع الدين، معنى الفطرة، تعلّق الإنسان بخالقه، العبادة مسألة فطرية، أهمية العبادة والدعاء، وعبادة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها؛ وبعد المقدمة سنشرع في فصول البحث إنشاء الله تعالى.

مقدمة

انسجام الدين مع الفطرة

نستفيد مما جاء في القرآن الكريم بأن الدين الإسلامي هو دين الفطرة، أي أنه يتلائم وينسجم مائة بالمائة مع خلقة الإنسان ومصيره، وعمق روحه.

قال الباري تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿فَأَقِمْ وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لِخَلْقِ الله، ذلك الدين القيِّم﴾ (الروم/ ٣٠).

لقد جعل الله تبارك وتعالى الدين الإسلامي ديناً وسطاً، أي لا يوجد فيه إفراط ولا تفريط، وعليه يكون مطابقاً مائة بالمائة للفطرة الإلهية، ولهذا السبب كان هذا الدين قيّماً أو بالأحرى أبدياً قائماً على مرور الدهور والأزمان.

وهذه الآية الشريفة كأنما تريد أن تقول: لأن هذا الدين ديناً وسطاً، ولكونه يتلائم والفطرة، إذن هو باقٍ، وعليه يكون رسول الإسلام خاتم الأنبياء.

معنى الفطرة

الفطرة: هي الخلقة التي يكون عليها كلّ موجود أوَّلَ خلقه؛ أو الطبيعةُ السليمة التي لم تُشَبْ بعيب؛ والفطرة السليمة في اصطلاح الفلاسفة: استعدادٌ لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل.

معلوماتنا تنقسم إلى قسمين: الأول فكري نكتسبه من التعليم نظير ما

يقوله المعلم أثناء الدرس ويكتسبه التلميذ منه، أو مثلما أقوله لكم في هذا الاجتماع المقدس وأنتم تكسبون بعض المعلومات مما أقول.

هذا هو قسم من المعلومات التي يمتلكها الإنسان، وهي التي ترتبط بالعقل البشري؛ أما القسم الآخر من المعلومات التي لا ترتبط بالعقل هي تلك التي حصل عليها مع قيام وجوده في هذه الدنيا، وترتبط بالغرائز والميول، نظير أن يكون جائعاً فيأكل حتى يشبع، وعطشاناً فيشرب الماء حتى يرتوي؛ أي المبادىء والأفكار الموجودة في النفس قبل التجربة.

إن إدراك الجوع والعطش نوع من المعلومات لا يمكن احتسابها ضمن دائرة التعليم والتعلّم، بل نوع من المعلومات التي يبحث عنها الإنسان فيجدها.

أي أن الإنسان ومن خلال هذه الغرائز التي زرعها رب العالمين فيه يتأتّى له إدارك الجوع وإدراك الشبع، وبعبارة أخرى يجد الإنسان الجوع والعطش ثم يجد الشبع والارتواء بعد الأكل والشرب؛ وهذه الغرائز تقسم إلى قسمين.

القسم الأول: غرائز يشترك فيها مع الحيوانات، وقد تكون بعض الغرائز أقوى في الحيوان مما عليه في الإنسان من مثل الأكل والشرب.

القسم الثاني: غرائز تبرز بعد أن تُنبّه لتدخل الإرادة في توجيهها وجهةً خاصة، وهي ما تسمّى بغرائز الفطرة.

فالفطرة هي نوع من أنواع الغرائز تبرز وفق الأفكار الموجودة في العقل البشري، ووفق حدّة التنبيه، على العكس من تلك التي تبرز من حيث لا يشعر الإنسان بها، وبدون إلفات أو تنبيه، بل تبرز من غير إرادة.

فطرة التعلق بالله

من جملة ما جُبِلَ عليه الإنسان من فِطرات، وهُنَّ كِثار، فطرة التعلّق بالله، وفطرة البحث عن الله تبارك وتعالى؛ فالإنسان بطبيعته باحثٌ عن الله في ذاته، ومتعلّق بالله تبارك وتعالى من حيث لا يشعر؛ ولو تأتّى هتك الستر

والحجاب، بالإضافة إلى انعدام الصفات الرذيلة في الإنسان، لوجدنا إنساناً يبحث عن الله تعالى مثلما يبحث الظمآن عن الماء، وهذه المسألة ليست بمسألةِ تعليم ولا تعلم، بل مسألة وجدانية تكمن في أعماق النفس البشرية منذ أن خُلق البشر.

لا يوجد من لم يصل به الأمر إلى حالة من الضيق؛ حيث يصل الإنسان في بعض أوقاته إلى أن يقطع يده عن الجميع ليمدّ يده إلى الله تعالى فقط؛ بعد أن يعتقد أن لا ملجأ من تلك الحالة إلاّ إلى الله جلّت حكمته، وعندها يضحى الإنسان باحثاً عن المنجي الوحيد مثلما يبحث الظامىء عمّا يبلُّ به شفتيه من ماء، وهذه الحالة بيَّنها القرآن المجيد في الآية المباركة التي تقول:

﴿فإذا ركبوا في الفُلكِ دعوا الله مُخلصين لَهُ الدّين، فلمّا نجّاهُم إلى البرِّ إذا هُم يُشرِكون﴾ (العنكبوت/٦٥).

إن هذه الآية الشريفة تبيّن لنا الحالة العصيبة التي يصل فيها الإنسان إلى التوحيد، حين يُرى داعياً الله تعالى مخلصاً بأن ينجّيه مما هو فيه، وعندها يُدرك أن الله سميع، بصير، رؤوف، كريم وقدير، وأنّه القدرة المطلقة، والعلم المطلق، والرأفة المطلقة.

فالبشر إجمالاً يُسمع منادياً ربّه في البلايا والمصائب من حيث لا يشعر فتراه يقول: إلّهي إنك قادرٌ على أن تنجيني مما أنا فيه، إلّهي إنك تعلم حالي، فالطف بي كما فعلت ذلك من قبل، إلّهي أنت الرؤوف، أنت الجواد، أنت... أنت.

على أيّة حال، إن البلايا والمصائب تستجمع جميع الكمالات في الشخص المبتلي، وحينها يمجد الله تعالى. ويسمى حينئذ موحداً؛ وعلى حدّ قول الله تعالى: «مُخلصاً» في دعائه.

إن «١٢٤» ألف نبيّ ورسول وما أُنْزِلَ إليهم من كتب، كان كل ذلك من أجل إحياء هذه الفطرة؛ الفطرة التي تبرز جليّة عند البلايا والرزايا والمصائب، ليصل الإنسان من خلالها إلى المقام أو المكان الذي يُبقيه دائماً

يبحث عن الله، ويبقيه دائماً متعلقاً بالله تبارك وتعالى.

وبعبارة أخرى، إن جميع الأنبياء والرسل، وكلّ هذه المساجد، وما فيها من المنابر، وكلّ هذه العبادات هي من أجل تذكير الإنسان بربّه الذي خلقه فسوّاه في أحسن تقويم؛ وهذا ما أشارت إليه الآية الشريفة التي جاء فيها:

﴿إنّني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني، وأقِم الصلاة لذكري﴾ (طه/١٤).

فهذه الآية المباركة تعني: إذا أضحى المحراب والمنبر مذكّراً للبشر بربّه دائماً، وأضحت الأنبياء والرسل وكتبهم باعثاً على عدم نسيان رب الأرباب، تعلّق البشر بربّه تعلّق العاشق بمعشوقه، وأصبح يراه بعين قلبه، عندها لا تراه يرفع يديه بالدعاء والطلب والحاجة إلاّ إليه سبحانه، وبهذا يصل إلى المقام الذي وعده الله به:

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ (النور/٣٧).

فبلوغ المقام السامي والرفيع لا يبقي على أستارٍ ولا على حجب، فلا التجارة تمنعه عن ذكر الله ولا البيع ولا أي شيءٍ آخر، كونه أصبح يرى الله ويُدرك وجوده، ومن لم يَر الله بعين قلبه، عُدّ كالجائع الذي لا يدرك جوعه وهذا محال؛ إذن، هناك شيء غير طبيعي ألا وهو وجود حجاب أو ستر يحول دون حكومة الله على قلب الفرد، وهذا الحجاب هو اللهو، والتجارة، وحبّ الدنيا، وما إلى ذلك؛ ولكن لو أزيح هذا الحجاب من على ذلك القلب لرأى البشر ربّه، ولعاد إلى فطرته التي فُطِرَ عليها، بل ولأضحى باحثاً عن الله تعالى في كلّ ما يرى أو يسمع.

إن هذه المسائل لا تدلل على أنها مرتبطة بالتعليم أو التعلّم، وليس لها علاقة بالنظم، ولا ببراهين الصديقين، والحدوث، والإمكان، بل إنها مرتبطة فقط بالوجدان.

من المعلوم لدينا ولديكم بأن الإنسان حينما يجدُ ضالّته، أو يجدُ ربّه الذي يبحث عنه في كلّ آثاره، يكون كالإنسان الظامىء المدرك لحالة الظمأ،

والخارج عليها بحالة الارتواء بعد شربه للماء؛ لذا يتصاغر الإنسان مقابل ربّه بعد أن يجده أقرب إليه من حبل الوريد.

العبادة مسألة فطريّة

إن من جملة ما جُبِلَ عليه الإنسان من فطرة هي مسألة العبادة، فصوم شهر رمضان على سبيل المثال ينسجم والفطرة البشرية. لذا ترى قلب الفرد المحبّ لله يحاول التشبه به سبحانه. وإن أسمى مراتب التشبّه بالله هو الصوم، فالذين نراهم يتلذذون بصيام شهر رمضان المبارك ويبكون في أواخر أيامه - كما كان يفعل الإمام علي بن الحسين «ع» - يجدون انسجاماً بين الصيام وفطرتهم، لذا هم يفرحون حينما يأتي شهر الصيام، وينقبضون نفسياً حينما يريد أن يفارقهم إلى العام القادم.

وكذا الأمر بالنسبة للصلاة، فالمصلّي الذي يروم القرب من الحبيب، وقد تمكن مِنْ إزاحة الحجب والأستار بينه وبين الباري تعالى يتلذذ حينما يقوم للصلاة بشكلٍ ليس بعجيب على من أدرك معنى الصلاة، وعلى حدّ قول الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع»: **«الركعتان في جوف الليل أحَبُّ إليَّ من خَيرِ الدنيا وما فيها»**[1].

فالذي لا يبدل خير الدنيا بركعتي صلاة، لا شك من إدراكه لوجود الله تبارك وتعالى، ولا شك في أن فطرته هي التي أمرته بالتصاغر أما الله تعالى في جوف الليل والناس نيام.

ولذا فهو يتلذذ في الصلاة والعبادة، ويستسهل الإنفاق في سبيل الله، ولا يستصعبه، ومن يفعل ذلك فهو لا يمكن أن يعتبر إلّا جامع لجميع صفات الكمال، ولهذا نجده يضحّي بماله وزوجه وولده ونفسه في سبيل الله، ومن أجل الله، مثله كمثل الفراشة التي تحترق أمام الشمعة المشتعلة، وكم هو جميل تعبير القرآن المجيد حين قال:

﴿تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يَدْعونَ رَبَّهُمْ خوفاً وطمعاً، ومِمَّا

---

(١) وسائل الشيعة/ج ٥ ص ٢٧٦.

رزقناهم ينفقون، فلا تعلمُ نفسٌ ما أخفيَ لهم مِنْ قُرَّةِ أعيُنٍ جَزاءً بما كانوا يعملون﴾ (السجدة/١٦، ١٧).

من هم هؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ إنهم الذين تعرّفوا على الله تعالى، إنهم من حكمت صفات الجمال والجلال الإلّهية على قلوبهم، وهم من أزيحت الحجب والأستار عن أعينهم، ليجدوا الله أمامهم، وهذه المسألة لا تتعلق بالمرة بالعلم والتعلّم.

فهؤلاء الأفراد الذين تركوا مضاجعهم، وقاموا إلى الصلاة، صلاة الليل، ينفقون ممّا رزقناهم في سبيل هذا الذي قاموا للصلاة من أجله، إنهم يتلذذون بهذا القيام، وذاك الإنفاق بشكل لا يدركه إلاّ من عمل به لتضحى الصلاة والصيام والإنفاق وما إلى ذلك أموراً عادية، كونها تنبع من كوامن الوجدان، من كوامن الفطرة، ولا يقف الأمر عند مسألة الصلاة والصيام والإنفاق والخمس والزكاة، بل يتعدّاه إلى أبعد من ذلك، إلى الجود بالنفس والمال إذا رأوا أنَّ الأمر يستلزم ذلك، ناهيك عن قيامهم بإعطاء الزكاة أو الخمس أو متابعة أمور الفقراء والمعدمين.

مثلهم في ذلك كمثل الظمآن الذي يسعى وراء الماء أينما كان؛ فالجائع على سبيل المثال يسعى للفوز بلقمة خبز من خلال متابعته لذلك، والمتعلق بالله تعالى بعدما وجده وعرفه يسعى لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخمس وما إلى ذلك، لأنه يجدُ في ذلك لذّته، ويجدُ كذلك أعلى مراتب لذّاته في الطواف حول بيت الله تبارك وتعالى؛ نظير ذلك العاشق الذي يطوف حول سور وبوابة مدينة معشوقه، فتراه حيناً يقبّل السور، وأخرى يُرى مُقَبِّلاً للبوابة، وهذا ما نراه في حالة الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والسعي وراء كلّ ما يؤمِّن كلّ تلك اللذّة المقدسة.

فالعاشق وجد معشوقه، وجده في قلبه الذي طالما بحث عنه، وعندها تمكن المعشوق من إقامة حكومته على ذلك القلب وصاحبه، فالحاكم هو الله تعالى، والمحكوم هو القلب الذي ينبض بالحياة، وما يمكن أن يصدر عن صاحب ذلك القلب من عبادة أضحى فطرياً، ووجدانياً، كون ذلك الفرد رأى

الله بعين قلبه، مثل ذلك الذي يرى الجوع والعطش بحسّهِ وشعوره.

أيها الأحبّة الجالسين، على علمي أنكم ترون الجوع، وترون العطش، ولكن ليس بهذه العين التي قد تخطأ في بعض أحيانها، بل بعين القلب، بعين الغريزة التي لا يمكن أن تعرف الخطأ يوماً ما.

إن بعض البشر يرون بعين الفطرة ذاتاً تجمع كلّ الكمالات، ولذا هم يعشقون تلك الذات؛ ما نوع ذلك العشق؟ عشقٌ لا يرى فيه العاشق من معشوقه غَيرَ الجميل، ولا يشعر منه بغير العشق أبداً، وهذا ما رأينا من زينب بنت علي «ع» حينما أجابت ذلك الأحمق المسمّى «عبيدالله بن زياد» بعد أن قال لها: أرأيت صِنْعَ الله فيكم؟ ـ هذا بعد مقتل الإمام الحسين «ع» في صحراء كربلاء ـ فأجابت: : **«ما رأيت إلاّ جميلاً. ثكلتك أمُّك يابن مرجانة»**(٢).

ألا تفهم؟ ألا ترى؟ إن الذي قدّمنا في سبيل الله تعالى هو الصواب، وما عداه خطأٌ فاضح، ولكنك لن تدرك ذلك أبداً لكثرة الرين والحجب الجاثمة على قلبك، أما نحن فقد وجدنا ربّنا بعد أن تمكّنا من إزاحة الأستار والحجب فأصبح كلُّ شيءٍ بالنسبة لنا أمراً طبيعياً، أمراً فطرياً؛ فالجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الحبّ في الله، البغض في الله، وكل شيء لا نراه إلّا أمراً فطرياً.

فمن وجد ربّه ينبغي له أن يصلّي، ومن أراد أن يتعرّف على إنسانيته يجب عليه أن يصوم ويتشبه بالحيّ الذي لا يموت، كي يتمكن من السير في طريق الكمال، لأن الذي لا يحاول التشبّه بالله تعالى لا يتأتّى له رؤية أول طريق الكمال أبداً.

وخلاصة القول؛ إن جميع عبادات الإسلام لا تتعدى أن تكون أمراً فطرياً، أمراً يُبحثُ عنه في أعماق الضمائر، فإذا ما أردنا أن نجدَ هذا الأمر الفطري، ينبغي أن تُزال الأستار والحجب كي نتمكن من العثور عليه، ومن

---

(٢) اللهوف ص/٩٠.

لم يستطع أن يجد ربّه فليعلم بأنه مريض، ومن رأى منكم تثاقله لإقامة الصلاة فليستدل على مرضه من تلك الحالة.

قد يكون الإنسان في بعض أحيانه جائعاً، لكنه لا يشعر بذلك، بسبب المرض، فتمرّ عليه الأيام دون تناولٍ للطعام، ويُبقى عليه حيًّا بواسطة تزريقه بالسوائل في الدم مباشرة، ويبقى لا يجد رغبةً في الأكل بالشكل الطبيعي، كونه مريضاً، والمريض لا تعمل غرائزه.

وكذا الأمر بالنسبة لغريزة الفطرة، فمن شعر بثقل الإنفاق في سبيل الله تعالى، فليعلم بمرضه، مثله كمثل ذلك الذي لا يطعم الطعام لمدة يومين أو ثلاثة، بالإضافة إلى عدم ميله لأن يطعم شيئاً بعد تلك الأيام الثلاثة، كونه لم يجد الجوع بعد، أما صاحبنا، هذا الذي يستثقل الإنفاق ثم يعثر بعد على غريزته التي أثقلتها الأستار والحجب من مثل أستار حبّ الدنيا، أستار الصفات الرذيلة، وأستار المعاصي والذنوب والآثام التي جبلته لا يدرك الصلاة والصيام وباقي الأغذية الروحية.

ذبح بعضهم خروفاً في زمن رسول الله(ص) وقسّمه على الفقراء والمساكين، وبعد أن سأله الرسول(ص)عما بقيَ منه، أجاب: يا رسول الله بقيت رقبته باستثناء، فناء رقبته، لأن الرقبة لم تعط في سبيله تعالى.

إن الإنفاق في سبيل الله، والطواف حول بيت الله، وبذل النفس على جادة الله، وترويج ما جاء في كتاب الله، وما إلى ذلك لا يحتاج في طبيعته إلى استدلال، ومن أراد الاستدلال على ذلك لا يمكن أن يكون له أساس من حديد، بل من خشب ومن كان أساسه من خشب صعب عليه إدراك تلك المعاني.

فالاستدلال لمن هو مثلي حسن، وهو كذلك لمن كان في دائرة الأعداء، والكل يجب أن يكون لديهم استدلال في أصول دينهم، ولكن يبقى ذلك الاستدلال سهل الكسر (خشبي)؛ أي لا تأثير له على إثارة الفطرة والوجدان.

فقد نشاهد أفراداً يحللون برهان الصدّيقين بشكل جيد، ويتمكنون من إجلاس الحركة الجوهرية، والمعاد الجسماني لملا صدرا على كرسي البحوث، ولكن هل يكون كل ذلك دليلًا على أن عبادتهم أصبحت فطرية؟ كلا، لأن الذي يُريد أن يُثبت ذلك وهو مفطور على فطرة الله السليمة لا يحتاج بالمرّة إلى ألفباء العلم، وإن الكثير من الذين لا يمتلكون ألفباء العلم أقوى من كثير من الفلاسفة، لاستطاعتهم تمزيق الأستار والحجب من خلال ارتباطهم بالله، واكتسابهم نوراً ترك آثاره في قلوبهم، فجعل من الصلاة والصوم، والبذل في سبيل الله، واجتناب المعاصي أمراً طبيعياً بالنسبة لهم، بل أمراً يشعرون من خلاله باللذة العظمى التي لا تماثلها لذّة.

إن اجتناب المعاصي فتح الدرب لهم لكي ينهلوا من النور الإلهي، بعد أن أدركوا بأن تلك المعاصي تؤثر على القلب المفطور على حبّ الله، وتحول دون الالتزام بما أمر الله؛ فالقلب العاصي والمتيّم بالآثام يشبه إلى حدٍّ ما الحديث الموضوع في النار الحامية، والذي اكتسب لون النار ليضحى ناريًّا، أو كالخشب الملتهب والمتأثر بالنار، والذي يصعب على ناظره التمييز بينه وبين النار.

وأما الشخص الذي ابتعد عن المعاصي والآثام فسوف يبقى على ما فطره الله عليه من طهارة وقلب سليم، فهو لا يحتاج إلى علم كثير كيما يُدرك الغاية من وجوده، والغاية من ذهابه، لعدم وجود أستار وحجب تحول دون هذا الفهم، وذلك الإدراك.

أهمية العبادة والدعاء

قال تعالى في محكم كتابه:

﴿**إنَّني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبُدني وأقم الصلاة لذكري**﴾ (طه/١٤).

إنك عبدي، فهل تريد أن تجدني؟ ستجدُني ولكن ليس بهذه العين التي في رأسك، لأن هذه العين، عين الحيوان، ولكنك ستجدني بالعين التي لا يمتلكها الحيوان؛ هل تريد أن تسمع سلامي؟ ستسمعه ولكن ليس بهذه الأذن! لأنها إذنٌ حيوانية؛ بل ستسمعه بتلك التي لا تمتلكها الحيوانات.

هـل تريـد أن تفهم ماذا في الأمـر؟ وهـل تـريـد أن تجـدني؟ وتـراني؟ وتسمع كلامي؟ إذن عليك أن تعبدني، وتُحْكِمْ عـلاقتك معي، هـذا إذا كنت تروم أن تضحى عالماً، أو فيلسوفاً، أو متحدثاً فحلاً فما عليك إلاّ أن تعبـدني وتقم الصلاة بالشكل الذي أريد حتى تصل إلى المقام الذي تريد.

إذن إقـامة الصـلاة بتدبّـر، وإقامتهـا في أوقاتهـا تعجّل في بلوغ المقـام الرفيع، ولذا أرجو أن تهتموا بالصـلاة في هذا الشهـر المبارك، وبـالخصوص صلاة الليل التي تعتبر بمثابة التحدّث إلى الله تبارك وتعالى.

هنيئاً لأولئك الذين يوفقون في هذا الشهر الفضيل للتحـدث إلى الجبّار العظيم، هنيئاً لأولئك الذين يتكلّمون مع الحيّ الذي لا يموت، ويتحـدث هو أيضاً إليهم.

كيف يتحدث المولى تعالى إلى عباده، أو مع مخلوقاته؟.

يتحدث الباري إلى عباده حينما يناديهم من خلال القرآن المجيد : ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾. وعلى حدّ قول الإمام جعفـر بن محمد الصادق «ع»: «أيها الإنسان حينما تقرأ القرآن وترى عبارة يا أيها الـذين آمنوا، أجب وقـل: لبَّيك لبَّيك».

والحق يقـال إن بعض الأفراد يسمعـون كلام الله تعـالى حينمـا يمـرّون بـأعينهم على عبارة «يـا أيها الـذين آمنـوا» ولكن ليس بهـذه الأذن، بـل تلك الأذن الإنسانية، وعندها يجيبون بلسانٍ إنسانيّ بليغ ويقولون: «لبَّيك لبَّيك».

ماذا يعني الدعاء؟ الدعـاء هو الهمس مـع الله تعالى، أو الهمهمـة معه تباركت أسماؤه، أو يقـال إنه التحـدث إليه جلّت صفـاته، ولا بـأس أن يكون الـدعاء خـالٍ من التفكير بخلو أو مليء البـطون، أو سيستجاب الـدعاء أو لا يستجاب؛ لأن التفكير في مثل هذه الأمور يعدّ مسألة فرعيّة لا ينبغي الالتفات إليها؛ وليعلم الداعي بـأن الذي يقـول يا الله أو اللهم يـراه الله ويسمع كـلامه مثلما يراه أي شخص يتحدث إليه ويسمعه، لذا فليكن الـذي يدعـو ربه على يقين بأنه يراه ويسمعه ويردّ عليه ويقول له نعم، نعم.

جاء في القرآن المجيد وبمضامين متعدّدة ما يُشير إلى أن الباري تعالى طلب من البشر أن يدعوه ليستجيب لهم:

﴿ادعوني استجب لكم﴾ (المؤمن/ ٦٠).

أي لا تبخل بالطلب وحاول جاهداً أن تدعو الله تعالى وتتذرع إليه كيما يستجيب لك، وطبيعي أن الإنسان إذا دعا ربّه استجاب له، فإن كان الأمر في صالحه تمّ له ما أراد، وإن لم يكن في صالحه، كان من الأفضل أن لا يُعطى ما يريد.

وهناك معنى أدقّ وأعمق يعرفه أهل القلوب الخاشعة وهو: أن يا عبدي: قل يا رب، وسأجيبك بنعم، ولكن ينبغي لك امتلاك إذن تسمع هذه «النَّعَمْ» «ادعوني استجب لكم» فيا أيها العبد عليك بالتحدث إليّ دائماً، والصلاة هي التحدث مع الله تعالى، وحديث الله مع العبد.

فسورة الحمد، وما يليها من سورة في الصلاة تعني حديث الله تعالى إلى عبده، وما بقي من الصلاة يعني تحدث العبد مع ربّه أو إليه تعالى.

إن أعلى مراتب اللذة هي تلك التي يتحدث فيها العاشق إلى معشوقه، حديث من وجد حبيبه، والتحدث إلى هذا الحبيب الذي ملك قلب ذلك المحبّ، وهذه الحالة هي أسمى درجات اللذة، إنها الصلاة.

عبادة الزهراء فاطمة (سلام الله عليها)

لقد جرّنا الحديث إلى حديث آخر لم أكن أفكر في التعرّض إليه، لكنني أتمنى من الله تعالى أن يكون من الأفضل أن أتطرق إلى ما لم أريد التطرق إليه.

كانت فاطمة ابنة رسول الله (ص) شابّةً، والشباب بشكل عام يحتاجون إلى النوم الذي يُؤَمِّنْ لهم القيام بأعمالهم على أفضل وجه، وبشكل عام ما يحتاجون إلى النوم أكثر من احتياج الشيوخ والشيَبَة إليه.

كانت الزهراء سلام الله عليها متعبةً، ويبدو عليها النصب فهي في

النهار تعمل جُلَّ أعمال المنزل، بالإضافة إلى الاهتمام بالأطفال وما يلزمهم في مجمل حياتهم اليومية.

وفي أحد الأيام، دخل رسول الله(ص) إلى منزلها ليراها تغطّ في نومٍ عميق بينما كانت إحدى يديها على المطحنة «الرحى» والتي استعملتها طوال اليوم، ناهيك عن وجود أحد أولادها إلى جانبها، فجاء إليها ليوقظها ويقول لها: أيها العزيزة، تذوقي مرّ الدنيا من أجل حلاوة الآخرة.

كانت الزهراء البتول «ع» مُتعبة، فالمنزل يريد منها عمل، وتربية الأولاد يلزمها المتابعة والاهتمام، بالإضافة إلى ما يحتاجه الزوج.

لم يكن معها في البداية من يعينها على كلّ ذلك، وبعد أن تمّ لها ذلك، وجاءت خادمتها «فضّة» إلى الدار جاء إليها الرسول الأكرم(ص) ليقول لها بأن هذه الخادمة هي إنسانة مثلها لذا ينبغي عليها أن تتعامل معها بلطف وأن تقتسم معها العمل يومٌ لها، ويوم لفضّة.

وبالرغم من ذلك التقسيم كانت سلام الله عليها تئن من التعب، فالأعمال المنزلية ليست بالمسألة الهيّنة، والتزام تربية الأطفال والاعتناء بهم مسألة صعبة، بالإضافة إلى الاهتمام بحقوق الرجل ـ وسنتحدث عن ذلك في بحثنا القادم إنشاء الله ـ وهي الأخرى مسألة ترافقها مشاكلها الخاصة بها.

وبالرغم من كل تلك المشاغل والمسائل التي تنجزها الزهراء «ع» بشكل مرتّب، فهي تقوم في قلب الليل، في الوقت الذي تهجع فيه الأجساد إلى الراحة، للمناجاة، لذكر الله الذي ما بعده ذكر، فلا تعرف معنًى للنوم، ولا للتعب، بل تقوم، وتقوم، وتقوم حتى تتورم رجليها من كثرة القيام والوقوف عند باب الله الذي لا يردّ سائله.

ولقد نقلت بعض الروايات بأنّ الزهراء سلام الله عليها كانت تقف كثيراً عند عبارة «إياك نعبد وإياك نستعين» مما تسبب في ورم رجليها؛ وهذا ما نقل عن الرسول الكريم(ص) أيضاً.

إنهم كانوا يدعون الله تباركت أسماؤه في هدأة الليل، ويقولون له اللهم

تقبّل منّا، وارضَ عنا، وارحمنا، ولا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنّا، هـذا بعد أن كانوا يدعون للآخرين طويلاً، ثم يدعون لأنفسهم قليلاً.

وفي هذا الصدد نُقِلَ عن الإمام الحسين «ع» أحد سبطي رسول الله (ص) أنـه كان يـرى والدتـه فاطمـة سلام الله عليهـا تـدعـو للجـار بشكـل خـاص، وللمسلمين بشكل عام، فقال لها بأنْ تدعـو له أيضـاً، فتجيبه أن الجـار مقدَّمٌ علينا «**الجارُ ثم الدار**»[3].

* * *

---

(٣) بحار الأنوار/ ج ١٠، ص ٢٥

مـقدمـة ٢

الإسلام ورغبات الإنسان

الحياة من منظار إسلامي

١ ـ الحياة الضرورية
٢ ـ الحياة المرفّهة
٣ ـ الحياة المترفة

الإسلام ورغبات الإنسان

إن شرعة الإسلام الحقّة توجب علينا إرضاء غرائزنا ورغباتنا، وتحرّم الانتحار، وهذا ما تحدثتْ عنه الأخبار والروايات الكثيرة والمتواترة.

فالإنسان لا يحق له بتاتاً قتل رغباته، وسحق غرائزه بعيداً عن إرضائها وإقناعها، وهذا ما صوّبه القرآن المجيد في بعض آياته حيث حبّب للبشر العمل من أجل الحظوة بالآخرة من دون نسيان النصيب الدنيوي الذي يشتمل على إرضاء الغرائز والرغبات والميول.

﴿وابتغِ فيما آتاك اللّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، ولا تَنْسَ نصيبك من الدنيا﴾ (القصص/٧٦).

أيها الإنسان! إن ما لديك من ثروات، وقدرات، وإمكانات عقلية وأمنية أعطيت لك من أجل أن تستفيد منها في كسب الآخرة، أما ينبغي لك أن تكون على حذرٍ من نسيان دنياك التي تعيش فيها الآن.

إنك لا تستطيع أن تحيا لبُعدٍ واحد، وأن الغور في أسبار الدنيا الدنيّة إلى حدّ الانحطاط خطأً فاحش؛ لذا يجب القول بأنك لن تستطيع صرف كل عمرك وعقلك وسلامتك ومالك ١٠٠٪ من أجل الآخرة، ولا أن تصرف ذلك ١٠٠٪ من أجل الدنيا، بل يجب عليك ابتغاء ما آتاك الله للآخرة دون نسيان نصيبك من هذه الدنيا التي تعيش وتحيا فيها.

ففي صدر الإسلام، وكذا في زمان الأئمة من أهل بيت رسول الله(ص) كانت هذه الأفكار المنحرفة تُطرق في بعض الأحيان هنا وهناك؛ أي كان

البعض يعتقد بأنه يجب عليه أن يعمل ليلاً نهاراً من أجل الآخرة، فتراه يترك الدنيا، ويتفكر لرغباته وغرائزه، بل ويحاول قتل تلك الرغبات والغرائز بشتى الوسائل.

وعندما تصل هذه الأفكار المنحرفة إلى سماع الرسول الأكرم(ص) والأئمة الأطهار من أهل بيته الشريف تراهم يردّون بشكل يشوبه الردع والتنديد لأولئك الأفراد ولما يصدر عنهم من أعمال لا تمت بصلة إلى ما جاء به الإسلام العظيم.

نَقَل لنا المرحوم صاحب الوسائل رواية جاء فيها:

جاء إلى رسول الله(ص) ثلاثة نساء لتقول أولاهن: يا رسول الله، لقد عاهد بعلي نفسه بأن لا يعاشر امرأة بعد اليوم؛ وقالت الثانية: يا رسول الله، لقد صمم بعلي على أن لا يطعم لحماً بعد اليوم؛ وقالت الثالثة: يا رسول الله، إن بعلي أخبرني بأنه سوف لن يستعمل عِطراً بعد الآن.

تقول الرواية: بانَ الغضبُ الشديد على رسول الله(ص) لأنه رأى بأنَّ الفكر المنحرف بدأ يتفشى بين أفراد المجتمع الإسلامي، وحينها دخل إلى المسجد على غير موعد ـ وتقول الرواية؛ بأن السرعة التي جاء بها الرسول(ص) إلى المسجد لم تكن طبيعية، حيث كانت عباءته تخط التراب من بعده كونها كانت معلّقة في أحد كتفيه الشريفين ـ وأمر بجمع الناس في ذلك المسجد، فترك القوم أعمالهم ليتوجهوا إلى باحة المسجد! ما الذي حدث؟.

صعد الرسول(ص) المنبر الشريف ليقف على أول سلالمه، وليخبر الناس بأنه سمع ما يمكن أن يعدّ بمثابه شيوع للفكر المنحرف بين أصحابه.

ما هو هذا الفكر المنحرف الذي شاع بين القوم؟ بعد ذلك صرّح الرسول(ص) باستطعامه للّحم، وتناوله للغذاء اللذيذ، وارتداءه للملابس الجيّدة، وتعطرّه بالعطر، ومعاشرته للنساء، ومباشرته لهن.

ثم قال: «فمن رغب عن سنتي فليس منّي»(٤).

---

(٤) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٧٤.

وقال أيضاً: «.. أما إنّي أصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن منهاجي وسنّتي فليس منّي»(٥).

لقد تطرّق الرسول الأكرم(ص) إلى ردّ الأفكار المنحرفة في أكثر من «١٠» موارد، وقد نقل لنا المرحوم فيض في كتاب «الصافي» روايةً تدلّ على أن مثل هذه المسألة قد تكررت في زمن رسول الله (ص)، وكان الرسول(ص) في كل مرَّة يردّ على تلك الأفكار المنحرفة، بل وينزّل الله فيها آيات تنذر بالعذاب الأليم.

والجدير بالذكر أنه كلّما نزلت آية قرآنية تتطرق إلى عدم الانشغال بالدنيا وزخارفها، خاف نفرٌ منِ المسلمين، وقبضوا أيديهم عن كل ما يمتّ بصلةٍ للحياة الدنيا، بل واستداروا ١٨٠ درجة إلى جهة أخرى.

نقل لنا المرحوم فيض في كتابه الموسوم «الصافي» رواية جاء فيها: أن امرأة جاءت إلى عائشة في مسألة خاصة ـ وكانت ذات بعل ـ فسألتها عائشة: هل مات بعلك (لعدم تزيّنها بزينة المتزوجات) فأجابت: كلا، ولكنّه ذهب مع اثنين من أصحابه إلى الصحراء للتهجد والتعبد بعد نزول إحدى الآيات التي تتحدث عن عذاب الآخرة، لذلك صمم أن لا يعاشرني بعد نزول تلك الآية، وأن صاحبه الأول قرر أن لا يطعم طعاماً لذيذاً، والثاني صمم على ترك معاشرة الناس.

أخبرت عائشة رسول الله (ص) بالأمر، فغضب رسول الله (ص) غضباً شديداً ودخل إلى المسجد على غير موعد حتى أنّه من عجالته، كان طرف عباءته يجثو التراب خلفه، فأمر الناس بالاجتماع إليه، وما إن اجتمعوا حتى وقف على أول سلالم منبره ليخبرهم بأنه سمع ما يسيء إلى سمعة الإسلام العزيز وأن البعض قد تركوا نساءهم، ومعاشرة الناس، واستطعام اللذيذ من الطعام وذهبوا إلى الصحاري والجبال للتعبد. بعدها قال: «فمن رغب عن سنتي فليس منّي».

---

(٥) الكافي/ ج ٢، ص ٨٥.

هكذا كان نهج وطريقة الرسول الأكرم(ص)، وكذا كانت طريقة ونهج الأئمة الأطهار من أهل بيته المبارك.

إن التاريخ الإسلامي يخبرنا كثيراً عن زهد أمير المؤمنين «ع»، وهذا ما يعرفه العدو والصديق عنه، ولكنه كان ملتزماً بالزهد الذي حبّبه الإسلام إلى نفوس العالمين، لا الزهد الذي يمجّه.

عندما دخل أمير المؤمنين عليّ «ع» للمرة الأولى إلى الكوفة، ورد مسجدها ليرى عدّة من الرجال مشغولين بالتعبّد والصلاة ـ وكان الوقت على ما يبدو ضحى ـ فسأل عنهم؟ ـ كونهم انشغلوا بالتبتل على غير وقته ـ فقيل له: إنهم رجال الحق؟ إنهم رجال تركوا الدنيا وراء ظهورهم، واتخذوا من المسجد محلاً لعبادتهم، فإن أصابهم شيء من الطعام تناولوه، وإلاّ فهم صابرون.

غضب الإمام عليّ «ع»، وبان عليه الغضب ـ وبناءً على ما جاء في «أسد الغابة» ـ حمل الإمام عليّ «ع» سوطاً عليهم، وقال: إن عملكم هذا ليس من الإسلام في شيء، إنها البِدعة، وإن مثلكم كمثل الكلب إن أعطي ما يطعمه، وإلاّ صبر؛ وخلاصة القول: طردهم أمير المؤمنين «ع» من المسجد خوفاً من شيوع البِدع في شرعة الله الحقّة.

تعرّض الجزء الثاني عشر من وسائل الشيعة إلى الكثير من الروايات التي تمتدح العمل وتذم الركون إلى الراحة والدِعة، وقد وردت تلك الروايات عن أئمة أهل البيت النبويّ الشريف تواتراً.

دخل أمير المؤمنين عليّ «ع» إلى أحد بيوتات أشراف البصرة واعترض على ذلك الرجل لما رأى منه ترفاً وإسرافاً، ومن أجل الفرار من الجواب قال ذلك الرجل: يا أمير المؤمنين لي أخ انزوى قبل مدّة في داره بعد أن فضَّلَ الزهد والابتعاد عن الناس، فترك الدنيا وزينتها، واهتم بالعبادة وحلاوتها.

وهنا ترك أمير المؤمنين الإصرار على اكتساب جواب إسراف ذلك الرجل، وبدأ بالتفكير بأخيه الذي انحرف عن الصواب وانزوى في داره، لأنه

رأى أن الاهتمام بالثاني أوجب من متابعة الأول.

وبناءً على ذلك طلب أمير المؤمنين «ع» من الرجل استدعاء أخيه، ولما حضر سأله عما هو فيه من وضع، وسأله عن سبب تركه للدنيا؟.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنني أتأسى بك! فقال الإمام عليّ «ع» ما مضمونه أن خليفة المسلمين ينبغي له أن يعيش معيشة أضعفهم، أما أنت فلك الحدّ الوسط.

جاء أحدهم إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق «ع»، فسأله الإمام «ع» عن أحواله فأجاب: يا بن رسول الله(ص)، بلغت من العمر آخره، فتركت العمل وشرعت بالتبتل إلى الله في إحدى زوايا المسجد.

قالها الرجل وكان يظنّ أن الإمام «ع» سيثني عليه، وسيبارك له عمله ذاك؛ لكن الذي حدث غير ذلك، فقد ردّد الإمام الصادق «ع» عبارة «هذا من عمل الشيطان» ثلاث مرّات، وعندئذ أسقط في يده ليقول: ماذا افعل إذن يا بن رسول الله.

وقتها نصحه الإمام «ع» بالعمل ما دام حيًّا، فإن لم يكن محتاجاً فعليه أن يعين زوجه، أو ابنه، أو جاره أو من يستطيع أن يحميهم من الفقر والفاقة، بدون أن تُفدى الآخرة في سبيل الدنيا الدنيّة، وبدون أن يُهتم بالعمل أثناء أوقات الصلاة، .أو أوقات العبادة بشكل إجمالي؛ ففي وقت العبادة ينبغي للإنسان أن يعبد، ووقت العمل ينبغي له أن يعمل.

يحضرني أن أتعرض إلى جملةٍ هنا قيلت بحقّ أمير المؤمنين عليّ «ع» يمكن أن تكمل موضوعنا هذا الذي بدأناه، ويمكن أن يستفيد منها الشباب في مجمل حياتهم وهي: «كان أسداً في النهار، وراهباً في الليل» أي أنه كان في الليل كأحد العبّاد الملتزمين بالعبادة، أما في النهار فقد استطاع الإمام عليّ «ع» وعلى مدى «٢٥» سنة من عمره الشريف أن يقدّم للمجتمع الإسلامي ذاك «٢٦» بستاناً ومزرعةً يستفيد منها الضعفاء والفقراء والمساكين المعوزين.

وعليه نقول: لا يجدر بالشباب أن ينتحروا، أو يقتلوا غرائزهم كبتاً، أو ينزووا عن المجتمع الذي يعيشون فيه، لأن قتل الغرائز والميول ومحاربتها ليس من النهج الإسلامي في شيء، وإن نهج الإسلام هو: إرضاء الغرائز، وهكذا قال العلم أيضاً بعد أن أكّد على سموّ القانون الإسلامي الذي يصلح لكل زمان ومكان.

إن جميع علماء النفس قالوا، وجميعكم تعلمون بذلك وهو ما أثبتته التجاربُ بأنَّ الأفراد المنزوين، والتاركين للدنيا، كأن يكون شابًّا يستطيع الزواج ولا يتزوج فتاةً تتمكن من قبول المتقدم إليها ولا تفعل ذلك فإنّ رغباتهم وميولهم تتحوّل من ضمير الشعور إلى ضمير اللاشعور لتتبدل بعقدة نفسية، وإن حصل ذلك، واتفق أن يكون ذلك المعقّد أو تلك المعقدة على رأس سلطة، أو مسؤولية، أو قدرة، لأضحى ذلك الرجل أو تلك البنت كالكلب المسعور الذي ينهش كل شيء يصبح أمام عينيه.

وإذا لم يتمكنوا من بلوغ المناصب والمقامات، كانوا أشبه باليائسين والبائسين والمنكسرين روحياً مما يجعلهم غير قادرين على إنجاز أتفه الأعمال وأقلّها عناءً وتعباً، ويمكن القول إنهم أقرب للموتى منهم إلى الأحياء، لذا تراهم ملفوظين ومطرودين من قبل مجتمعاتهم.

وبناء على ما تقدم نفهم أن مثل هؤلاء الأفراد لا يتأتّى لهم أن يتحملوا الحياة الزوجية أو يستطيعوا تربية الأولاد الذين ينبغي أن يُقدموا إلى المجتمع الإسلامي بدون عُقد نفسية، فإن كان المعقد يحمل نفسه على الزواج في بعض أحيانه إنما يحاول صنع مشكلة معقدةٍ له علامة على عقدته التي يحملها في خفايا نفسه، وإن فضّل الدعة والراحة في أحيانه الأخرى إنما يكون ذلك إكراهاً له على تلك الدعة والراحة وإلاّ فهو كالكلب العقور إن تمكن مادياً أو معنوياً.

إن القرآن المجيد يتعرض لهكذا أفراد في بعض آياته، ولكنه لا يتعرض إلى عقدهم أو أسمائهم.

فالفرد الذي قتل غريزته، وأصرّ على معصيته مع مرور الأيام، سيضحى

قسيّ القلب، مجرداً من العواطف والمشاعر والأحاسيس الإنسانية، وسيكون مصداقاً للآية المباركة.

﴿إنَّ شرّ الدوابّ عند الله الصُمُّ البكمُ الذين لا يعقلون﴾ (الأنفال/٢٢).

إن الإنسان الذي يمتلك فكراً ولا يستفيد منه أو يستخدمه في التفكير، أضل من الحيوانات وأكثر ضحالة من الكلاب المسعورة، فالذي ماتت فطرته قتل في بعض الأحيان غريزته الدينية، بسبب قتله لغريزته الجنسية قبل ذلك، ولهذا برزت فيه عقدة الحقارة التي ساهمت في قتل فطرته الدينية؛ ومن فعل ذلك دخل ضمن دائرة المشمولين بالآية المباركة.

﴿ولقد ذرأنا لجنّهم كثيراً مِنَ الجنِّ والانس لهم قلوبٌ لا يفقهونَ بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هُمْ أضلُّ، أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف/١٧٨).

فقتل الفطرة الدينية معصية كبرى، وعدم الاهتمام بالغرائز الجنسية، والرغبات النفسية، والميل إلى الغذاء وباقي الغرائز الاجتماعية يُخرج الإنسان من ضمير الشعور إلى ضمير اللاشعور فيصاب الإنسان عندها بعقدة نفسية حادّة لا يمكن الخروج عليها، وإن استطاع الخروج عليها لم يكن ذلك بالأمر الهين عليه.

الحياة من منظار إسلامي

إن الاقتصاد الإسلامي يقسم الحياة إلى ثلاثة أنواع: الحياة الضرورية، الحياة المرفّهة، الحياة المترفة.

١ ـ الحياة الضرورية

وتعني: أن للإنسان كلّ الحق في الانتفاع مما هو موجود على هذه الكرة الأرضية من طعام أو لباس أو سكن بدون أن يكون مسرفاً أو مقتراً، وإذا ما سعى الفرد حثيثاً لتأمين هذه المسائل له ولأفراد عائلته، مَنَّ الله عليه بالثواب والأجر الجزيل.

«الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[٦].

وأمّا المقصر في هذا السعي من أجل أسرته، فلا يعدّ إلّا مخطئاً وعاصياً لما جاء في شرعة الله الحقّة، فالذي يتمكن من العمل والكدّ على عياله، ولا يفعل ذلك يعتبر مُضِراً بحق الناس! وإن أصل هذا الإضرار حرام، لذا يكون ترتيب وضع الأسرة واجب ولازم، ومن لم يستطع ذلك لعلَّةٍ فيه أو مرض، وَجَبَ على الدولة الإسلامية الالتزام بتهيئة الطعام واللباس والمسكن وباقي المسائل الضرورية لهذه الأسرة التي يكون مُعيلها غير قادر على ترتيب أوضاعها بالشكل الطبيعي؛ هذا بالإضافة إلى مشاركة الجميع في هذا الأمر الخيري.

وبصدد هذه القضيّة قال تعالى في محكم كتابه الكريم.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ، ومن قُدِرَ عليه رزقه فلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاه اللَّهُ، لا يكلِّفُ اللَّهُ نفساً إلاَّ ما آتاها﴾ (الطلاق/٧).

وتعني هذه الآية الشريفة، أنه: يجب على كلّ فرد أن يمرّر حياته الضرورية على قدر إمكانيته، فمن تمكن من إدارة أسرة، أسرتين، عشرة أُسَرٍ فلا يبخل بتلك الإدارة (لينفق ذو سعة من سعته)، وأما ذلك الذي لا يتمكن من فعل ذلك فلا بأس عليه من التصرف على قدر إمكانيته.

فمن استطاع توفير لقمةٍ واحدة من طعامه، أو لباس واحد زائدٍ عن حاجته، أو تمكّن من إسكان أحدهم (مستضعف) معه في داره، عُدَّ مساهماً في تهيئة الحياة الضرورية للآخرين، ولهذا يجدر القول: إن هذه الآية الكريمة تُفهمنا بأننا جميعاً مسؤولون.

كلكم تذكرون خطبة رسول الله(ص) في آخر جمعة من شهر شعبان والتي جاء فيها تذكير الجميع بضرورة الإنفاق في سبيل الله، وعندها قام له أحدهم ليقول: وكيف بالذي لا يملك شيئاً؟ فيرد عليه الرسول(ص): **«ولو بشقِّ تمرة»** أو **«ولو بشربة من ماء»**.

---

(٦) وسائل الشيعة/ ج ١٢، ص ٤٣.

إن معنى هـذه الروايـة هو معنى تلك الآيـة المباركـة، فمن استطاع أن يتصـدق بتمرة فليفعـل، ومن تمكن من إنفاق شـربة مـاء فلا يبخـل بهـا على الآخرين، فالذي منحه الباري تعالى إفطاراً يستطيع أن يُؤثر على نفسـه بعض الشيء ليقدمُه إلى الآخرين من الذين لا يمتلكون شيئاً يطعمونه؛ ولا أريد في هذا المجال أن أتعرض لمسألة التضحية والإيثار لأنها مسـألة أخـرى غير التي نبحث فيها.

فبحثنا يدور حول الحياة الضرورية أو متطلبات الحيـاة وضرورة تـوفّرهـا لجميـع البشر، فهي من منـظار إسلامي تعتبـر أمـراً واجبـاً ولازمـاً، ولا معنى لعبـادة ذلك الـذي يتعبّد ويُـذهب بحياتـه الضروريـة أدراج الريـاح، حيث لا يمكن أن يقبل الإسلام حالة بضعة نفرات يجلسون إلى موائـد الطعـام يأكلون ويشربون، ويجلس إلى جانبهم فقيرٌ معـدمٌ عاجـزٌ لا يتمكن من ترتيب وضـع وجبة طعام واحدة.

إن الإسلام وشرعتـه الحقّة، والإنسـانية بصـورة عامـة ترفض أن يعيش هذا البشر بدون أن يكون له ملجأ يأويه من حـرّ الصيف وبرد الشتـاء، ولباس يستره، وطعام يسدّ به جوعته.

٢ ـ الحياة المرفّهة

لقـد عَدّ الإسـلام العظيم الحيـاة المرفّهـة حياةً محمـودة، بـل حتى إن القـرآن الكريم حبّبهـا إلى الناس، وأن الـرسول الأكـرم(ص) ذمَّ أولئك الـذين يحملون في أذهانهم أفكاراً منحرفة تقول بالتنكر لهذه الحياة المرفّهة، من مثل الامتناع عن تناول الغذاء اللذيذ ومـا إلى ذلك.. ومن أجـل ذلك قـال الباري تعالى في محكم كتابه العزيز.

﴿قُـلْ مَنْ حَـرَّم زينـةَ الله التي أخـرجَ لعبـادهِ والـطيبـات من الـرزق﴾ (الأعراف/٣٢).

أيهـا المسلمـون! إن كـل مـا خلق الله تعـالى في هـذه الـدنيـا هـو من أجلكم، فلِمَ لا تستثمـروه؟ ولماذا تحـرّمـون على أنفسكم استـطعـام الغـذاء

اللذيذ؟ أو تمنعون أبناءكم من الزواج أو التمتع باللذات التي أباحها الله تعالى لهم؟.

فالكافر يأكل في هذه الدنيا من أجل عينك، ومن أجل وجودك، فلم هذا التحريم على نفسك، وقد أباح الله لك حلال الدنيا، وجميع ما في الحياة الآخرة.

إن هذه الآية المباركة تخبرنا بأن الحياة المرفّهة ينبغي أن تكون من نصيب جميع أفراد البشر، وأن الإسلام أجاز للرجل ذلك إن استطاع أن يرفّه عن نفسه وعن باقي أفراد أسرته.

إن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ناضج وناجح، هذا إذا طبق بالشكل الذي يكون فيه قانون المواساة أساساً له، ولكن حينما يُنسى قانون المواساة، ويُرفع من البين الاجتماعي يضحى الاقتصاد الإسلامي غير فاعل في المجتمع؛ ولقد أخبرتنا الروايات كثيراً عن تأسف الرسول الأكرم(ص) ولعدة مرات على عدم الالتزام بقانون المواساة.

الجميع يجب أن يحيوا حياةً مرفّهةً، ومن حرَمَ نفسه من ذلك فقد عصى ربّه، بل لم يمارس إلّا عملاً خاطئاً غير صائب، على حدّ قول القرآن المجيد: لا ينبغي فعل ذلك بتاتاً: «قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده» وكذا بالنسبة للرسول الأكرم والأئمة الأطهار فهم الآخرون كانوا قد أوصوا بضرورة التمتع بحياةٍ طيبةٍ سعيدةٍ ومرفهة، وتنكّروا لأولئك الذين يضيرون بحياتهم، ويتلاعبون بمقدرات عوائلهم وأقربائهم وأصحابهم.

نرى في بعض مجتمعاتنا الإسلامية أن السيدة الفلانية ترفض الزواج بعد أن استشهد زوجها منذ مدّة طويلة، ناهيك عن رفضها لخلع الملابس السوداء، هذا بالإضافة إلى غضبها حينما يذكر عنها اسم الزواج!.

ونقول لها: إن غضبها ذاك لا مبرّر له بالمرّة، وأنه خلاف ما جاء به الإسلام العظيم.

إن الشاب الذي يستطيع أن يتزوج ولا يفعل ذلك، والبنت التي تروم

الزواج وترفض الخاطبين متبجحين بأن الوقت لم يحن بعد لا أظنهم صادقين في عواطفهم وفي حديثهم ذاك، ولا بأس عليهم أن يسألوا غرائزهم الجنسية ليأتي الجواب من تلك الغدد التي ترشحت في الدم، وليس من اللسان، وليحاولوا أيضاً توجيه السؤال لنبيِّهم الأكرم محمد بن عبدالله(ص)، ليجيبهم بصراحة.

«النكاحُ سُنَّتي، فَمَنْ رغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي»(٧).

إذن، هذا الحديث يخبرنا بعدم إسلامية ذلك الشاب الذي يستطيع الزواج ولا يتزوج، وعدم إسلامية تلك البنت التي ترغب في الزواج وتتبجَّح بحجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان، حالها حال تلك الأرملة التي تغضب وتثور حينما يُوردُ اسم الزواج عندها.

وهنا ينبغي لنا القول وتوجيه الخطاب للفتيات والفتيان الذين يمتثلون للعقائد المخالفة للإسلام، والمناهضة لشرعة محمد بن عبدالله(ص) وسنّته القائمة إلى يوم القيامة، بأن عليهم أن يتدبّروا كتاب الله العظيم، وسنّة الرسول الأكرم(ص)، وما جاء عن الأئمة الأطهار من آل بيت الرسول(ص)، وأن يسمعوا ويطيعوا للمراجع العظام والعلماء الأعلام، لكي يطمئنوا بأن امتناعهم ذاك خطأ فاحش، ومعصية كبرى، لأنَّه يدخل في دائرة البِدع التي ينبغي للعلماء أن يفنِّدوها من خلال إظهار علمهم للناس، قال رسول الله (ص):

«إذا ظهرت البِدَعُ في أمتي فليظهر العالم عِلمَهُ، فمن لم يفعل فعليهِ لعنَةُ الله»(٨).

٣ ـ الحياة المترفة

وهي إحدى أنواع الحياة التي يرفضها قانون الإسلام ويذمّها بشدة، ويعتبر الممارس لها فاسقاً، وهي الحياة التي تجعل الإنسان يتغيّر في جميع مفاصل مسيرته، أي الحياة المقيّدة للإنسان بشكل ممجوج، نظير الزواج

(٧) بحار الأنوار/ ج١٠٣، ص٢٢٠.

(٨) أصول الكافي/ ج١ باب البدع والرأي والقياس.

الـذي يعمل بـه الفتيات والفتيـان على أيـامنـا هـذه، وأعني الـزواج التـرفي، بالإضافة إلى التقيّد بالسكن الترفي، أو ارتداء اللباس الترفي.

والترف هنا يعني البطر؛ فقد نـرى رجلاً متـزوِّجاً ولا حـاجة لـه بزوجـة أخرى، لكنه يجري وراء النساء بطراً، وتشبهاً، وترفاً، وقد تفعل إحدى النساء ذلـك، حيث تحاول أن تـطلب الطلاق من زوجهـا الذي وفّـر لها كـل شيء، لتتزوج رجلاً متشبهاً بالغرب، أو يعرف كيف يلبس لباس الأجانب بـطراً وترفـاً وتشبهاً في بعض الأحيان، وهذا لا يجرّ على مثل هذه المجتمعـات المترفـة، والبطرة غير الهلاك والتدبير.

قال تعالى في محكم كتابه:

﴿وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القـول فدمَّرناها تدميراً﴾ (الأسراء/١٦).

وقال أيضاً في سورة أخرى:

﴿وأصحاب الشمالِ ما أصحاب الشمـال، في سَمُومٍ وحميم، وظِـلٍ من يحمـوم، لا بـاردٍ ولا كـريم، إنهم كـانـوا قبـل ذلـك متـرفـين﴾ (الواقعة/٤١ ـ ٤٥).

لـذا ينبغي على البشر أن لا يكـون بطراً. تـزوَّجْ ولكن لا تجري وراء كلّ من ترى، وتجمّلْ ولكن لا تعملْ من شعر رأسك مـوديلاً لنسـاء محلتك، إن هذا الشيء مرفوض، ولا يمكن أن يعمل به المسلم العاقل الرزن.

الفصل الأول

الزواج في نظر علماء الأحياء
الزواج من منظار قرآني
الزواج في الروايات
الإسلام وأهميّة الغرائز الجنسية
الاعتدال في تجهيز البنت

الزواج في نظر علماء الأحياء.

إن بحثنا هذا يدور حول الأخلاق البيتية، وبهذا الصدد قدّمنا لهذا الموضوع بشكل مكثف وغير كامل.

أما البحث الذي يشتمل عليه الفصل الأول من البحث العام يرتبط بأهمية الزواج بنظر علماء الأحياء.

إن الغدد المرتبطة بالغريزة الجنسية تترشح في الدم، وحينما يتم هذا الترشح يحصل التغيّر العجيب في جسم وروح الشباب، فتى كان أم فتاة.

وهذا التغيّر يبدو واضحاً جلياً حتى على وجه الشاب مما يلفت أنظار الآخرين إليه؛ وهذه الحالة يسميها الإسلام بـ «البلوغ» حيث يقال للشخص الذي تعتريه حالة التغيّر تلك «بالغ».

إن ترشّح الغدد المرتبطة بالغريزة الجنسية يُكسب الفتى أو الفتاة ميلاً أو رغبة، يمكن أن نطلق عليه اسم الميل الجنسي أو الرغبة الجنسية، وبعبارة أخرى، ما دامت الغريزة الجنسية كالنار تحت الرماد يبدو على الشاب التبختر في مشيته، والتحليق في عالم آخر غير العالم الواقعي، والميل والرغبة إلى أشياء أخرى، ما كان قبل ذلك يميل أو يرغب إليها، وعندها ينبغي أن يحصل الشاب على جواب رغباته وميوله تلك، وإذا ما حِلْنا دون إجابته ستطفو على السطح مشاكل نحن في غنىً عنها لو كنّا قد أجبنا على ميول ذلك الشاب.

إن الرغبة الجنسية ليست كالرغبة إلى الأكل والشرب، وليست نظير غرائز حبّ المال، أو حبّ الرئاسة، أو ما شابه من الغرائز الأخرى، ولو كان حديث فرويد بصدد هذه المسألة صائباً لكانت كل الغرائز ترجع في أساسها

إلى هذه الغريزة، ولكنّ حديث فرويد ذاك ليس صحيحاً، ويبقى أن نعلم بأن الغريزة الجنسية ليست كغريزة الرغبة إلى الخبز والماء.

إن العشق، والذوق، والشعر كلّه، وكلّ ما يشبهه ينبع من تلك الغريزة، إنكم لم تسمعوا بذلك الذي قال شعراً في الخبز؟ أو قصيدة شعرية تغزلاً بالماء، وعلى علمي أنكم لم تسمعوا بأحدٍ عشق الخبز أو الماء، ولكن العشق المرتبط بالغريزة الجنسية موفور، عشق الإنسان لإنسانٍ آخر، وهذا يقيناً يرجع في أساسه، ويستمدّ ما لديه من منبع الغريزة الجنسية.

وهنا لا بد من تحذير الشباب بشكل إجمالي من خطورة المحبة المفرطة بين فتيين أو فتاتين، لأن ذلك يؤدي إلى حالات مَرَضِيَّة خطيرة.

وقد يقول البعض، إن ذلك غير معقول، كونه يُحبّ رفيقه أو صديقه أكثر من أصدقائه الآخرين، وأن ذلك لا يرجع في الأساس إلى الغريزة الجنسية، وأنه لن يحصل ما لا تحمد عقباه؛ ونقول له: كذبت؛ لأن محبة أحد بني البشر لا تنفلت أبداً ولو بنسبة واحد بالمليون من دائرة الغريزة الجنسية، هذا إذا كان الحبُّ المتبادل بين الشباب حبًّا مفرطاً وإفراطياً، أو ما يطلق عليه بالعشق، والعشق يرتبط بالغريزة الجنسية.

أما العشق السليم فهو ذاك المرتبط بالله تبارك وتعالى، أجل يمكن أن يعشق أحدهم الإمام الحسين «ع»، ويعشق ولي العصر الإمام المنتظر «ع»، ويعشق ظهوره، فلا غرابة في الأمر لأن ذلك العشق يرتبط بالله العليّ العظيم، ولو لم يكن هؤلاء الذين ذكرنا يعشقون الله لما عشقناهم.

أما الأفراد الذين لا يعرفون معنى الفضيلة، ولا يرتبطون بالله ارتباطاً وثيقاً يكون عشقهم خطراً، وخطراً جداً.

أريد أن أقول: إن الذي يقول شعراً في معشوقه بعد أن تعلق قلبه بالآخرين يستقي عشقه ذاك من تلك الغريزة الجنسية، أما الذي عشق الماء، أو عشِق الخبز وقال فيهما شعراً، لا يمكن أن يُعدّ جائعاً إلى هذه الدرجة، ولكنّ ذوقه تألّق ليساعده على قول الشعر في الخبز، وكذا الأمر بالنسبة للذي

يقول شعراً في الماء إذ لا يمكن أن نتصور ذلك الشاعر ظمآناً إلى درجة كبيرة بحيث حرّك عطشه قريحته الشعرية؛ فالأمر ليس هكذا أبداً.

من هنا نفهم بأن الغريزة الجنسية ـ بالرغم من عدم صحة نظرية فرويد ـ يجب أن يكون لها حساب خاص، لذا ينبغي لجميع الشباب، الآباء، الأمهات، وجميع أفراد المجتمع أن يحسبوا لهذه الغريزة حساباً منفصلاً عن بقية القضايا التي تمس المجتمع بشكل عام.

الزواج من منظار قرآني

إن الآية الشريفة: **﴿لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾** ترتبط بالحياة الضرورية للبشر أجمع، وترتبط أيضاً بالزوج أو الزوجة، ولهذا كانت المرأة للرجل، وكان الرجل للمرأة أمراً ضرورياً، وطبيعياً، مثلما يكون الأمر طبيعياً أيضاً حين يحتاج الإنسان خبزاً وماءً، فإذا لم يستطع تهيئته وجب على الآخرين أن يهيئوا ذلك الخبز وهذا الماء.

وكما ذكرنا أن للغريزة الجنسية حساباً منفصلاً عن باقي الغرائز حيث نرى القرآن قد فتح حساباً خاصاً بهذه الغريزية، وهذا ما علمناه من ذكره للآية المباركة التي تقول.

﴿وانكحوا الأيامى مِنكم والصالحينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإمائِكُم إنْ يكونوا فُقراءَ يغنيهِمُ الله من فضلِه والله واسِعٌ عليم﴾ (النور/٣٢).

أيها المجتمع! عليك بتزويج أبناءك، ابتداءً من الأب والأم، فإن لم يستطيعا عمل شيءٍ في هذا المجال وجب على الحكومة الإسلامية تبنّي هذا الأمر، فإن لم تستطع هي الأخرى من تأسيس مؤسسة تقوم بهذه المهمة، وجب الأمر على جميع أفراد المجتمع.

إن القرآن المجيد يأمر المجتمع الإسلامي بتزويج العزاب من الفتيان والفتيات، ثم يقول ذلك المجتمع بعدم التخوّف من المستقبل الآتي، لأن الله كافِلُ هذا الأمر، إذا توكلتم على الله مخلصين.

إن هـذه الآية: «وانكحـوا الأيامى . . » يمكن اعتبـارها خـاصة بمسـألـة الغـريزة الجنسيـة، أما الآيـة المباركـة: «لينفق ذو سعة . . » فيمكن اعتبـارهـا عامة، أو بالأحرى شاملة لجميع الغرائز، وعامة في تحـريضها للمجتمـع على ملىء فـراغ الفقر الفـردي والاجتماعي، وتـأمين احتيـاجـات الفقـراء من قبـل الأغنيـاء، الأمر ووضـوحه حينمـا يأمـر المولى تعـالى من خلال كتـابه العـزيز بتزويج الأيامى والصالحين من عبادكم وإمائكم.

الزواج في الروايات

إن للمرحوم صاحب الوسـائل حق كبيـر على الجميع، وخصـوصاً على مراجع التقليد، وقد نقل لنا هذا المرحوم في كتابـه الموسـوم بوسـائل الشيعـة «٦» روايات تتعرض للثـواب الجزيـل الذي يمكن أن ينـاله الفـرد إذا ما زوج فتى أو فتـاة؛ بحيث يفهم من تلك الـروايـات أن لا فضيلة أسمى من تِلكَ الفضيلة.

نقل عن الأمام الهمام موسى بن جعفر الكاظم «ع» أنه قال:

«ثلاثة يستظلون بظلّ عـرش الله يوم لا ظِـلّ إلاّ ظلّه: رجل زوّج أخـاه المسلم، أو أخدمه، أو كتم له سِرًّا»[٩].

وقال أمير المؤمنين عليّ «ع»:

«أفضـل الشفـاعـات أن يشفـع بين اثنين في نكـاح حتّى يجمـع شملهما»[١٠].

إن نظير هاتين الروايتين موجودٌ في هـذا الباب، وفي أبـواب أخرى من كتاب وسائل الشيعة، وكتاب بحار الأنوار ولا بأس أن نـذكر هنـا رواية أخـرى نُقلت عن الإمام جعفر بن محمد الصادق «ع» لتعمّ الفائدة على ما أظنّ:

«إن ركعتين يصلّيهما رجل متزوّج، أفضل من رجـل يقوم ليله ويصـوم نهاره أعزب»[١١].

---

(٩) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٢٧.

(١٠) بحار الأنوار/ ج ١٣، ص ٢٢٢.

(١١) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٢١٧.

أما بالنسبة للرواية التي نُقلت لنا عن لسان النبيّ محمّد(ص) والأئمة والأطهار من أهل بيته والتي يمكن اعتبارها أهم رواية قيلت بحق التزويج فهي:

قال رسول الله(ص):

«ما بُني بِنَاءٌ في الإسلامِ أحبَّ إلى الله عزّ وجلّ من التزويج»[١٢].

إن ما تعنيه هذه الرواية هو شيء خاص حيث يراد القول: أيها السيد! إذا تمكنت من تزويج فتى وفتاة لتعمر بيتاً في مجتمعك الإسلامي تكون قد حصلت على ثوابٍ أكثر مما لو تكون قد بنيت مسجداً، أو مدرسة يتعلم فيها الصبيان.

ومثل هذه الروايات كثير وكثير أقلها في الأجر تلك التي تقول ما مضمونه إن الرجل المتزوج، أو المرأة المتزوجة إذا صليا صلاة الصبح كتب لكلٍ منهما ثواب «١٤٠» ركعة في سجل أعمالهما، وبذلك تكون عبادتهما «٧٠» ضعفاً وهذه أقل فضيلة للزواج.

على العكس من ذلك الشاب الذي يستطيع الزواج ولا يتزوج، وتلك البنت التي كثر خطّابها وترفض الزواج فقد جاء فيها عن الرسول الأكرم(ص) وفي ذلك الشاب العازب:

«.. شراركم عزّابكم، وأرذال موتاكم عزّابُكم»[١٣].

أي أن الرجل الذي يموت ولم يتزوج، أو أن المرأة تموت وهي عازبة يُعدّان من أرذال الموتى وشرارهم.

وإلى هنا امتنع عن استعراض مثل هذه الروايات، كونها تُدخل اليأس بعض الشيء على الأخوة العزّاب، لذا أنصح الأخوة الذين يرومون معلومات أكثر عن مثل هذه المسائل بمراجعة الجزء الرابع عشر من وسائل الشيعة ليجدوا فيه ما يرومون.

---

(١٢) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٣.

(١٣) كنز العمال/ خ ٤٤٤٤٩.

من كل هذه المواضيع ندرك نقطةً مهمةً ألا وهي ـ وكما تعلمـون ذلك ـ أن الإسـلام ليس فيه إفـراط ولا تفريط، إنـه دين وسط يراعي جميـع الحدود والأحكـام الوسـطية، وأن جميـع الأحكام الإلهيـة تراعي مصـالح المسلمين، وتبتعد بهم عن المفاسد التي قد يتعـرضون إليهـا، ومثال على ذلـك: لو اتفق أن يـأمر الإمـام الصادق «ع» أمـراً فسيكون ذلـك الأمر فيـه المصلحـة التـامـة الملزمة، ولو نهى الإمام الباقر «ع» عن مفسدة فسيكـون أيضاً ذلـك النهي في مصلحة ومنفعة المسلمين؛ وهذه القضية أو الحالة تعدّ من العقائـد الإسلاميـة التي ينبغي لنا أن نلتزم بها وندركها بشكلها السليم.

الإسلام وأهمية الغريزة الجنسية

من خـلال ما تقـدم من الآيات والـروايات نفهم بـأن الغريـزة الجنسيـة تختلف كثيراً عن باقي الغـرائز، فعنـدما تـطغى هذه الغـرائز، أو تُثـار شعلتها وتؤجج تبدو المسكنة والذلة على حاملها.

أما الغريزة الجنسية فهي شكل آخر، وهي لـوحدهـا مقابـل جميع تلك الغرائز، وهي التي جعلت يوسف يفرّ من زليخا ـ بالرغم من مقامـه الشامـخ ـ كيلا تتمكّن منه.

وعلى حدّ قول القرآن الكريم.

﴿ولقد همّت به، وهَمَّ بها، لولا أنْ رأى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف/٢٤).

أي لـو لم تكن العصمة مـوجودة في يـوسف، ولـو لم تكن تلك الإرادة القوية في كوامن نفسه، لمال إلى تلك المرأة.

إن نبيّ الله يوسف عليه السلام ـ بالرغم من إرادته القوية تلك ـ قال بعد أن رأى نفسه وسط تلك النساء المغرمات بـه واللائي قـطّعن أيديهن من شـدّة تولههن به.

﴿وإلّا تصـرِفْ عَنِّي كيْـدَهُنَّ أصبُ إليهِـنَّ، وأكُنْ مـن الجـاهـلين﴾ (يوسف/٣٣).

ومعنى الجهل هنا هو: غلبة الغريزة على العقـل؛ وهذه الآيـة المباركـة

المنقولة عن لسان يوسف «ع»: اللهم، إنك أنت الذي أعنتني بلطفك وعنايتك وجعلتني أتمكن من التغلب على هذه الغريزة الجنسية.

إن هاتين الآيتين المرتبطتين بما جرى ليوسف «ع»، تفهمنا بأن الغريزة الجنسية لها حساب غير حساب باقي الغرائز، وأن الإسلام فتح لها حساباً خاصاً بها، وباقي الغرائز في حساب آخر، وأن هذا الحساب الخاص يرتبط بمسألة مهمةٍ وحساسةٍ ألا وهي مسألة دفع خطر هذه الغريزة بعيداً عن التنكر لها أو رفعها بشكل كليّ، وأن هذا الدفع جاء من أجل أن لا تثور هذه الشهوة فتدمر الأخضر واليابس، لذا حث الإسلام العظيم على عدم مدّ النظر صوب ما حرّم الله، وكما تعلمون أن النظر إلى الأجنبية بشهوة يهيج الغريزة الجنسية ويؤدي بصاحبها إلى حيث لا تحمد عقباه.

لذا حرّم الإسلام النظر بشهوة إلى ما حرّم الله النظر إليه، كون ذلك النظر يتفاقم شيئاً فشيئاً فيضحى عشقاً أسوأ من السرطان الساري.

وحرّم الإسلام أيضاً على المرأة أشياءً تدخل في تهيج شهوة الرجل، وتذهب بعقله ولبّه وهي: التحدث بغنج، أو المشي بدلال، أو ارتداء الملابس المبتذلة الخليعة، أو محاولة إطالة الأحاديث مع الرجال، والنظر في صميم عيونهم، وما إلى ذلك من الأعمال التي تدخل في إثارة غريزة الرجل الجنسية.

أيتها السيدة المسلمة! إن القرآن الكريم يحرّم عليكِ التحدث إلى الرجال إلّا إذا كانت هناك ضرورة تستوجب ذلك، وإذا ما ذهبت إلى إحدى المحلات التجارية لا ينبغي لك أن تبتسمي بوجه البائع أو التاجر من أجل تخفيض الثمن، ولا يجدر بك وأنت المسلمة أن تُطيلي في الكلام مع هذا وذاك، واعلمي بأن هناك من يتصيّد في الماء العكر، ممن كان قلبه مريضاً.

أيتها السيدة الخيّرة! حاولي أن لا ترتدي إلا الإزار الأسود، وابتعدي عن لبس الإزار الملوّن الذي يجلب الأنظار إليك، ولا تنتعلي الأحذية المثيرة، واحذري أن تكون طريقة مشيتك جاذبةً لقلوب الآخرين، فلو كان

إزارك مثيراً عُدّ ذلك من الظلم، وظلم كبير لأنه حرّك الشهوات الخامدة، ولو أثير شابٌ بسبب طريقة مشيك، أو بسبب لون حذاءك البرّاق كان عليه صعباً أن يلجم غريزته الجنسية.

من هذا نفهم ـ وسبق أن ذكرنا ذلك ـ بأن الغريزة الجنسية تختلف كثيراً عن باقي الغرائز وأنها لتقول للشاب وللأبوين بأنها تتفتح ابتداءً من عمر «١٧» إلى عمر «٢٨» سنة، وبعد ذلك تخبو شيئاً فشيئاً عندها لا ينفع ذلك الشاب للزواج.

إن الشاب في العادة يمكن أن يتلذذ جنسياً في ظرف هذه الأعوام العشرة، فلا بأس أن يُقدّم له النصح باتخاذ المرأة بعنوان زوجة حليلة له.

إن ما نراه اليوم من عُقَدٍ في مجتمعاتنا الإسلامية ترجع في أساسها إلى إغفال الشباب تلك السنوات العشر من أعمارهم التي كان ينبغي أن تستثمر في الحلال دون الحرام والمقاطعة، والانزواء بعيداً عن الناس؛ مما حدا ببعض المجتمعات أن تفسد نتيجة تلك المقاطعة للزواج، وطفو الحالات الجنائية، وحالات الهمّ والغمّ، وبروز عُقَدِ الحقارة والشعور بالعظمة.

سيدتي الجليلة! سيدي الفاضل! إن الإسلام يعلم بهذه المسائل أفضل منّي ومنكم.

الاعتدال في تجهيز البنت

لو تأتّى لمجتمعاتنا الخروج على حالة الترف، واقتناءِ المسائل الكمالية لهانت بقيّة المسائل؛ إننا نستطيع بهذا الجهاز (اللوازم المنزلة التي تأتي بها البنت إلى بيت زوجها) تزويج «١٠» فتيات بدلاً من واحدة، وقد يرفض هذه المقولة بعض النساء وبعض الرجال، ولكن الإسلام يؤكدها ويرحّب بها.

وفي مسألة اقتناء الكماليات أو ما يطلق عليها «فُضُول العيش» قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «ع» في الديوان المنسوب إليه:

وقــدْ دقّت ورُقّت واستــرقت　　　فضـولُ العيش أعناقَ الـرجال

أي أن المسائل الكمالية، أو التجميلية ـ الغير ضرورية ـ قصّرت وأذلت واستعبدت أعناق الرجال.

فـالحياة التجميليـة أو الفـائضـة على الضـروريـة تجلب الفقـر الفـردي والاجتماعي، وتذل صاحبها وتجعل منه أسيراً للآخرين وهذا مرفوض من قبـل العقلاء، والملتزمين بشرعة الله الحقّة.

إن الوسائل الزائدة عن الحاجة والتي يُهيؤها الأبوان لابنتهما الذاهبة إلى بيت الزوج ما هو إلاّ قصم لظهـرهما ولكـل شيء في حياتهمـا، ومَثَلهما مثـل ذلك الذي وُضِعَ في هاون يمتلكـه، وبدأ غيـره بالـطرق على رأسه، هـذا هو مثل أب البنت الذاهبة إلى بيت الزوجية.

أيهـا المجتمع! إننـا جميعاً مبتلون، أنـا مبتلي، وأنت مبتلي، القـروي مبتلي، وابن المـدينة مبتلي، المتـدين مبتلي، وغيـر المتـدين مبتلي.. كلنـا مبتلون، ولو تأتى تقليل هذه الـوسائـل البيتية القـاصمة للظهـر لكان بـالإمكان تزويج «١٠» فتيات؛ وقد يقول أحدكم لا يمكن ذلك، وأقول له: ثق إن ذلك يمكن، وعليه لا بأس من نقل حكاية عن المرحوم آية الله الحائري الذي كان أسوةً وقدوةً للجميع.

يقال: كان الشيخ المرحوم جالسـاً بين جمعٍ من تـلامذتـه، وإذا بأحـد التجار يدخل باحة الدرس ليقدم للشيخ عبـاءةً من النوع الثمين وهي مـا يطلق عليها باللهجة العراقية الدارجة «خاجية».

نظر الشيخ إلى العباءة جيداً، وفكر جيداً ليصـل إلى نتيجة وهي أنـه لا يمكن أن يلبس هكـذا عباءة وهـو في ذلك المقـام الذي يعتبـره النـاس قـدوة لهم، ولا يمكن أن يـردّ الهديـة، لأن ذلك خـلاف الأدب؛ لذا سـأل التـاجـر قائلاً: كم تعدل هذه العباءة من العباءات العادية؟ فقـال التاجـر: «١٦» عباءة عادية! فقال الشيخ: هل يمكن إبدالها بهذا العـدد من العباءات إذا أنـا قبلتها منك؟ فقال: ولم لا، فقال الشيخ: لا بأس بإبدالها لنا.

ذهب التاجر إلى السوق حاملاً معه تلك العباءة الثمينة، ليرجع ثانية بعد

حين ومعه «١٦» عباءة عادية، ليقدمها بدوره إلى الشيخ، وكان ذلك في حضور جمع من التلاميذ والفضلاء.

قام المرحوم من مكانه وأمسك بالعباءات ليوزعها بين طلبته، لتبقى واحدة فيضعها على كتفيه ويلتفت إلى التاجر ليقول: أيها أفضل ذلك الحال أو هذا؟.

لو كانت عباءة واحدة للبسها شخص واحد، وبما أنها «١٦» عباءة فقد لبسها «١٦» شخصاً، وهذه الحالة أفضل من تلك التي يلبس فيها شخص واحد عباءة ثمينة ولا يلبس الباقون أي شيء!.

إننا جميعاً مسؤولون غداً، فلا تتنكروا لهذه المسؤولية الكبرى. قال رسول الله (ص):

«كلّكم راعٍ، وكُلّكُمْ مسؤول عن رعيته»(١٤).

أيها الشباب الأعزّاء! إننا إذا أردنا ديمومة ثورتنا هذه، علينا أن نغيّر أنفسنا من الجذور لكي نتمكن من المساهمة في استمرار هذه الثورة الإسلامية.

علينا أن نصلح أنفسنا أولاً، ثم نبدأ بإصلاح وإعمار البلد الذي دمّره أعوان السلطة البائدة، إذ لا يمكن إصلاح البلد بدون إصلاح من في البلد، لذا ينبغي علينا تحسين أخلاقنا في البيت، وإفهام فتياتنا بأن هذه الوسائل البيتية المسماة «بالجهاز» يمكن تقسيمها بين «١٦» بنت أو «٢٠» فتاة أو حتى «١٠٠» فتاة، بدل أن تكون لفتاة واحدة تستأثر بها وتترك من هم مثلها من الفتيات بدون وسائل وبدون زواج، وهذا الإفهام والنصح لا أعني به أحداً معيناً، بل هو شامل لجميع أفراد المجتمع شيبتهم وشبابهم، عالمهم وجاهلهم، فاضلهم وطالبهم، سألت الباري تعالى أن يوفّق الجميع للابتعاد عن كلّ ما هو غير ضروري، وزائد عن الحاجة، وكماليّ ليعمّ الخير والصلاح في مجتمعاتنا الإنسانية.

---

(١٤) صحيح مسلم/ ج٣ ص١٤٥٩.

الفصل الثاني ١

موانع الزواج

١ ـ التحجحات
٢ ـ الروتين الممقوت
٣ ـ المهور الثقيلة
٤ ـ ولائم من غير حساب

موانع الزواج

إن بحثنا في هذا الفصل يدور حول موانع الزواج في هذه الأيام، والتي تشبه إلى حدّ ما السدود الترابية التي تستعمل في جبهات القتال لعرقلة تحركات العدو.

إن الموانع التي نراها في دنيا اليوم هي صنيعة أيدينا، ولذا يجب أن نتحدث في هذا الموضع الحساس بشكلٍ مكثف، ولا ندري بعد ذلك، هل نتمكن من رفع تلك الموانع من خلال حديثٍ واحد، أم يستوجب هذا الأمر عدّة أحاديث؟ لأن هذه المجالس يصعب التحدث بها في هكذا مواضيع.

وبالرغم من ذلك، فأنا على يقين بأن حديثنا هذا لن يكون بدون نتيجة مهما كانت هذه النتيجة، ومهما كانت تأثيراتها.

١ ـ التحججات

إن التحجج يعتبر أول وأهم مانعٍ أو سدٍ في طريق الزواج، وهو ما نراه متفاقماً يوماً بعد يوم، التحجّج من طرف الفتاة أو من طرف الفتى أو من طرف الآباء والأمهات قد يجرّ في بعض الأحيان إلى بلوغ الفتاة «٣٠» سنة بدون زواج، وإلى بلوغ الفتى «٤٠» سنة عازباً، وعندما يسأل ذلك الرجل عن عدم زواجه حتى بلغ ما بلغ من العمر، يجيب قائلاً: لم أجد زوجة مناسبة لي! أو لم أجد زوجة جيدة! وكذا بالنسبةِ للفتيات العوانس.

إن القضية الأساس التي يجب أن نلتفت إليها جميعاً هي: لا معنى لعدم قبول الفتاة لأحد المتقدمين لها من الفتيان مع أنها مقتنعة ١٠٠٪ منه، ولا معنى لعدم زواج الفتى من فتاة تعجبه ١٠٠٪.

إن الطبيعي في الأمر هو أن الإنسان العاقل إذا وجد نفسه يمكن أن ينسجم مع الطرف المقابل ٥٠٪ أخلاقياً وذوقياً لا بأس به أن يُقدم على الزواج، وإذا زدنا في هذه النسبة إلى ٧٠٪ فذلك خيرٌ على خير، وإن تلك الزوجة التي تتلائم ٧٠٪ مع زوجها تعتبر زوجةً جيدةً جداً، وإن ذلك الزوج يعتبر هو الآخر جيداً جداً.

إن الحجج والتبجحات التي يستخدمها المتدينون شيء، وتلك التي يستخدمها غير المتدينين شيء آخر، فترى أحدهم يطالب الخاطب بدار مستقلة في الوقت الذي لا يمتلك المتقدم ذلك، وترى الآخر يريد فتاةً جميلة ١٠٠٪ ولا نقص فيها بالمرّة، ولا يوجد هكذا شيء، وبعضهم يبحث عن الأنساب العالية والرفيعة في الوقت الذي يكون هو من بين الأنساب الضحلة، وعندما يسعى لهذا الأمر حثيثاً تراه يحاول الانتقاء بشكل يبعث على الدهشة، حيث يلحّ في مسألة الأنساب الرفيعة أكثر من الطبيعي مما يوجب عدم زواجه.

وقد نرى في أحيان أخرى عدم رضا أم الفتى عن التقدّم لخطبة فتاة تضع نظارة على عينيها، وقد ترفض أم إحدى الفتيات شاباً قصير القامة أو آخر لا يمتلك سيّارة.

إن هذه المسائل في حقيقة الأمر تدخل كلها ضمن دائرة التحجّج، ولا تمتّ بصلة إلى القضايا العقلية، أو القضايا التي يرتضيها العقلاء.

قد يكون في مجتمعاتنا هذه بعض الفتيات من اللاتي تقدم لهنّ أكثر من عشرين فتى، لكنهن رفضن القبول بسبب بعض المسائل الجزئية، أو التافهة؛ وقد نشاهد شاباً سعى للزواج حثيثاً لمدة «٣» أو «٤» سنوات لكنه لم يحظ بما يُريد أو يرغب، بالرغم من أن له ابنة عمّ، وابنة خالة، وأن لجيرانه عدة فتيات بلغن سنّ الزواج، لكنه يُشْكِلُ على كلّ تلك الفتيات، فهو يعيب على هذه جمالها، وعلى تلك طولها، وعلى أخرى أنفها وما إلى ذلك.

والجدير بالذكر أنه يتزوج في نهاية المطاف فتاة سيئةً، أو دميمةً بالرغم

من معايبه الكثيرة التي كان يلقيها على هذه وتلك.

إن الرسول الأكرم(ص) تحدّث كثيراً عن مسألة تزويج البنات في حضور العامة والخاصة ليلفت أنظار المجتمع الإسلامي إلى خطورة بقاء البنات بدون زواج مبكّر، وقد جاء عن الإمام الرضا علي بن موسى «ع» رواية تتعرض لهذا الأمر حيث قال:

«نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ ربّك يُقرؤك السلام ويقول: إن الأبكار من النساء بمنزلة الثّمر على الشجر، فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلا اجتنائه، وإلاّ أفسدته الشمس، وغيّرته الريح، وإنّ الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهنّ إلاّ البعول، وإلاّ لم يؤمن عليهنّ الفتنة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فجمع الناس ثم أعلمهم ما أمر الله عزّ وجلّ به..»(١٥).

وقال رسول الله(ص) بصدد تزويج الفتيان مبكراً:

«أيّما شاب تزوج في حداثةِ سنّه عج شيطانه: يا ويله! عصم منّي دينه»(١٦).

لقد ضجّ بعضهم حينما كان رسول الله(ص) يتحدث في مسألة تزويج البنات فقام ليسأل الرسول(ص) قائلاً: لمن نزوّج فتياتنا؟ فقال(ص): الأكفّاء؟ فقال: ومن هو الكفأ يا رسول الله؟ فقال(ص):

«المؤمنونَ بعضهم أكفاءُ بعض»(١٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب فزوّجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»(١٨).

وجاء في مكارم الأخلاق:

---

(١٥) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٣٩.
(١٦) كنز العمال/ خ ٤٤٤٤١.
(١٧) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٤٩.
(١٨) مكارم الأخلاق/ ص ٢٠٤.

«جاء رجل إلى الإمام الحسن بن عليّ «ع» يستشيره في تزويج ابنته! فقال: زوجها من رجل تقيّ، فإنه إنْ أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»[18].

كم هي جميلة هذه الرواية التي نُقلت لنا عن الإمام الحسن بن عليّ «ع» والتي تتنكر لجميع أشكال الحجج والأعذار، ولا أعرف أحداً لا يتحجج في هذا الزمان حينما تطلب منه يد ابنته، بالرغم من كثرة الروايات والأحاديث الذامّة لمن لا يزوج ابنته من رجل تقيّ.

لقد حدثت في زمان الرسول محمّد(ص) عدّة وقائع من زواج عجيب، لكي لا يبقى هناك للمسلمين من حجّةٍ في ما يدّعون، ومن جملتها: زواج «جويبر» وزواج «زيد» و «المقداد».

ولقد كانت تلك الحوادث والوقائع تتبنّى تزويج فتيات جميلات، ذوات حسب ونسب، من رجالٍ ليس لهم من الدنيا إلّا تقواهم وذلك حتى يتمكّن الرسول(ص) من إحياء قانون الأخلاق والدين في المجتمع.

قال رسول الله (ص):

«إنّما زوجت مولاي زيد بن حارثة زينب بنت جحش، زوّجت المقداد ضباعة بنت الزبير لتعلموا أن أكرمكم عند الله أحسنكم إسلاماً»[19].

وقال أيضاً (ص):

«أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام»[20].

إن هكذا إنكاح وتزويج يُراد منه إفهام الناس بأن هذه الجميلة ذات الحسب والنسب والأخلاق الفاضلة لا يليق بها إلا الكفؤ، والكفؤ هو من تشرّف بشرف الإسلام، وأحسن إسلامه، فمن اقتنع بنسبة ٧٠٪ بإحدى

---

(١٩) كنز العمال/ خ ٣١٣.

(٢٠) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٢٦٦.

الفتيات لا ينبغي له أن يتحجج بشتى الطرق كي يفلت من هكـذا زواج، ولا ينبغي له أن يستخير أيضاً، فالاستخارة لها أوقاتها، وأوقاتها هي انعـدام حالـة التفكير، أو عندما لا تكون المشورة مؤثرة، أو عندما يقـع الإنسان في إحـدى حالات الإبهام أو الظلمة أو التشويش.

أمـا إذا كانت المسـألة واضحـة، وأن الذي جـاء يخـطب إليـك ابنتـك خلوق ومتـدين ويتمكن من فتح بيت الـزوجيـة، فلِمَ الاستخـارة؟ أو إذا رأيت فتاةً خيّرةً متدينةً، خلوقةً، ملتزمةً تتمكن من مداراة الزوج فعلام الاستخارة؟.

إن أصل الاستخارة في الإسلام يحمل معنى غير المعاني المعمـول بها هذه الأيام، ولذا أطلب منكم أن تعملوا بها، طبق الموازين الإسلامية.

وطريقة الاستخارة هي:

إذا أردت تأدية عمل ما عليك بإقـامة ركعتين لـوجه الله تعـالى، وأتبعها بعـد ذلك بقـول «أستخير الله بـرحمته» مـائة مـرّة، ثم بـاشـر في أداء العمـل وسيكون ذلك العمل مباركاً بإذن الله تعالى.

وهذا هو أصل الاستخارة في الإسلام.

إن الاستخارة التي أسندتها الروايات المتواتـرة الصحيحة والتي تحـدّث عنها صاحب الجواهر رضوان الله تعالى عليه هي: طلب الخير من الله تعـالى حين الشروع بعملٍ ما بفتح كتابه المبارك، هذا بـالإضافـة إلى الحالات التي يعجـز فيها التفكيـر عن العمل، أو بعبـارة أخرى الحـالات المبهمة، والتي لا تنفـع معها المشـورة؛ عند ذلـك يمكن أن يستخير المـرء الباري تعـالى بفتح كتابه فإن كانت الآية تنذر بالسوء فلا بأس من ترك القيام بذلك العمل.

وخلاصة القول: إن المانع الأول في أغلب حالات الزواج هو التحجج الذي يبرز من بعض الفتيات أو من بعض الفتيان أو من آبائهم وأمهاتهم؛ لـذا أطلب من الجميع أن يتكلوا على الله تبارك وتعالى بدلاً من الاتكال على تلك الحجج والأعذار الواهية التي ما أنزل الله بهـا من سلطان، وليعلم الجميع أن المتوكلين على الله لا يمكن أن يخافوا أو يحزنوا في مثل هذه المواقف:

﴿ألا إنَّ أولياء اللّهِ لا خوف عليهم ولا هُمْ يحزَنون﴾ (يونس/٦٢).

نقل لنا البعضُ حكايةً عن المرحوم كاشف الغطاء رضوان الله تعالى عليه، وكما تعلمون أنه كان أحد مراجع زمانه، حيث لم تشهد الحوزات العلمية رجلاً عالماً، شجاعاً، فاضلاً مثله، إلاّ ما ندر.

قال المرحوم كاشف الغطاء بعد انتهاء إحدى جلسات تدريسه مخاطباً طلابه: لي ابنة بلغت سن الرشد، وأروم تزويجها من رجل متدين خلوق، فإذا ما تقدم لها هكذا شخص زوّجته إياها، فقام أحد الفضلاء من مكانه ليجلس مرّة أخرى ـ عانياً بذلك أنه يتقدم لخطبتها ـ، وعندها قال له المرحوم كاشف الغطاء تعال إلى دارنا اليوم.

ذهب المرحوم كاشف الغطاء إلى منزله وتبعه ذلك الفاضل المتدين، وهو معروفٌ لدى المرحوم بشكل كامل، إذْ كان يتمتع بأخلاق فاضلة، وعلمية سامية. لكنه لم يكن يمتلك من الدنيا إلاّ رحمة ربّه.

دخل ذلك الشاب الفاضل منزل المرحوم الشيخ كاشف الغطاء، وفي حضوره قال منادياً ابنته: وجدتُ لك زوجاً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ولكنه عالم متدين، وفاضل خلوق، فهل ترضين به زوجاً لك، فأجابت: الأمر أمرك يا أبه.

عندها عقد الشيخ لابنته على ذلك الشاب الفاضل ليدخلا إحدى غرف منزله بعد أن تهيأت البنت لتلك الليلة، وقبل أذان الصباح قام المرحوم كاشف الغطاء لتأدية صلاة الليل، وقبل أن يشرع بصلاته طرق باب العروسين ليقول لهما: سخّنتُ لكما بعض الماء (ولم يكن في ذلك الزمان حمام داخل المنزل) وما عليكما إلاّ الذهاب إلى الغرفة الفلانية لتغتسلا من أجل إقامة صلاة الليل، فذهب الزوجان ليغتسلا ويقيما بعد ذلك صلاة الليل، ولكن هل انتهى إيثار وتضحية كاشف الغطاء إلى هذا الحدّ؟

﴿الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبُلنا﴾ (العنكبوت/٦٩).

لقد كان صهر الشيخ كاشف الغطاء هو: الشيخ محمد تقي مسجد شاهي وهو من كتاب حاشية على «المعالم» حيث ما زالت تلك الحاشية تعدُّ من الأصول الحيّة، بالرغم من انقضاء «٣٠٠» أو «٤٠٠» عاماً على كتابتها.

لقد تقدم هذا الصهر على كاشف الغطاء بعلمه، وكان جميعُ أولاده علماءَ ومجتهدين، ولم ينقطع العلم والاجتهاد عن منزله إلى يومنا هذا، حيث أضحى جميع أبناءه وأحفاده من المتدينين الملتزمين، ومن المعروفين في أصفهان بهذه الصبغة، حتى شاع صيته بين حكّام زمانه فأبدوا له الاحترام والتواضع والتبجيل.

وخلاصة القول: كان ذلك العرس جميلاً وطيِّباً فشاع طيبه إلى باقي الأجيال، إنه العرس الذي أراده القرآن الكريم، إنه العرس الإسلامي الحقيقي.

لقد كان نهج الرسول الأكرم(ص) بهذا الشكل، وكان نهج الأئمة الأطهار من أهل بيته بهذه الكيفية، وكذا كان نهج التابعين لهم بإحسان.

كان العلامة المجلسي معروفاً بمقامه العلمي الرفيع، بالإضافة إلى إمكانياته المادية التي جعلته يتمكن من الصفويين ويجعل من دورهم بلاطاً له، ولو لم يكن للعلامة المجلسي غير كتاب بحار الأنوار، لكفاه أن يقال فيه إنه من نوادر العلم التي قلّ نظيرها.

كان للعلامة المجلسي ابنة فاضلة ومجتهدة وذات جمال، ولم تكن تتجاوز حينئذٍ عشرين سنة، وكانت تعدّ من أسمى العوائل نسباً وحسباً، وبالرغم من كل ما تمتلك من صفات حميدة، زوّجها المجلسي لأحد تلامذته، ممن لم يكونوا على مستوىً رفيع من العلم، ولكنه كان على أرفع مستوى من الأخلاق والتدين والالتزام، إنه الملا صالح المازندراني غير المعروف بين اخوانه وأقرانه وزمانه.

لقد زوّج العلامة المجلسي ابنته الفاضلة تلك إلى أخلاق هذا الرجل

الصالح، وإلى دينه والتزامه، ويقال إن الملا صالح كان عليه أن يطالع في ليلة زفافه، لكنّه تعثر في حل إحدى المسائل عندها تمكنت تلك الفتاة الشابة من حلّ مسألته بسهولة لأنها لم تكن فتاة عادية، بل كانت عالمة معلّمة.

إذن، لماذا وافق العلامة على تزويجها من ذلك الرجل الذي كان أقل منها مستوى في العلم؟ لأنه لم يكن من المتذرعين بالحجج الواهية، وأنه كان من المؤمنين بحديث رسول الله (ص):

«إذا جاءَكُمْ مَنْ ترضونَ خُلَقَهُ ودينه فزوّجوه وإن لا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»[٢١].

٣ ـ الروتين الممقوت

المانع أو السدّ الثاني بوجه الزواج، وخصوصاً في هذا الزمان هو الروتين الممقوت الذي نراه يزداد صعوبة يوماً بعد يوم، ففي البداية كانوا يفرضون على الشاب تقديم قرآن من الدرجة الأولى، وبعد ذلك صار عليه أن يضيف إليه مرآة وقنديلين كهربائيين تنتخبهما أم الفتاة، ثم تفاقم الأمر إلى أبعد من ذلك ليصل إلى أن الفتى لو باع نفسه في السوق لما وفّى بمبالغ تلك المتطلبات، المشتملة على عدّة خواتم ذهبية واسورة أو اسورتين ذهب من العيار الراقي، وقلادة الماس مطعمة بالذهب الخالص و. . و. . حتى بلغ الأمر بالبعض إلى أن يقول: أتوسل إليكم بإعفائي من هذا الزواج!.

ما الذي عدا مما بدا؟ وما الذي سيحدث لو رضيت العروس بتلك المرآة والقنديلين علاوة على نسخة من كتاب الله الكريم؟ وماذا سيحدث لو لم تكن تلك المرآة والقنديلان؟ ومن هو الذي يريد رؤيتهما في منزلك؟ ما المانع في أن تكون عدّة تلك الخواتم خاتماً واحداً؟ ويكون خاتم العريس عقيقاً؟ بدل الخاتم الذهبي الذي يُهدى إليه من أهل البنت تيمناً بجارتهم التي أهدت لعريسها خاتماً ذهبياً؟.

إن الخاتم الذهبي الذي تهديه الأسرة إلى هذا العريس يُعدّ بمثابة أول

---

(٢١) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٣٧٣.

سلّم في سوء الحظّ الذي يمكن أن يلاقيه في حياته الزوجية التي ابتدأت بمخالفة أحد القوانين الشرعية.

فالخاتم الذهبي لا يمكّن صاحبه من إقامة صلاة مقبولة، لأن الذي يتختم بالذهب تبطل صلاته، هذا بالإضافة إلى أن هذا التختم سيسجّل له معصية في سجلّ أعماله لأن الرجل لا يحقّ له التزيّن بالذهب.

الخاتم، الساعة، الأزرار، النظارات وكل ما يوجب التزين به إذا كان من ذهب حَرُمَ على الرجل!.

إن التختم بالعقيق أو بخاتم من فضة بالنسبة للعريس لن يُسقط السماء على الأرض على حدّ قول العامّة، ولن يبعث بالأرض إلى حيث السماء، وكذا الأمر بالنسبة للعروس التي لا تلبس قلادة من الماس أو بضعة خواتيم ذهب.

من هو الذي يتمكن من عبور هذا السد الثاني؟ تعالوا معنا لنُدمِّر هذا السدّ، ولا نقول هذا لبضعةِ أنفارٍ أو لمجموعةٍ معينة من الناس، لأن ذلك لن يحلّ شيئاً من هذه المعضلة، بل نقول هذه العبارة لكل المجتمع الذي نعيش فيه، نقول لهؤلاء الذين تمكنوا من قلب نظام الحكم الملكي إلى نظام حكم جمهوري، نقولها إلى كل الذين ساهموا في بناء هذا البلد الحرّ، علينا أن نوقف* هذه المرآة بقناديلها على الجميع، ونوقف الإتيان والذهاب بالذهب، ونوقف الملابس التي يمكن أن تستخدم لأغراض الأعراس: وبما أن مدينة قُمْ تمتاز عن بقية المدن الأخرى بامتيازات كثيرة، لذا قررنا أن نقترح على أهلها أن يصمموا على إيقاف تلك اللوازم والحوائج.

ولا أرى مانعاً في ذلك، حيث لو تمّ هذا الأمر لسرى من «قُم» إلى بقية المدن ليشمل في نهاية المطاف كلّ المجتمع الإسلامي.

جاء رجل إلى الإمام الباقر محمد بن عليّ «ع»، فسأله الإمام «ع»:

* الإيقاف هنا نعني به: حبْسُ مالٍ وصرف منفعته لجهةٍ معينة، ويجوز في الخيرات ابتداءً وانتهاءً.

ألـك زوجة؟ قـال: كلا يـا ابن رسول الله، فقـال «ع»: لست مستعداً للمبيت ليلةً واحدة بدون امرأة، ثم قال: «**إن ركعتين يصليهمـا رجل متـزوج، أفضل من رجـل يقوم ليله ويصـوم نهاره أعـزب**»[٢٢]. ثم أعـطى الإمـام «ع» سبعـة دنانير للرجل وقال له: اذهب وتزوج.

إن ذلك الزواج الذي تمّ بسبعة دنـانير ذهبيـة، لا يمكن أن يتم الآن إلاّ بسبعين من الدنانير الذهبية، والدينار هو سبعة مثاقيل، كل مثقـال شرعي فيـه يساوي «١٧» حمصة أو حبّة.

وقد يكون الأمر في زماننا هذا أكثر من سبعين ديناراً أضعـافاً مضـاعفةً، لذا ترى البعض يبيع منزله ليتمكن من إقامـة حفلة العقد، وهـذا ما لا يـرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون.

كان رسول الله(ص) جالساً مع أصحابه، فجاءت إحدى النساء وتحـدثت من وراء حجاب قالت: يـا رسول الله (ص)! زوّجني، فـالتفت الرسـول(ص) إلى أصحـابه وقـال: من يريـد منكم أن يتزوّج؟ فقـام إليه أحـدهم وقـال: أنـا يـا رسول الله، قال (ص): ما لديك من مهر؟ قال: لا شيء إلاّ هذا الذي أرتديـه: فقـال الرسول(ص): هل تحفظ شيئـاً من القرآن؟ قـال: نعم أحفظ منه سـورة الواقعة، عندها قال الرسول(ص) للمرأة: هل ترضين بسورة الواقعة مهراً لـك؟ فأجابت بالقبول، وتمّ العقد.

إننا لا نقول بأنه من الـواجب عليكم أن تفعلوا مثلما فعـل ذلك الـرجل وتلك المـرأة في صدر الإسـلام، ولكننا نقـول لكم لا تصبحـوا أُسـارى هـذه القيود العصرية، وَلِمَ نضع أنفسَنا في مواضعٍ يُشمّ منها رائحة العبودية؟ وهذا ما نراه واضحاً على الجميع من فضلاء وعلماء، وتجـار وزرّاع وجميع من هم يعيشون في هذا المجتمع إلاّ ما رحم ربّي.

إن الغالبية العظمى تستخدم التحجج والتعذر، واللجـوء إلى الاستخارة بدون علل معقولة، والطريف في الأمر أن العريس إذا جلس للعقد عندنـا تراه

(٢٢) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٧.

منشغل البال، سارح الفكر بعيداً عما حوله، لأنه يفكر في كيفية تسديد القروض التي استخدمها في شراء الذهب واللوازم الثمينة التي طُلبت منه، لا أعرف ما الذي سيحدث لو تمَّ العرس دون ذهب؟ ولكن الذي أعرفه هو أن الفرد المدّعي بتسليمه لله تعالى لا ينبغي له أن يجريَ وراءه هذه التوافه إلى هذا الحدّ.

ألا يعلم الجميع بأن الله تعالى يلطف بعباده المتساهلين؟ ألا تعلمون بأن الباري تعالى سيكافىء المنصفين أفضل مكافأة، هذا إذا كانت نيّتهم لله تعالى وحده، فلِمَ التصعّب في هذه المسائل؟ ولم الإصرار على شراء الحاجيات الثمينة والسلع النادرة من أجل ذلك العرس؟

أيتها السيدة! إن الذهب ستجديه بعد الزواج إنشاء الله، وما عليك إلاَّ أن تبحثي الآن عن صهرٍ متدينٍ متقٍ يحبّ ابنتك، وعلى حدّ قول الإمام الحسن «ع»: فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

والطريف في الأمر أن البعض يقول: لا يمكن أن يكون العقد عقد فرح وسرور ما لم يأتِ العريس بثياب فاخرة لأم العروس ولأخت العروس ولأب العروس وهذا ما لا يطاق! أو قد تطلب والدة العريس أشياءً ولوازم لها كي يتم الفرح والسرور، وبدون تلك الطلبات لا يمكن أن تكون فرحة مسرورة.

وأقول هنا: إذا لم تكن فرحة ومسرورة فلن تكونَ بهذه اللوازم الكمالية كذلك، ولو كانت تريد خير ابنتها لما فعلت ذلك، لأنها بفعلها ذاك تعقّد مسألة المهر والزواج وتزيد الطين بلّة.

وعليه فلا بأس بأن يقتصر أب العروس على شراء بدلة للعريس ولا يزيد في ذلك كيلا تضحى عادةً متداولةً، فقد يكون أب العروس محتاجاً لخبز عشاءه، ولشراء ما يسدّ جوعة أبناءه، فلِمَ هذا الإحراج؟ ولِمَ هذه القيود؟ اتقوا الله الذي بين ظهرانيكم وأنيبوا اليه يرحمكم.

قد يتشبثُ البعض بأن الهدايا الكثيرة لأم العروس ولأخت العروس ولعمّ العروس تبعث على المحبة، ولكننا نقول له بأن هذه المسائل لا تبعث

بالمرة على المحبة وعلى ما أظن أننا ضيّعنا المكـان الذي يجب أن نقـول فيه الدعاء.

يقول «مثنوي»: ذهب أحدهم إلى بيت الخلاء، وهنا شرع بقـراءة أحد الأدعية التي يُدْعا بها في وقت الوضوء والمضمضة.

وعند الوضوء عاد ثانية إلى قـراءة نفس الدعـاء الذي كـان يدعـو به في بيت الخلاء، بعد ذلك انتبه إلى حاله فقال:

أيها النفس لقد أصبت في مأخذك للماء لكنك ضيعت مكان الدعاء.

وبنـاءً على ذلـك، إننـا نـظنّ بـأن الـذهب الكثيـر سيجلب لنـا حبّ العروس! وإن الحب كله مقرون بإغراق العروس بالذهب! كلا إن المحبـة لا يأتي بها إلا الإيمان والعمل الصالح والالتزام بما أنزل الله في كتابه الكريم:

﴿إن الـذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات سيجعـل لهُمُ الـرحمن وُدًّا﴾ (مريم/٩٦).

فمن أحكم علائقه بـالله تعالت أسمـاؤه تمكن من إصابـة الهدف الـذي يريد، وعندها يتمكن من حب الفتاة له، لأن البـاري تعالى وعـد الذين آمنـوا من العاملين بأن يجعل لهم حباً ووداً ووئـاماً في قلوب النـاس، وقَسَماً بـذات الله أنـا على يقين بأنكم ـ أيهـا المؤكدين على الـروتين الشائـع ـ لا تجـرؤون على القول بأن الله ورسوله وإمام زماننا راضون عن هكذا زيجات؟.

وإنكم لتدركون جيداً بأن عملكم هـذا مخالف لشرعة الله الحقـة، لذا ينبغي لنا جميعاً أن نساهم في كسر هـذه القيود التي جعلت منـا أُسارى لهـذا الروتين الممقوت!.

٣ ـ المهور الثقيلة

السد أو المانع الثالث والذي أضحى مصيبة في مجتمعاتنا المعاشة: هو المهر.

نسمع في بعض الأحيان بأن الأفراد الذين لا يرتبطون بدينٍ، من الـذين ليس لهم علاقة بالثورة الإسلامية يقولون بأن مهور فتياتهم تربو على المليون،

والمليونين، والثلاثة ملايين، ولكن الحال الحاضر يقول أكثر من ذلك فقد سمعنا بأن المهور طغت عليها صبغة ثورية على أيامنا هذه، وإن بعض المتدينين قد وضع مهراً لابنته لا يتجاوز المائة وأربعة وعشرين ألف سكّة ذهب تيمناً بالمائة والأربعة وعشرين ألف نبي ورسول!! وهذا مما يجعل الشاب يهرب من الزواج بعيداً، وقد يضاف شيء آخر إلى ذلك وهذا ما سمعناه في مدينة قم المقدسة وهو «حق اللبن»، وهو من الأمور الخرافية البائسة! ومعنى حق اللبن هو: أن والدة الفتاة تطالب العريس بأجور ما سقته من لبن لابنتها التي ستضحى زوجةً لهذا العريس، وهذه الأجور لا تعطى للأم بل للأب، وحق اللبن هو إحدى الحيل التي يُراد منها بيع البنت تحت هذا العنوان، وإن هذه الأموال التي تؤخذ من العريس تحت طائلة «حق اللبن» تحددها أم الفتاة.

إن الكثير من الفقهاء يُشكلون على المهر، ويُرجعون ذلك إلى نظر الشرع المقدس، أي لو اتفق أن يتقدم شخص لا يملك شيئاً فهل يمكن أن يقبل في ذمته مليون؟.

إن أغلب الفقهاء يقولون: إن الشخص الذي لا يمتلك شيئاً لن يتأتى له أن يقبل مليون في ذمته، ويقول بعض الفقهاء ومن جملتهم مرجع تقليدكم: إن الذمة واسعة، ومن لم يكن لديه مليون، لا يمكن أن يستحصل أحدٌ منه شيئاً، ولكنها ستبقى في ذمته.

قال رسول الله(ص) بصدد المهر:

«تياسروا في الصداق، فإن الرجل ليعطي المرأة حتى يبقى ذلك في نفسه عليها حسيكه*(٢٣)».

إن فلاناً من الناس يحاول ربط هذا الفتى بمهرٍ ثقيل كي يُبقي على ابنته، ولو كان الفتى غير منسجمٍ مع تلك الفتاة، غير مُحب لها بالرغم من

---

* الحسيكة: العداوة والحقد.

(٢٣) كنز العمال /خ ٤٤٧٣١.

أنه يصرفُ لها ما تـريد من الأمـوال، وهذا مـا تريـده أنت أيضاً، ويسمـح لها بالذهاب أينما شاءت، وهذا ما يوافق هواك أيضاً، لكنـه لا يتعامـل مع ابنتـك مثلما يتعامل الزوجان المحبّان، فتراه على سبيل المثـال غير مجـامل لابنتـك كونه لا يُحبّها، ولا ينسجم معها، فما العمل حينذاك؟ وما الذي تستطيع فعله كي تجعل هذا الرجل يحبّها؟ إنّه لا يضـربها، ولا يشتمهـا، لكنه عبـوس، لا يرغب بالتحدث إليها بالمرة.

وبمـرور الأيام ستشعـر البنت بأنهـا في زنزانـة انفراديـة، وما إن تمضي السنة حتى نسمع تلك البنت تقول: اخرجـوني من هذه الـدار، سأتنـازل عن كـل شيء في سبيل أن يـطلقني، وإن صداقي حـلال له مقـابل حـريتي التي سُلبت.

لذا، أيها الآباء، أيتها الأمهات! إننا لا نوافق على تزويج فتياتكم بدون مهـر، ولا نوافق أيضـاً على تزويجهن بـالمـلايين والمليـارات، اجعلوا الأمـر وسـطاً فلا بـأس من أن يكون المهـر، نسخة من كتـاب الله المجيد، وبضعـة مسكوكات ذهبية بحيث لا تتجاوز الخمس، لا إفراط ولا تفريط.

قال أمير المؤمنين عليّ «ع»:

«لا يرى الجاهلُ إلاَّ مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً»(٢٤).

إن على المتقـدم للخطبـة أن يـراعي شـأن الفتـاة، مثلمـا ينبغي للفتـاة مراعاة شأن الفتى الخاطب، وما هو مقدار شأن الفتى أو شأن الفتاة؟.

إن الكثير من الأسر تساهم في توجيه ضربة روحية إلى الفتى والفتاة منذ الليلة الأولى التي جاء فيها الخاطب، لتصل في النهـاية إلى كـراهية ظـاهريـة ظانّين بأنهم يبيعون منزلاً فهذا يقول كم سعر هذه الدار، وآخر يقول إن الثمن عالٍ جداً ولا بـأس من تخفيضه قليـلاً، ليصلوا في النهايـة إلى تعيـين القيمة الأصلية لتباع الدار، ويُستلم المبلغ.

أما بالنسبة للخطوبة، فالأمر على أيامنا هذه لا يختلف كثيراً عن وضعية

---

(٢٤) نهج البلاغة/ الحكمة رقم ٦٧.

بيع وشراء الدار يجلس أهل العروس في مواجهة أهل العريس، فيسأل أهل العريس عن قيمة المهر؟ فيقال لهم: مليارد! فيجيبون: ما الذي حدث؟ خفضوا الثمن قليلاً!.

وقد تحتد لهجة الحديث في بعض الأحيان، لتبرز حالة من التجريح في البين الأسري، وقد تصل تلك الحالة إلى قمتها فتكسر أركان المحبة التي كان يحملها الفتى لتلك الفتاة، والمحبة كما تعلمون مثلها كمثل الزجاجة إذا كُسِرَت صَعُبَ التئامها.

يتفق الجميع على الثمن، ويشرب العروسان عصير الفرح، ولكن يبقى شيء لا يمكن أن ينسى على مدى الدهر، ألا وهو عداوة أم العريس للعروس وأهلها، هذه العروس التي تسببت في أن يكون المهر بهذه الكيفية المضرة بابنها، وعندها لا يمكن أن تستقيم حياة تلك العروس ما دامت ترى أم عريسها المختلفة معها في كل شيء.

٤ ـ ولائم من غير حساب

المانع الرابع هو الوليمة، ولا أعني تلك الولمية التي عدّها الإسلام من المستحبات مثل تلك التي عملها الرسول الأكرم(ص)ودعا فيها جميع فقراء المدينة احتفاءً بزواج الزهراء «ع» ـ بعد أن ذبح خروفا لذلك ـ، وبعد الوليمة بعث الرسول الكريم ما تبقى من الطعام إلى المساكين والفقراء الذين لم يستطيعوا القدوم إلى منزله.

أما الولائم التي نراها ونسمع بها اليوم، فلا يُعرف منها غير الأذى لأهل العروس، ولو قدّر لنا فتح صدر والد العروس الذي كان يتعذّر دائماً حين يطلب إليه تزويج ابنته، لسمعنا صوتاً يأتي من خبايا ذلك الصدر يقول: لا استطيع عملَ وليمةٍ بالشكل الذي عهده الناس عند هذا وذاك، لذا نراه يتحجج بشتى الحجج، ويتوسل بكلّ الأعذار، عن تزويج ابنته التي بلغت العشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها، وبقيت أمامه يراها كلّ يوم.

إن الوليمة التي يصرف فيها والد البنت دم قلبه، لا يُثاب عليها كونها لا تجرّ عليه غير الضرر والخسران، ولا أعتقد أن هكذا ولائم تكون مباركة، لأن

الله تبارك وتعالى نهى عن الإسراف، وذمّ المسرفين، فأين هي من البركة؟.

إن احدى الأخطاء التي تمارس كلّ يوم هي تلك التي تشتمل على إقامة الوليمة في مراسم العزاء، فنرى على سبيل المثال فرداً يفكر في القروض التي اقترضها من هذا وذاك لإجراء وليمة على روح والده الذي توفي حديثاً، وينسى والده بالمرة، وهل أن الطعام سيكفيهم أم لا؟ فيصرف لذلك «٢٠٠» ألف تومان أو «٣٠٠» ألف تومان، وقد نسمع بأن فلاناً باع داره من أجل إقامة وليمة عزاء على روح والده، في الوقت الذي يقول الإسلام ما مضمونه: «مَنْ مات أبوه، لا تدعوه يُشعل ناراً لمدة ثلاثة أيام، ولا تدعوه يجلس في داره، بل اذهبوا به إلى بيوتاتكم لإطعامه، لأن بقاءه في داره للطعام مكروه، وحتى شرب الشاي في داره مكروه».

جاءني قبل بضعة أيام شاب يقول: إن أباه توفي، وأنه قد تمكن من اقتراض «٧٠» ألف تومان لإقامة وليمة العزاء، وأضاف بأنه حاول كثيراً أن لا يسرف ولا يبذّر في الطعام، ليصل به الأمر إلى اقتراض «٧٠» ألف تومان فقط. ولو كان أسرف قليلاً في الطعام لحدثت الكارثة، وتطلب الأمر إلى اقتراض مبالغ أخرى.

أبوه يموت، وأول مصيبة تصيبه هي تلك التي يكون فيها مبتلياً بتهيئة الطعام لمدة سبعة أيام، إنه الجهل بعينه! إنهم لم يدفنوا الشمندر تحت التراب بعد؟.

هل تعلمون ماذا يعني هذا المثل؟ إنه يعني، إن ذلك الرجل المسكين يئن من قرضك في قبره، ويدعو عليك بالشرّ، لأنك صرت تبعاً للخرافات، ولعبة تافهة يدورونها حيثما أرادوا، ويلعن كلّ من جاء لهذه الوليمة التي تسبّب في إزعاج زوجه وابنه وابنته.

إذا أردت حقاً عمل وليمةٍ، فلا بأس من أن تمعن التفكير في أحوال الفقراء والمساكين، وتوصل إلى أولئك المستضعفين ما يمكن إيصاله لكي يعمّ الخير عليك وعلى أمواتك.

يقـال إن إحدى النسـاء كانت تصنـع في كل أسبـوع طبقـاً من الحلوى وترسله بيد ابنٍ لها إلى المقبرة التي دُفِنَ فيها زوجها من أجل أن يلعق الفقراء والمساكين ما يمكن لعقه من ذلك الطبق.

استمرت تلك المرأة على هذه الحال مـدة من الزمن، وفي أحـد الأيام كـان ابنها ذاك يـرغب في تذوّق تلك الحلوى، لأنـه لم يذق مثلهـا منـذ زمن بعيد، وما إن سلمته أمّه الطبق ليذهب به إلى المقبرة، انزوى به بعيداً وتناولـه حتى آخره.

وفي تلك الليلة رأت المرأة في ما يرى النائم أن زوجها يبدو عليه الفرح والسرور وهو يقول لها: إن أطبـاق الحلوى التي كنتِ ترسليهـا إليّ على مدى سنـة لم يصلني منها شيء، بـاستثناء طبق واحـد وصلني ليلة أمس حيث كان لذيذاً جداً.

وبناء على ذلك ينبغي القول بأن علينا أن نفكر في أبنـاء الميت وزوجته ومن كان في منزله، وإذا ما كنّا نسعى لخير الـدنيا والآخـرة، فما علينـا إلاّ أن نساعد الفقراء والمساكين والمستضعفين، هذا إذا كان بـالإمكان إقـامة وليمـة يمكن أن يطعم منها، من لم يطعم الطيّب منذ زمن، بعيداً عن إطعام الأثرياء والأغنياء والشخصيات المعروفة اجتماعياً.

وليعلم الجميع أن من الخطأ الفاضح دعوة الناس لوليمة عـرس أو عزاء يكون فيها الرز قرضاً من فلان، والزيت قرضاً من علاّن، واللحم سندفع ثمنه بعـد شهـرين لتتفـاقم القـروض فـوق بعضهـا فتكـون سببـاً في انفعــالاتنـا، وانزعاجاتنا.

وعليه يجب أن نجتثّ جذور هذه الخرافـات من مجتمعاتنـا المعاشـة، لأن المولى تعالى لا يرضى بالضـرر، ولن يكون الـرسول(ص)راضٍ عن مثـل هذه الأفعال والأعمال ولا الأئمة الأطهار من أهل بيت الـرسول(ص)ولا الإمـام المهدي بقيّة الله في الأرض.

الفصل الثاني ٢

٥ ـ تجهيز البيت
٦ ـ المسكن

النزاع والخلاف
البخل في المعيشة
خلاصة البحث

٥ ـ تجهيز البنت

إن من ضمن الخرافات التي شاعت في زماننا هذا، هي خرافة تجهيز البنت بالوسائل المنزلية، وهو خلاف ما جاء في الشرع المقدّس، كونها من المسائل الكمالية والخرافية، وكونها تكون في أغلب الأحيان أحد موانع الزواج.

فالبنت التي بلغت سنّ الثلاثين، ولا تستطيع قبول من تقدم إليها، تمتنع عن الزواج بسَبب عدم إمكانية وليّ أمرها من تجهيزها بالوسائل المنزلية وترفض الخُطّاب الواحد تلو الآخر، كونها لا تستطيع الذهاب إلى بيت الزوجية من دون أن تأخذ معها ما يجود به عليها والديها من وسائل ولوازم منزلية قد تكون في بعض أحيانها قاصمةً للظهر.

أجل، لا بأس بأخذ البنت لبعض الحاجيات من منزل أبيها إلى منزل زوجها، ولكن لا بالشكل الذي نراه هذه الأيام، هذا إذا استطاعت ذلك، وإن لم تستطع وجب على الدولة الإسلامية أن تلتزم بتهيئة تلك الحاجيات، وإن امتنعت الدولة الإسلامية لسبب من الأسباب عن تهيئة هذه الوسائل، وجب على جميع أفراد الشعب القيام بتوفير تلك المستلزمات، لأنها من ضروريات الحياة.

بعد أن تم الاتفاق على تزويج الزهراء البتول فاطمة بنت محمّد (ص)، بعث الرسول(ص) برجلين وامرأة لشراء بعض اللوازم للزهراء «ع» من السوق، ولقد اشتملت تلك اللوازم على «١٧» شيئاً كان ثمنها «٦٣» درهماً.

وكانت هذه الأشياء تشتمل على عباءة، ولا أعني تلك العباءات التي

نراها اليوم وكأنها لباس الشهرة، ولا تلك التي هي من الحرير الناعم، كلا أنها كانت عباءة سوداء تعلوها مقنعة.

هذا بالإضافة إلى قميصٍ، أعطته الزهراء «ع» قبل ارتدائه إلى إحدى المستضعفات لتبقى هي بقميصها القديم وتذهب به إلى دار زوجها، وعندما سألها الرسول(ص) في اليوم التالي عما فعلت بذلك القميص؟ أجابت بأنها أعطته في سبيل الله تباركت أسماؤه، فقال: ولِمَ أعطيت الجديد ولَمْ تعطِ القديم؟ قالت: ألم يقل الله تعالى في محكم كتابه:

﴿لن تنالوا البِرّ حتى تُنفقوا مِمَّا تحبّون﴾ (آل عمران/٩٢).

وكان بساطها الذي تجلس عليه جلد خروف واحد، وفراشها الذي تنام عليه بدل القطن ليفٌ من عراجين النخل، أما لوازم طعامها وشرابها فلا تعدو أن تكون بضعة أواني صينية، وقلّة خزفيّة واحدة، وقدح من طين، وإجمالاً كانت تلك الحاجيات تُبكي الرسول(ص) شوقاً حينما يُنظر إليها.

لذا أطلب راجياً من الجميع، وبالخصوص السيدات أن يطلّوا بنظراتهم على هكذا حاجيات.

وبعد ذلك قال صلوات الله وسلامه عليه: اللهم بارك بهذه الحاجات التي يغلبُ عليها الطين.

لقد كانت تلك اللوازم على قدر ضرورة حاجة الزهراء «ع»، وهكذا ينبغي أن تكون لوازمكم على قدر ما تحتاجون، لا على قدر ما تُظهرون للآخرين، فالتباهي والتفاخر باللوازم والحاجيات غير الضرورية ليس في مصلحتكم، ولا بأس عليكم لو تنتهون من تلك الخرافات التي لا فائدة منها ولا نفع.

إن بعض الأمهات تشعر وكأنها تُساق إلى قبرها حينما تجد صندوق جواهر ابنتها غير ممتلىء ليلة الزفاف، وكذا الأمر بالنسبة لأم العريس حينما ترى عدم إتيان العروس بلوازم كثيرة من دار أبيها، بل وقد يعلو صوتها إلى عنان السماء إذا لم تكن تلك اللوازم من الطراز الأول، وقد يصل الأمر

ببعضهن وبلا حياء إلى إرجاع الوسائل والحاجيات التي جاءت بها البنت من دار أبيها ثانيةً، التزاماً بالخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان كي تبقى البنت أسيرة منزل أبيها بعدما كانت تلك الحاجيات سبباً في منعها من الزواج.

على أيّة حال إن لي طلباً وهو، أيها السيد المتمدن! وأنت أيها المتمكن! إذا أردت أن تعطي لابنتك وسائل ترفيهية، ولوازم منزلية لن يمنعك أحدٌ من ذلك، ولكن بعيداً عن هذه الخرافات التي تحتم وتوجب على الأب تزويد ابنته بهكذا لوازم ثمينة.

إن ما نراه اليوم من إعطاء الأب لابنته العروس «المجمّدة» الفلانية أو الأثاث الإيطالي كونه ثريًا لم يكن حينما شُرّع الزواج والنكاح، ولكن الأمر لا يعدو قيام أحد الحمقى الأثرياء بإهداء سجادات ثمينة أو حاجيات منزلية متطورة إلى ابنته العروس مما حدا بالآخرين إلى التشبّه به جهلاً، والقيام بمثل ما قام ظنًّا منهم بأن ما فعله صاحبنا هو الصحيح؛ لذا يتوجب عليهم أن يفعلوا مثل فعله.

أيها الثري! إذا أردت أن تعطي شيئاً لابنتك، لا تحاول أن تفهم الناس من خلاله بأنها عادة جارية، أو ضرورة يجب الالتزام بها.

لن يقول لك أحدٌ شيئاً حينما تسجّل منزلك باسم ابنتك العروس، ولكن لا ينبغي لك التشهير بذلك على أن المسألة ترتبط بشرعٍ أو عرف يجب أن يلتزم به، ولا تفعل ما يسهم في إحراج الفقير حينما يريد تزويج ابنته، لأن هكذا أمور تعتبر مخالفة للشرع، وأنها غير مباركة بالمرة.

إن هذه الوسائل والحاجات التي تهديها لابنتك، والتي تسبب الإحراج والضرر للآخرين لا خير فيها ولا بركة، وخاصة إذا كانت العروس بخيلةً وتحرّم على زوجها أن يمدّ يده على إحداها، ولو اتفق أن استعمل العريس الثلاجة التي أهداها والدها لها أو استعمل أي شيء آخر جاءت به من دار أبيها تراها تصرخ وتضجّ وتقيم الدنيا وتقعدها ظنًّا منها أن ما جاء به والدها

آثار تاريخية مهمة لا ينبغي مسّها خوفاً من أن تتلف، وأنها يجب أن تبقى مائة عام أو مائتين.

٦ ـ المسكن

إن إحدى الخرافات المعمول بها في مجتمعاتنا هذا اليوم، والتي شملت حتى القرويين هي مسألة عدم قبول البعض للسكن المشترك، أي أن أم الزوج غير مستعدة للسكن مع عروس ابنها، وأن العروس ترفض السكن مع أم زوجها، وتفضّل استئجار منزل لوحدها على السكن مع أهل زوجها، وأن الزوج يشكو من معاشه الذي لا يتحمل استئجار دار، وعندها يشعر الزوج بضائقة مالية قد تقضي على استمرار حياته الزوجية.

وبناء على ذلك تكون مشكلة السكن مع المشاكل الكبيرة التي تحول دون زواج الكثير من الشباب، لأن أغلب الفتيات يشترطن أول الأمر وجود سكن منعزل، وحينما يعلمن بأن الشاب لا يتأتى له ذلك يرفض قبول الزواج!.

إن أول سؤال يمكن أن يسأله أهل البنت للشاب الذي يتقدم لخطبة ابنتهم هو: هل لديك سكن؟.

بالرغم من أن السؤال الأول ينبغي أن يكون: هل لهذا الشاب دين أم لا؟ هل هو إنسان يتحلّى بالأخلاق الفاضلة؟ لأنه إذا لم يكن من ذوي الأخلاق الفاضلة، فسيكون ذلك المنزل كالزنزانة بالنسبة للفتاة.

إن قضية السكن أضحت اليوم من المشاكل المهمة التي يجب الالتفات إليها، والسعي لحلّها بالطرق السلمية، وعلى ما أذكر لم يكن الناس في ما مضى على هذه الشاكلة، بل كان الرجل وزوجته يبني في داره أربعة أو خمسة حجرات ليسكن معهما أبنائهما المتزوجين بشكل هادىء وطبيعي.

أما اليوم وبعد أن أضحى الناس يطلبون الراحة والدعة برزت مشكلة السكن بشكلها الذي نراه اليوم والتي تعدّ إحدى المشاكل الكبرى في إيران.

كان أحد علماء أصفهان الكبار يقول: جاءني أحد الشباب ليقول لي إن

أمه لا ترضى بتزويجه وكذلك أبوه، وأنهما يعتبران أنفسهما من المريدين لي، وبعد ذلك طلب إلي أن أتحدث إليهما علّهما يعدلان عن عدم رضايتهما!.

يضيف هذا العالم فيقول: ذهبت إلى منزل ذلك الفتى الذي يسكن مع والديه في صباح اليوم التالي، وبعد أن استقبلاني بحفاوةٍ بالغةٍ وبانَ عليهما التعجب والحيرة لزيارتي المفاجأة تلك لهما، قدّما لي إفطاراً شاركاني فيه بوجوهٍ سمحاء.

وبعد الإفطار شرعت بالتحدث إليهما بتلطف وتودد ـ وعلى حد قوله ـ قرأت لهما مجلساً كاملاً كالذي يُقرأ في المجالس الحسينية، فقلت، وقلت حتى مضت ساعة بالتمام والكمال، وما إن أتممت حديثي حتى قالت المرأة ـ والدة الفتى ـ أيها السيد! ما دمتُ على قيد الحياة لن أسمح لعروس ابني دخولَ منزلي هذا، عندها التفتُّ إلى الشاب وقلت له: إذن ادعُ الله أن يُميتَ أمَّك.

إلى هنا وصلت أوضاعنا، فوالدة الشاب لن ترضى دخول عروس ابنها إلى دارها، مثلما لن ترضى العروس بدخول منزل فيه أم زوجها!.

أما المشكلة السابعة فهي مسألة تعلّم الفتيات والفتيان، وخصوصاً تعلّم الفتيان لأن التعلّم مسألة أساسية ومهمة في الحياة الزوجية.

يقول فردوسي* في إحدى حكاياته الأسطورية: «عبر رستم الأقاليم السبعة بعد أن قتل العملاق الأول، ثم قتل الثاني والثالث حتى وصل في نهاية المطاف إلى ما يصبو إليه».

وهكذا الأمر مع ذلك الشاب، فلو استطاع عبور تلك الأقاليم السبعة، أو المعضلات السبعة الواحدة بعد الأخرى لتمكن من الارتياد بالبنت أو الزوجة التي يروم أن يحيا معها.

وهنا ينبغي لنا أن نسأل: هل ستنتهي جميع المشاكل إذا تمكن من عبور تلك الموانع، أم هناك مشاكل أخرى ستبدأ بانتهاء هذه الموانع؟.

---

* أحد شعراء إيران القدامى، وهو صاحب الشاهنامة المعروفة بين أهل الأدب.

النزاع والخلاف

إن أول ما يمكن أن يبدأ بين الـزوج والزوجـة هو النـزاع الذي تـأتي به الحياة المترفة، أو بعبارة أخـرى حياة العسـرف والبذل بـدون مبرر، وأن أغلب النزاعات التي نسمع بها اليوم يكون ٨٠٪ منها من أجل المسائل الكمالية، أو المسائل الترفيّة.

فمنذ الأيام الأولى نـرى العرائس يشـرعن بارتـداء البدلـة الفلانيـة لمرة واحدة، والفستان الفلاني لمرة واحدة أيضاً، والحذاء الفلاني مرتين أو ثلاثة، وهكذا تحاول أن تُفهِم زوجها بأنها لا تستطيع لبس الفستان أو البدلة أكثـر من مرة واحدة، ولكون الزوج لا يتمكن من تأمين كل هذه الفساتين تبدأ النزاعات والخلافات، عندها تقول الزوجة له: قل لأبيك أن يساعدك ماديًّا، فيرد الزوج عليها: إن أبي ساعدني ما فيـه الكفايـة فاذهبي أنت واخبـري أباك بـأنه يجب عليه مساعدتك.

وهكذا ففي الشهر الأول تطالب الزوجة بالمـلابس الكثيرة، وفي العـام الأول بالذهب والمجـوهرات حتى يصـل الأمر بهـا لأن تقول: أعـطني مهري لكي اشتري القلادة الفلانية، واعطني مهري لاشتري الحاجة الفلانيـة وهكذا يتفاقم النزاع رويداً رويداً ليصل إلى قمته من جـرّاء التجملات، والكمـاليات والشراء الترفي.

لذا لا تظنوا بأن مَنْ عَبَر الأقاليم السبعة وصل إلى مراده، وإذا ما وصـل رستم إلى ما يُريد، فنحن والحمد لله وصلنا إلى بداية الخلافـات التي ستزداد عاجلاً أو آجلاً.

وعلى حـد قول أحـدهم: إن الشاب الـذي لم يتزوج بعـد، مثله كمثل الرجل الذي لا يلبس قبّعة على رأسـه، وعندمـا يتزوج تكـون تلك القبعة قـد غـطّت رأسه وأذنيـه وعينيـه وحجبت عقله عن التفكـر فعُـدّ من المخـدوعين، وعنـدما يـرى ما يمكن أن يصيبـه من بـلاء يقـول: يـا ليتني لم اتخـذ لنفسي شريكاً، وقد تقول الزوجة: يا ليتني لم اتخذ لنفسي فلاناً زوجاً؟.

إن هـذه المقالات والتقـولات هي في واقع الأمـر معضلات اجتمـاعيـة

وقراحات تفيض قيحاً، بل وسرطاناً يتفاقم في مجتمعاتنا المعاشة.

أما بالنسبة لعلاج تلك المعضلات فالأمر سهل، وسهلٌ جداً، ولا يتعدى أن يكون إحدى آيات القرآن المجيد التي ما إن يُعمل بها حتى يرى الإنسان نفسه معافًى من كل تلك الأمراض الاجتماعية المتردّية المشتملة على كل تلك المعضلات والموانع الخرافية، بالإضافة إلى مشكلة التعلم التي تعتبر بمثابة مسألة أصولية، ناهيك عن حلّها لكل الخلافات والنزاعات التي يمكن أن تبرز في البين العائلي.

وهذه الآية المباركة هي:

﴿وعباد الرحمٰن الذي يمشونَ على الأرضِ هَوْناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين إذا أنفقوا لم يُسرِفوا، ولم يَقْتروا، وكان بين ذلك قواماً﴾ (الفرقان/ ٦٥ ـ ٦٧).

فالمؤمن عندما يريد شراءَ شيءٍ لا يسرف في شرائه ولا في بذله، إنه لا يؤمن بالصرف الترفي غير اللازم، ولا يرغب بالحياة التي تستند إلى التجملات والكماليات والحاجات غير الضرورية، إنه ليس بخيلاً ولا مُسرفاً، بل معتدلاً «وكان بين ذلك قواماً».

فالإنسان الذي يريد العيش ببساطة ترتفع عنه جميع الخرافات حتى يصل الأمر به إلى دخول الجامعة وهو متزوج، أما الشاب الذي نراه يريد ذلك ولا يستطيع يمكن أن نقول بأن الخرافات التي شاعت في المجتمع قد استولت عليه.

البخل في المعيشة

قال العزيز في محكم كتابه المجيد:

﴿ولا يحسبَنَّ الذي يبخلونَ بما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خيراً لَهُم بل هُوَ شَرٌّ لهم سيطوَّقونَ ما بَخِلوا به يَومَ القيامةِ، ولِلَّهِ ميراثُ السمٰواتِ والأرضِ، والله بما تعملونَ خبير﴾ (آل عمران/ ١٨٠).

إن الذي لا يسخّر ماله في خدمة أسرته، لا يظنّ أنه يعمل حسناً، إنه

يعمل سوءً، وأن ماله ذاك سيطوّق به يوم القيامة بطوقٍ من نارٍ.

فالذي يتمكن من أن يرفّه أسرته ولا يفعل ذلك مثله كذاك الذي ما إن يسألونه عن شيء حتى يجيب بعبارة: لا يوجد عندي، وبعد فترة أضحت تلك العبارة ملكة فسأله أحدهم عن إيمانه فردّ بسرعة لا يوجد عندي! :

«إياكم والبخل، فإنّها عاهة لا تكون في حُرٍّ ولا مؤمن، إنّها خلاف الإيمان»(٢٥).

ولو لم يكن لدينا حديث أو رواية أو آية قرآنية في البخل غير هذه التي ذكرنا آنفاً، لكفتنا أن نبتعد عن البخل في البيت، وفي المجتمع، لأنه من العار والصعوبة أن يطوّق الإنسان يوم القيامة بما لديه من بيوت ومحلات وأملاك وأموال وهي تشتعل وتلتهب، ليأتي به على تلك الحال إلى صفوف الحشر الرهيبة.

فالبخل خطأ فاحش، والإسراف من أسباب فساد المجتمع وجرّه إلى ما لا تحمد عقباه:

﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾ (الإسراء/١٦).

إن السيول والزلازل، وانقلاب الأرض بأهلها لا يمكن أن يقاس بالنكبات التي يجرها البخل والإسراف والحياة المترفة، لأن المصائب والبلايا التي تحدثها هذه القضايا أنكى من كل المصاعب التي نسمع بها كل يوم تحدث هنا وهناك.

لذا أقول أي من هذه لا تعدّ أكثر بلاءً من الزلازل والسيول والمصائب؟ إنها تحدث في الغالب جرّاء اعتقادنا بالخرافات والتوافه من القول، وهذا ما يحدو بنا إلى ارتكاب الكبائر من المعاصي التي تعرضنا لها سابقاً من مثل البخل والإسراف والترف الزائد عن الحاجة والخصومات التي تجعل من الحياة الاجتماعية جهنم على الأرض:

---

(٢٥) بحار الأنوار/ ج ٧٨، ص ٣٤٦.

﴿وأصحـاب الشِّمال مـا أصحاب الشِّمـال، في سمومٍ وحميم، وظِـلٍّ من يحمومٍ، لا باردٍ ولا كريم، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين، وكانوا يُصـرّون على الحِنْث العظيم﴾ (الواقعة/٤١ ـ ٤٥).

إن القـرآن الكـريم تعـرّض كثيـراً للتـرف والمتـرفين، وحـذّر في عـدّة مناسبات من التوغل في أعمال الترف الذي يوصل الإنسان إلى حالة الكفر بما أرسل به المرسلون:

﴿وما أرسلنا في قـريةٍ من نـذيرٍ إلاَّ قـال مترفـوها، إنـا بما أرسلتم بـه كافرون﴾ (سبأ/٣٤).

لقد كان المترفون على مرّ الدهور مانعاً أساسيـاً لشيوع رسـالات الأنبياء والمـرسلين، ومـا كـان فعلهم إلا خـوفـاً من انـطمــار مصـالحهم ومنــافعهم الشخصيـة، كـون المـرسلين يتنكـرون لــلإسـراف والبــذخ والتـرف المؤدي بالمجتمعات إلى الفساد.

جاء في كتاب «معراج السعادة» أن بخيلاً وصل في بخله إلى حالةٍ كـان فيها يضع اللبن في إناء زجاجي، ويضـع الإناء وسط مـائدة الـطعام ثم يقـول لأبنائه: امسحوا بأرغفتكم على جدار ذلك الإناء الزجاجي كي تشعروا بـأنكم طعمتم خبزاً ولبناً.

وفي أحد الأيام سافر الأب، بعد أن وضع الإنـاء الزجـاجي في صندوقٍ وقفـل عليه، وحينمـا أحسّ الأبناء أن أبـاهم لم يأتِ إليهم، كـانوا يمسحـون بـأرغفتهم على قفل ذلـك الصندوق، وحينمـا جاءهم الأب، وعـرف منهم ما فعلوا، أمسك بعصا لـه وبدأ بضـربهم على رؤوسهم وهو يقـول: ألم تصبروا يوماً واحداً تأكلوا فيه خبزاً بدون لبن؟.

إن الحياة إذا علتها مسائل البخل فاقـرأ عليها وعلى صـاحبها السـلام، ولا نعتقد أن أحداً منكم يرضى بفعل ذلك البخيل الوضيع الذي نجد من مثله في دنيانا هذه الكثير، إنه مسلوب الراحة، مسلوب النوم، وقـد يسأل أحـدكم وكيف تكون الحياة مقرونة بالراحة؟ فتقول لـه: إذا تمكن الإنسان من الـطعام

الاعتيادي، وكان له مسكن، ولباس كافٍ عُدَّ ذلك الإنسان ممن يعيش حياةً لا تخلو من الراحة، شريطة أن يكون قانعاً غير مقتراً ولا مسرفاً.

قال رسول الله (ص):

«أقل الناس راحة البخيل»(٢٦).

ذكرت إحدى الروايات أن رسول الله(ص) سار مع أصحابه قاصداً مكاناً معيّناً، وفي أثناء سيره صادفه راعٍ لغنم، فسأله الرسول(ص)لبناً من إحدى شياهه فرفض أن يعطي شيئاً، عندها قال الرسول(ص): رزقك الله خرافاً بغير حساب، بعد ذلك وصلوا إلى راعٍ آخر ليسألوه هو الآخر أن يعطيهم لبناً، فما كان منه إلاّ أن سقى الجميع حتى رووا، فقال الرسول (ص): رزقك الله حد الكفاف.

فقال أحد الأصحاب: يا رسول الله! إن دعائك للأول كان أفضل بكثير منه للثاني.

فأجاب: إنّ دعائي للأول لن يحصل منه إلا على البلاء.

إذا أراد الإنسان أن يحيا حياة هانئة رغيدة، عليه أن يجرّب البساطة في معيشته بدون تكلُّفٍ ولا غشٍ ولا عبودية، فالبساطة يمكن أن تجعل جميع أوقات الرجل والمرأة سعيدة ومفيدة، وعلى حدّ قول أمير المؤمنين عليّ «ع» معيشة بعيدة عن البَرَج، ولو كانت الحياة مليئة بالبَرَج لكُسِرت أعناق الرجال وجرّتهم إلى حيث العبودية.

خلاصة البحث

خلاصة بحثنا هذا هي: ينبغي لنا أن نغيّر من أنفسنا بشكل جديّ، وأن نسعى لأن تكون أخلاقنا مثل أخلاق الأئمة والصالحين، وأن القدم الأولى تبدأ من مسألة الزواج، إذ علينا أن نتنكر للخرافات والبدع، ونسحقها تحت أرجلنا كي نفوز بحياةٍ مرفهة لا حياة مترفة.

---

(٢٦) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ٣٠٠.

أيهـا السيد! أيتهـا السيدة! مثلمـا نحن بحاجـة إلى المسائـل الماديـة، فنحن بحاجة أيضاً إلى المسائل الروحية، فمثلما نحاول دائماً تـأمين حاجـاتنا الجسدية ونسعى لتأمين حياة مرفهة، علينا أن نهتم بالأمر الذي هـو أسمى من هذه المعاني ألا وهو المسائل الروحية.

وحاجاتنا الروحية لا يمكن تأمينهـا من خلال الأكـل والشرب، وامتـلاك الدار الوسيعة، أو الزوجية الجيدة، كـلا بل يمكن أن تؤمّن حينمـا نردّ الـظلم عن أحد المظلومين، أو نفرّج كربةً عن أحد المسـاكين، أو نحاول المشـاركة في تزويج شابٍ محتاج مادياً، حين ذاك يمكن أن نُعتبَر متأسين بأمير المؤمنين عليّ «ع»، أو مقتدين بالزهراء البتول «ع» التي قدّمت قميصها الجديد لإحدى المستضعفات لتبقى هي مرتدية قميصاً له رقعة، بالرغم من أنها كـانت تمتلك أرض فدك.

ذهب أحـد التجار إلى السيـد المرحـوم آية الله محمـد بـاقـر الصـدر، وكانت امرأته ترافقـه، فدخـل التاجـر إلى حجرة السيـد الصدر، بينمـا ذهبت امرأته إلى داخل الدار لتلتقي زوجة السيد الصدر.

طرقت زوجة التاجر باب حجرة النساء لتخرج إليها زوجة السيد، وما إن رأت زوجة التاجر قِدَم ملابس زوجة الشهيد الصدر وبسـاطتها حتى ظنّت أنهـا الخادمة، عندها قالت: هل السيـدة موجـودة؟ إن لي معها عمـل مهم، حينها بان الخجل والحياء على محيّا زوجة السيد الصدر وفهمت الموضوع فأجـابت بالنفي، لذا رجعت زوجة التاجر أدراجها من حيث أتت.

وبعد أن ذهب التاجـر وامرأتـه، دخل السيـد الصدر إلى حجـرة النساء ليرى امرأته وقد بان عليها عدم الارتياح فسألها عن السبب؟ فقالت: إن زوجة التاجر ظنّت بأنني الخادمـة، لذا نفيت أن تكـون السيدة التي تعنيهـا موجـودةً خجلًا وحياءً.

حينئذ قال السيد الصدر عبارة جميلة وهي عبارة تدلل على أن المراجع والعـظام يدركـون هذه الأمـور جيداً، لقـد قـال: أجـل، إنـك لست بسيـدة،

فالسيدة هي التي كانت عباءتها ذات رقعات كثيرة، بالرغم من أن أرضها المسماة فدك ينعم فيها الفقراء والمساكين.

كم هي جميلة عبارته تلك، إنه كان رجلاً بمعنى الكلمة، والرجل هو من يتأتى له رفع الحيف والظلم عن المظلومين، أو هو الذي يستطيع تأدية دَين مستضعفٍ مسكين.

أما بالنسبة للسيدات فنقول: إن السيدة، ليست تلك التي تخلع فستاناً لترتدي آخر كل يوم، وإنها ليست تلك التي تطلب الحرير الذي لا يزيد في شخصيتها شيئاً، وإن التي تكون عباءتها من حرير غير تلك السيدة المبتعدة عن زخارف الدنيا وزينتها.

إن بعض السيدات يتأتى لهن شراء ستة أو سبعة عباءات بدل تلك العباءة الحريرة، ولو فعلن ذلك لكان بإمكانهن ارتداء واحدة وتوزيع الباقي على النساء المستضعفات الخيّرات اللائي سيشفعن لهن يوم القيامة، ويكنّ السبب في نجاتهن من نار الله الحامية.

أيها السادة! أيتها السيدات تعالوا معنا، وفكرّوا قليلاً في بحثنا هذا من أجل أبناءكم، ومن أجل عاقبتكم، ومن أجل سلامتكم، ومن أجل رضا الله تعالى ورضا ولي العصر الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولا تقولوا إن مستوى بحثنا متردي، كلا لأن مستواه سامٍ وراقٍ ولكن ما العمل معكم؟

إذا كانت الأذن أذنك والأنين أنيني فسوف لن يصل صراخي لأي مكان

الهي! بحق باب الحوائج موسى بن جعفر الكاظم، وبحق من آثر وضحى، وبحق من مات عطشاناً بشط الفرات، وبحق أبناء الحسين «ع» ارزقنا صفات التضحية والإيثار، ووفقنا لما تحب وترضى، وصلّ اللهم على محمد المصطفى وأهل بيته الطاهرين المنتجبين.

الفصل الثالث ١

البيت المقدس

الخدمة في المنزل

تأثير مال الحرام

البيت المقدس

لقد حثّ القرآن الكريم، وروايات أهل بيت الرسول الأكرم(ص) على التخلّق بالأخلاق الفاضلة في البيت، وامتدحوا البيت الذي ترى الألفة فيه والانسجام.

إن البيت الذي يخدم أفراده بعضهم البعض، والذي تقام فيه الصلاة والصيام وذكر الله، ويقرأ فيه القرآن صباحاً ومساءً، ولا تسمع منه غير أصوات الدعاء، عظيم، وعظيم جداً عند الله، ومبارك لأهله، وهو عند أهل السماء كالكوكب اللامع الذي يضيء لنا دروب النجاة في الليل الدامس.

وإن البيت الذي لا يُرى فيه غير العداوة والبغضاء، وعدم الانسجام والالتئام ولا يسمع منه صوتٌ للصلاة، ولا يقرأ فيه القرآن الكريم، ولا يدعى فيه إلّا بدعوات الشر، بيت غير مبارك، وأن الشياطين لتغدو وتروح فيه، وأن الملائكة لتنفر وتهرب من هكذا بيوتات وضيعة، عكس تلك البيوتات المقدسة التي قال فيها الباري في محكم كتابه الحكيم:

﴿في بيوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمه﴾ (النور/٣٦).

هذه البيوت يرفعها الباري تعالى معنوياً، كون ساكنيها يذكرون الله كثيراً من خلال التسبيح والدعاء الذي تسمعه ملائكة الله في عالم الملكوت.

إن لهذه الآية معنيين أحدهما ظاهري والآخر تأويلي، فالظاهري يعني: أن هذه البيوت مقدسة مثل المدارس والمساجد، لأن الذين يسكنون فيها مقدّسون، كونهم من المصلين والصائمين الذاكرين الله كثيراً، وأنهم وأنهم مبتعدون عن المعاصي والآثام والاختلافات والنزاعات التي تذهب بركة تلك البيوت.

أما المعنى التأويلي الـذي قال بـه الأئمة الـطاهـرون سـلام الله عليهم فهو: إن لفظ البيوت لا يعني هذه البيوت المصنوعة من الـطابوق أو الـطين، بل عنى سبحانه وتعالى بها الأبدان المقدسة للمؤمنين، والأفـراد الذين بلغـوا الكمال من مثل النبيّ الأكرم(ص)، والأئمة الطاهرين «ع».

دخل قتادة على الإمام الباقـر محمد بن عليّ «ع» فشعـر باضـطراب في نفسه وذلك من هيبة وأبّهة الإمام سلام الله عليه، حينئذٍ قال: يابن رسـول الله لقـد جلستُ إلى العلماء كثيـراً، لكنني لم اضطرب مثلمـا اضطربت لـديك؟ فقال الإمام «ع»: **«هل تعلم أنت بين يدي منْ؟ أنت بين يَـدَي بُيوتٍ أذِنَ اللّهُ أن ترفع ويُذكرَ فيهـا اسمه يُسبّح له فيهـا بالغـدوِّ والآصالِ رجـالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله»**[٢٧].

إن هـذا المعنى التـأويلي لا يـفهـمـه إلا الأئمـة مـن أهــل بيت رسـول الله(ص)، لأنهم من يُفَسِّر القـرآن الكريم الـذي له معنيـين: ظـاهري والذي هو حجّة على الجميع، وباطني يفهمه من له استعداد وقابلية على فهم ذلك الباطن.

نقـل المرحـوم الكليني رضوان الله عليـه في «الكافي» وبـالتحديـد في كتاب فضل القـرآن، روايات عن النبيّ الأكـرم(ص) والأئمة الأطهـار من أهل بيته عليهم السلام من جملتها الرواية التالية:

قال أمير المؤمنين عليّ «ع»:

«إن البيت الذي يُقرأُ فيه القرآنُ، ويُذكرُ اللّهُ عزَّ وجلَّ فيـه تكثُر بـركتُهُ وتحضُـرُه المـلائكِـةُ وتهجـرُهُ الشيـاطين ويضيء لأهـل السمـاء كمـا تُضيء الكواكب لأهل الأرضِ، وإنَّ البيت الذي لا يُقرءُ فيه القرآن ولا يُذكرُ اللّهُ عزَّ وجلَّ فيه تقِلُّ بركتُهُ وتهجرهُ الملائكةُ وتحضرهُ الشياطين».

إن الدار التي يعصى فيها الباري تباركت أسماؤه، دار لا يسمع فيها غير أصوات النزاع والصراع، وإن أبناء تلك الدار لا يمكن أن يكونوا أبناءً نـافعين

---

(٢٧) فروع الكافي/ ج ٦، ص ٢٥٦.

أو صالحين لأنهم كبروا على الخلافات والاختلافات، فأنى لهم أن يفكروا بنعم الله عليهم؟ وكيف يتأتى لهم أن يكونوا من ذوي القابليات والاستعدادات؟.

فإذا أراد الإنسان أن تكون داره مقدسة، عليه أن يهتم بالصلاة والصيام والذكر والدعاء وقراءة القرآن، وإذا رام أن تكون داره مباركة، فما عليه إلاَّ أن يحذر عمل المعاصي والآثام في تلك الدار، ويحاول جهد الإمكان تربية أبناءه وفق المناهج الإسلامية السامية التي جاء بها الرسول الكريم(ص) وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم.

فالبيت المبارك، والمال المبارك، والعمر المبارك، والأولاد المباركون، لا يُنالون إلاَّ من خلال الابتعاد عن المعاصي، وقد أخبرتنا الروايات المتواترة عن أئمة أهل بيت رسول الله(ص) بأن البيت الذي يعصى فيه الله لن يُبارك فيه، وكذا بالنسبة للعمر الذي يوظف لذلك البيت، والمال الذي يُصرف في ذلك البيت، والأولاد الذي يتربُّون في ذلك المكان الموبوء، كل هذا وذاك لن يكون مباركاً ما دام يتصل بتلك الدار التي تحيط بها الشياطين من كل جانب، بل وتغدو فيها وتروح، والتي هجرتها الملائكة إلى غير رجعة.

إن جملة «ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض» تعني أن تلك الدار التي يكون فيها قراءة القرآن وذكر الله بعيداً عن المعاصي والآثام تضيء لأهل السماء من الملائك، عندها تستفيد الملائكة من تلك الدار، وتلتذّ بالدخول والخروج إليها منها، على العكس من تلك الدار التي حَوَتْ على كلب يُلعبُ معه، ويؤكل معه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن جبرئيل أتاني فقال: إنّا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه كلب..»(٢٨).

إن هذه الرواية تحمل في طيّاتها ثلاث معانٍ، الأول ظاهري وهو: إذا اقتنى شخص كلباً ليتركه في الدار بدون تقييد، وبدون أن يكون مراده منه

الحراسة كما يفعل الغربيون، أو التابعون للغرب، والمشبّهون بهم، حشره الله يوم القيامة مع يزيد الذي كان يلعب مع الكلاب والخنازير.

وعليه تكون هكذا أنواع من الكلاب سبباً في عدم ورود الملائكة إلى تلك الدار، وهذا المعنى كما ذكرنا ظاهري كما يبدو.

يوجد هناك معنًى آخر وردنا عن أئمة أهل بيت رسول الله(ص) وهو أن المقصود من البيت، قلب الإنسان، أي أن القلب الحامل للصفات الرذيلة لا يدخله نور الله بالمرة، ولا تتواجد فيه الملائكة.

إن الملائكة توحي للإنسان، ذلك الإنسان الذي خلا قلبه من الكلاب، من الوحشية، من الحسد والمنّة والتكبر والعجب، وهذا معنى لطيف لهذه الرواية.

أما المعنى الثالث لهذه الرواية التي ترتبط ببحثنا هذا فهي:

إن البيوت التي تكون فيها النزاعات والاختلافات لن تكون محلاً لذهاب وإياب الملائكة، أي أن الذي تكون روحه وحشية، ونفسيته عدوانية يكون محل سكنه طريقاً لذهاب وإياب الشياطين، وهذا المعنى قريب من تلك الرواية.

على أية حال، إن إحدى هذه المعاني الثلاث ستكون ما عنته تلك الرواية التي وردتنا عن النبيّ الأكرم محمّد(ص)، وعلى حد قولنا نحن الطلبة: الجمع مهما أمكن أولى من الترك.

أظنّ أن بحثنا هذا كان مفيداً وجيداً ونافعاً، ولكنه لا يخلو من التحذير! فلو تأتى أن لا تعبر الملائكة من عندنا، ولا تمرّ بدورنا، ولو لم تكن يد الله الرحيمة فوق رؤوسنا، ولو لم يكن فضل الله ورحمته شامل لحالنا، لكانت أوضاعنا بائسة، بل وسيئة، ولكن ليست أسوأ من أوضاع أولئك الأطفال الذين يسكنون في تلك المساكن الحاوية على الكلاب، أو الأشخاص البزيئين

---

(٢٨) بحار الأنوار/ ج ٥٩، ص ١٧٧.

الذين يثيرون النزاعات والخلافات.

إن أولئك الأطفال لا يمكن أن يصبحوا طبيعيين، ولو سعى البعض لتأديبهم لكان من الصعب عليه أن يصل بهم إلى شاطىء النجاة الآمن.

لقد تحدث القرآن الكريم وفي مواضع عديدة عن مسألة البيت الآمن، وتطرق إلى أن الزوج يمكن أن يساهم في تأمين الراحة والهدوء في البيت، وكذا بالنسبة للمرأة، حيث جعل الله تبارك وتعالى الرجل سكناً للمرأة، وجعلها ـ المرأة ـ سكناً للرجل.

إن البيوت التي يُعصى الله فيها، لا تتنزَّل فيها الملائكة ولا تصيبها رحمة الله الواسعة، وإن البيوت التي اتخذت منها الشياطين محلاً لسكناها لا يمكن أن تهدأ فيها الأمور، لأن الحاكم فيها هو الاضطراب، القلق، الظن، والشك.

﴿أفمن أسس بُنيانَه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمْ من أسَّسَ بُنيانه على شفا جُرفٍ هارٍ فانهارَ به في جهنم، والله لا يهدي القومَ الظالمين﴾ (التوبة/١٠٨).

إن هذه الآية الشريفة شبّهت لنا المعقول بالمحسوس، وهذا ما نلاحظه أحياناً في آيات القرآن الكريم، حيث يُراد من ذلك إفهامنا أحد المعاني المعقولة من خلال تشبيهه بأمر محسوس فيقول تبارك وتعالى: أفمن أسس بُنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بُنيانه على جانب يكاد يهوى في وادٍ سحيق من مثل البناء المستند إلى الكفر والنفاق والفِرقة، وهكذا بناء لا يكون إلاّ في معرض السيل الذي يأيته من الجبل ليأخذه معه إلى قاع جهنم، وهذا هو حال أبنية الظلم والنفاق، وإن الله تبارك وتعالى لا يهدي القوم الظالمين.

فالذين أسسوا بنيانهم، بيوتاتهم، حياتهم على التقوى، على المحبة والألفة على الصلاة والصيام، وقراءة القرآن وذكر الله: **﴿يخافون يوماً تتقلَّبُ فيه القلُوبُ والأبصار﴾** (النور/٣٧).

وحينمـا يكون خـوف الله هو الحـاكم على قلوبهم، تكون تلك البيـوت التي يسكنون فيها مُحكمة الأساس، وأن الأبناء الذين يتخرجون من مثـل هذه البيوت سينفعون مجتمعـاتهم كونهم مؤمنين وخيّـرين، هذا بـالإضافـة إلى أن العيش في تلك البيـوت مبـارك، على العكس من تلك البيـوت التي أسست على شفا جرفٍ هار.

وبناءً على ماتقـدم، فمن أراد حياة سعيـدة في الدنيـا والآخرة عليـه أن يبتعد عن المعاصي والآثام، وعليه أن يحفظ بيته طاهراً مطهـراً بحيث لا يرى فيه شيئاً يخالف شرعة الإسلام الحنيف.

لقـد أوصى الإسلام كثيـراً بضرورة إقـامة النـوافـل في البيت، وإقـامـة الصلاة الواجبة في المسجد، ولا بأس أن تكون جامعة، وقـد حثت الروايـات المسلمين على عـدم التشبه بـالنصارى واليهـود الذين يستخـدمون معـابـدهم وكنـائسهم للصلاة بينمـا تخلو بيوتهم من العبـادة وذكر الله لـذا ينبغي لكم أن تهتموا بالنوافل في بيوتكم، وبالصلاة الواجبة في بيوت الله التي هي المساجد والتي قيل فيها إن لله أماكن يحبُّ أن يذكر فيها.

الخدمة في المنزل

إن أفضـل العبـادات في الإسـلام هي الخـدمـة المتقـابلة بين الـرجـل وامرأته، وكلكم تعلمون أن الشهادة في سبيـل الله هي أعظم الفضـائل، لكن الروايات المتواترة تؤكد على أن خدمة المرأة لـزوجها في البيت تعـدّ بمصاف شهادة الشهيد، وكـذا الأمر بـالنسبة للرجـل الذي يكـدّ خارج الـدار من أجل توفير العيش الشريف لعياله:

«الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»(٢٩).

إن أسمى الخدمات وأرقاها هي تلك التي يمكن أن يقدّمها المرء لعياله في بيته، وتلك التي يمكن أن تقدمها المرأة لـزوجها وأبنـائها في ذلـك البيت المبارك.

---

(٢٩) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ١٣.

ومن أراد أن يشمله الباري ببركةٍ منه وفضل، ورحمة، ويجعل بيته مساراً للملائكة الطاهرين عليه أن يُرضي عياله وأبناءه عنه، بعد أن يحاول كسب رضا الله من خلال توطيد علاقته معه تباركت أسماؤه وجلّت صفاته.

هنيئاً لأولئك الرجال والنساء المنسجمين فيما بينهم، والذين رضي الله عنهم بعدما أرضوه بالتزامهم بشرعته الحقّة.

والويل والثبور لأولئك الرجال والنساء الذين لم يعرفوا حقوق الله عليهم، فتراهم غير منسجمين وغير متلائمين بل لا نراهم إلا متنازعين ومختلفين، وذلك بسب عدم وجود علاقة متينة مع الله تبارك وتعالى.

والويل لأولئك الرجال الذين لم ترضَ عنهم نساءهم، وتلك النساء اللواتي لم يرض عنهن أزواجهن، إنهم الجهنميون الذين خلت بيوتهم من البركة الإلهية، وليس لهم من فضل الله شيء، ولن يكون لهم نسل ولا عمر مبارك في تلك الدار.

تأثير المال الحرام

إن الطعام الحرام الذي يدخل إلى الدار ثم يدخل إلى بطونكم بعد اكتسابه من الرشوة، أكل أموال الناس بالباطل، من الربا، ومن... طعام غير مبارك، وطعام ستدخلون بسببه نار جهنم الحامية، وبسببه أيضاً ستكون دوركم ومنازلكم ممراً لعبور الشياطين الرجيمة:

﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً﴾ (النساء/ ١٠).

لقد ذكر الباري تعالى اليتيم في هذه الآية المباركة باعتبار أن أكل ماله بالباطل أكبر مصداق على الظلم، أو أكبر مصداق على الأكل الحرام، لذا يكون معنى الآية، أن من يأكل المال الحرام، سيصلى سعيراً.

لقد علّق الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع» على هذه الآية فقال: إن الذي لايعطي الخمس من أمواله، ولا يزكّى، ويأكل أموال الرشوة، والربا، والغشّ، ومن طرق الحرام لا ينبغي له أن يظنّ بأنه يأكل خيراً، كلا، إنه يأكل

ناراً «إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»، وأن الذي يرى بعين البصيرة ناراً على مائدته حينما يكون قابضاً للزكاة أو الخمس، ويرى أبناءه يأكلون ناراً بدل الطعام الممدود أمامهم هو الذي قيل فيه:

﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾ (قٓ/٢٣).

ومثل هكذا أفراد لا يتأتى لهم إلا الرجوع إلى جادة الصواب والهداية والسوء، على العكس من أولئك الذين يظنون أنهم يأكلون خيراً بالرغم من أنهم لا يأكلون غير النار الممزقة لأمعائهم، ولكن لا يشعرون إلا بعد أن يكشف الله لهم عن أستار الحقيقة ليروا بأمهات أعينهم ماذا كانوا يأكلون؟.

إن الزوجة والأولاد الذين يتناولون طعامهم من تلك المائدة التي جلبها لهم ربّ الأسرة من أموال الحرام، ستتضح لهم الأمور على زمن الآخرة ليصبحوا من ألدّ أعداء ذلك الرجل، وسيقفون أمامه ليقولون له: لماذا أطعمتنا ناراً؟ لماذا لم تخرج الخمس من أموالك؟ إنك بإطعامك الحرام لنا جررتنا إلى عمل المعاصي، وبذلك منعتنا من نيل السعادة الأبدية التي كان لنا أن نحظى بها لولا إطعامك لنا من أموال الحرام تلك!.

وتحكي الروايات لنا عن ذلك السيء الحظ الذي كان يعمل في الدنيا ليل نهار من أجل زوجته وأبناءه، وفي الآخرة يجدهم أمامه أعداءً ناقمين! يدعون الله عليه ويرجونه أن يزيد في عذابه باعتباره السبب في دخولهم النار بعدما أطعمهم من مال الحرام فقست قلوبهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يأتي ليرى ميزان عمله وإذا به لا يجدُ إلاَّ ما يضرّه، إلاَّ ما يدخله إلى نار جهنم.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً﴾ (الفرقان/٢٣).

إن هذه الآية المباركة تتحدث عن عدّة من الناس عبدوا الله كثيراً، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجّوا بيت الله الحرام، وزاروا قبر الإمام الحسين بن عليّ «ع» في كربلاء لأنهم خلطوا أعمالهم تلك بأكلهم الحرام

فحشـرهم الله بدون عمـل صالـح، فسخـر البعض منهم وقـال: هؤلاء الـذين حوّلت أعمالهم إلى الغير ليتبؤوا هم مقاعـد في النار جـرّاء ما جنت أيـديهم، ولقد كان أزواجهم وأبناءهم في رفاهٍ ونعمة في الدنيـا، واليوم يـدخلون جهنم بعد أن أضحى أبناءهم وأزواجهم ألدّ أعدائهم بسبب مـا حملوا لهم من أموال حرام.

فيا أيها المسلم الخيّر! احذر من أكـل أموال النـاس، واعلم بأن الـذي جمع المال الحرام ليعيل أهله لم يَفُزْ إلاَّ بجهنم ودعاء الشـر ممن حمل إليهم تلك الأموال، فلا تكن جهنمي باكتساب الأموال من الطرق المحـرّمة التي لن تكون إلاَّ وبالاً عليك يوم القيامة.

* * *

الفصل الثالث ٢

تجسم الأعمال

التفاهم في البيت

سبق وأن ذكرنا بأن الاختلاف والنزاع مذموم في الإسلام وإن الألفة والمحبة والاتحاد مقدس فيه، وأن القرآن الكريم ذكر بأن إحدى الصفات البارزة لأهل النار هي لعنهم لبعضهم البعض:

﴿كلّما دخلت أمّةٌ لعَنَت أختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهُم لأولاهُمْ رَبَّنا هؤلاء أضَلُّونا فأْتِهم عذاباً ضعفاً من النار، قال: لكلٍّ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون﴾ (الأعراف/٣٨).

إن هذه الآية تؤكد على أن أهل النار لا يعترفون بجرائمهم، وأنهم يتنازعون حتى في الحياة الآخرة، ويتهم بعضهم البعض بالتقصير والانحراف.

تجسّم الأعمال

لو تأتّى لنا في هذا المقام طرح تجسّم الأعمال لقلنا إن معنى ذلك هو: إن الاختلاف الذي قد يحدث في بعض الأحيان بين الرجل وامرأته وعدم قبولهما بأنهما مقصّران حيث يقول الرجل لزوجته: أنتِ السبب في بؤسي، وهي تقول له مثل ذلك، فيقول الرجل: إن سوء خلق الأولاد كان بسببك، وهي تقول له شيئاً يشبه ذلك، إلى أن يصل بهما الأمر ـ والعياذ بالله ـ إلى استخدام العبارات البذيئة والفاحشة، سيؤدي بهما مستقبلاً إلى حيث ما لا تحمد عقباه.

إن تلك الدار في ظاهر أمرها داراً طبيعية، لكنها بقانون تجسّم الأعمال لا تعدو أن تكون جهنم، وستثبت الأيام ذلك حينما ينكشف الغطاء لتظهر الأمور على حقيقتها.

أخاطبكم أيها الرجال! وأنتن أيتها النساء! وأقول لكم جميعاً بأن الدنيا والآخرة وجهان لعملة واحدة، الظاهر هو الدنيا، وباطنِ هذه الدنيا هي الآخرة، وأن ما يقع في هذه الدنيا تبرز حقيقته وواقعيته في الآخرة، فإذا ما مسّنا والعياذ بالله شيءٌ من جهنم وانتقامها فمرجعه إلى أعمالنا هنا «ذلك بما قدمت أيديكم» وإذا ما حظينا بنعم الجنة وحورها وقصورها فذلك مرجعه إلى أعمالنا أيضاً التي مارسناها في هذه الدنيا الدنيّة.

﴿كُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية﴾ (الحاقة/٢٤).

في الجنة يأتي الخطاب: أيها الصائمون! كلوا واشربوا هنيئاً جزاءَ صيامكم في شهر رمضان المبارك، وجزاء ما قدمتموه من صيام في غيره من الأيام، وأن هذه النعمة التي تنعمون بها اليوم أنتم هيأتموها لأنفسكم في الدنيا لتصل إلى مرحلة النضج في هذه الحياة الآخرة.

وكذا الأمر بالنسبة للنزاعات والخلافات، والكلام البذيء الذي قد يصدر من الزوج تجاه زوجه أو من المرأة تجاه زوجها، فذاك سيتجسد لهما بشكل حيوان متوحش في الآخرة أو نار جهنم، فالظاهر هنا، وهو الكلام البذيء، والباطن هناك هو جهنم، وما يفعله الإنسان هنا لا بد أن يلقاه على حقيقته في تلك الحياة الآخرة.

إن الآية المباركة «كلما دخلت أمة. .» تريد الإفصاح عن قانون تجسّم العمل، أو بعبارة أخرى تريد القول بأن الاختلاف الموجود هنا بينكم، وداخل بيوتكم، ستنتقلون معه إلى جهنم وستكونون مختلفين أيضاً في ورودكم إلى تلك النار التي سعّرها الجبار العظيم، فمن كان لعّاناً وبذيئاً في هذه الدنيا الدنيّة، وكان يُلعن أيضاً سينتقل بحاله هذه مع ذلك الذي يلعنه إلى نار جهنم، أو سيتجسد ذلك اللعن إلى أفاعي وحيّات وحيوانات متوحشة تلتهمه فلا يموت، بل يبقى حيًّا خالداً في ذلك العذاب إلا أن يأذن الله له غير ذلك.

وعلى العكس من ذلك أولئك الذين لم يبدُ منهم في الحياة الدنيا غير الكلام الطيّب، والعمل الحسن والذين قال فيهم القرآن المجيد:

﴿على سُررٍ موضونة، متكئين عليها متقابلين﴾ (الواقعة/١٥، ١٦).

هؤلاء كانوا مع أزواجهم منسجمين ومتلائمين ومتراحمين بعضهم على بعض، ولهذا تمكّنوا من تلك السرر الموضونة، ومن تلك الجلسة التي فيها متقابلين والتي يتشكر فيها البعض من البعض الآخر، ويقول: إنك كنت السبب في ورودي إلى الجنة، وأنت الذي كنت السبب في هدايتي إلى الطريق القويم.

على أية حال، إذا ما حكمت الألفة والمودة والمحبة في البيت حظي الجميع بفضل الله في الدنيا والآخرة، فالمرأة تبتسم بوجه زوجها حينما يعود إلى البيت، والرجل يتشكر من زوجه حينما يطعم طعامها الذي صنعته بيدها، وبشكل إجمالي تكون الأخلاق الإسلامية هي السائدة في البيت، وهي الطاغية على جوّه، وإذا ما حُفِظَ البيت من تلك المشاكل والنوائب والمعضلات التي يصنعها الإنسان لنفسه، فاز أفراده بخير الدنيا وخير الآخرة.

التفاهم في البيت

اشكروا بعضكم البعض في البيت، واعتبروا أنفسكم مقصّرين بحق من تعيشون معهم تحت سقف واحد، أقول قولي هذا للرجال والنساء الخيّرين، وأؤكد على الرجال أن يلتزموا بهذا الأمر المهم كونهم لا يمتثلون في الغالب لأوامر أحد.

أتمنى للرجال أن يبتعدوا ما أمكن عن حالات الغضب بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وبالصلاة على محمد وآل محمد، وإذا ما اتفق أن غلبهم الغضب يوماً، ثم هدأت ثورتهم بعد ذلك ينبغي لهم أن يعتذروا لأزواجهم عما بدر منهم، بل ويطلبوا العفو، ولا يتكبروا أبداً، لأن طلب العفو والاعتذار ذاك يعتبر بمثابة بناءً للنفس، وتعلّم للصبر، فالبيت يجب أن يكون مدرسة، وأفضل من المدارس، وأحسن الكتب الأخلاقية، وأسمى معلّمي الأخلاق للرجل وامرأته، وبالخصوص للنساء، وإذا ما رأت المرأة زوجها غاضباً، ثم هدأت سورة غضبه ولم يعتذر فلتبادر هي بالاعتذار، ولا تركبها سورات القهر والانفعال والغضب، لأن ذلك ليس من الافتخار في شيء، بل من عمل

الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس كي يجعل من البيوت ناراً يتدفأ عليها، ولا تنسوا بأن الخصام والغضب يجرّ الإنسان إلى جهنم حرًّا، وأن التبسّم والتعقل يجرّه إلى جنة الله الواسعة ورحمته التي وسعت كل شيء.

فمن رأى من صاحبه عدم اعتذار فلا بأس أن يتقدم هو للاعتذار، ولو لم يكن مقصراً، فإن فعل ذلك خجل صاحبه منه وعلم بأنه المقصّر، وهذا من العقل والرحمة واللطف.

فمن رام حياةً سعيدةً في الدنيا والآخرة، فما عليه إلّا أن يكون عاقلاً حينما تلتهب نار الغضب والنزاع، وأن يركن إلى الأرض إن كان واقفاً، بالإضافة إلى محاولة مس صاحبه، لأنه يقال إن مسّ الطرف المقابل يُطفيء نار الغضب بسرعة عجيبة.

هذا، ناهيك عن السعي الحثيث جهد الإمكان أن لا تحدث خلافات أو نزاعات في البيت ولو لساعة واحدة، لأن ذلك سيؤثر مستقبلاً على العلاقات الاجتماعية في البين الأسري مما قد يجرّ إلى مضاعفات غير حسنة.

فالرجل يجب عليه أن يُظهر رجولته ويتجاوز باعتباره رب الأسرة، والمرأة عليها أن تتواضع أمام زوجها وتكون مصداقاً للآية التي تقول:

﴿**فالصالحات قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله**﴾ (النساء/٣٤).

إن الزوجة الصالحة تمتلك صفتين لاغنى عنهما، الأولى: التواضع لزوجها ولو كان مقصراً، والثانية: العفّة في الخلوةِ والحضور.

فالزوجة العفيفة لا ينبغي لها أن تكون محجّبة أمام زوجها، وسافرة متبرّجة في غيابه، والجدير بالذكر أنها يجب أن تلتزم بحجابها حتى أمام أخوة أزواجها وأقاربه كونهم يعتبرون أجانباً إذا ما حكّمنا الشرع في ذلك، ناهيك عن التزامها في الشارع، وفي المدرسة، وفي البيت كيما يرضى الله عنها، وكيما تكون قدوة لباقي النساء اللائي لم يتعرّفن بعد على الدين.

قد يكون الاختلاف في بعض الأحيان طبيعياً، فالرجل يريد أمراً،

وزوجته تبغي آخراً، عندها يقع الاختلاف، لكننا نجد في بعض الأحيان أن الرجل وامرأته وصلا إلى حالة من النضوج والرزانة بحيث يحاول كلّ منهما نبذ الاختلاف أصلاً، وهذا شيء حسن ويتوافق مع المقررات الإسلامية السامية.

أما تلك المرأة التي لاتسكت حينما ترى زوجها غضبان أسِفاً، لا تعدو أن تكون من الصابّين الزيت على النار، وفي حقيقة الأمر أنها تصبّ الزيت على نارِ جهنم التي ستلتهمها يوماً ما:

﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقُودُها الناس والحجارة﴾ (التحريم/٦).

لقد حثّ القرآن الكريم على تفادي الاختلافات والنزاعات في البيت، وفي غيره، لكنه أكّد على نبذها في البيت بشكل أعمق، لأن تلك النزاعات تسقط هيبة الرجل أمام زوجته، وتُسقط هيبة المرأة أمام زوجها، عندها تنفلت عرى المحبة والود والألفة ويضحى الزوجان كرجل وامرأة غريبين عن بعضهما البعض، فلا يعتمد أحدهما الآخر حتى في أبسط المسائل وهذا ما لا يرضاه الشرع المقدس.

إذا بلغ الحال بالزوجين إلى هذه المرحلة بدى الضجر والملل عليهما عندها لا يتمكنان من تقديم أبناءٍ نشيطين فاعلين عاملين للمجتمع، لذا ينبغي بكم أن تحذروا بلوغ هذه المرحلة الخطيرة؛ وعلى حد قول العامة: «اليد المنكسرة يمكن أن تقدم عملاً، لكن القلب المنكسر لا يقوى على ذلك».

يقول الإمام الهمام موسى بن جعفر الكاظم «ع»:

«إيّاك والضجَرَ والكسَلَ فإنّهما يمنعانِ حظّك من الدنيا والآخرة»[٣٠].

فالرجل الذي بدىٰ عليه الخمول والضجر لا يعدو أن يكون إلّا عضواً زائداً في المجتمع لا نفع فيه، والمرأة التي انكسر قلبها لا يتأتى لها مداراة

---

(٣٠) بحار الأنوار/ ج ٧٨، ص ٣٢١.

زوجها، ولا يمكن لها القيام بالأعمال المنزلية، وتربية الأولاد:

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكُم﴾ (الأنفال/٤٦).

وهذه الآية تنطبق أيضاً على جميع المسلمين في الكرة الأرضية، فلو اجتمع المسلون على كلمةٍ واحدة، والتزموا بها قولاً وفعلاً لدانت لهم جميع الحكومات والشعوب الغربية والشرقية، ولكن إذا تنكّروا للاجتماع على كلمةٍ سواءٍ بينهم تدنّتْ هيبتهم وتسافلت، ونظرت إليهم الأمم على أنهم خدم يجب استغلالهم إلى أقصى الحدود.

فالرجل اللعّان لا ينبغي له أن يتصور بأنه بلعنه ذاك سيلحق الضرر بزوجته أكثر ما يلحقه بشخصيته التي ستُخدش بل ستتهاوى من جرّاء ذلك اللعن أو السبّ، أو التعرّض لبذيء الكلام.

أما الزوجة التي لا تتمكن من قلب زوجها، ولا يسعها من التمكن أطلب منها مراجعة الأحاديث التي تواترت علينا من الرسول الأكرم(ص) وأئمة أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم، لتتعرف على كيفية الحظوة بقلب الزوج، ويمكن أيضاً أن تسأل النساء الخيّرات الصالحات ليرشدوها إلى الطريقة المثلى في كسب قلب زوجها بصورة سلميّة.

إن إحدى المسائل التي تسهمُ في انقباض الرجل عن زوجته: النزاع والخلاف وعدم الائتمار بأوامره ـ هذا إذا كانت تلك الأوامر مطابقة للشرع الإسلامي الحنيف ـ وعدم السكوت عليه في حالة غضبه، وعدم التودد إليه والتحبّب، وقد حثّ القرآن الكريم على نبذ الفرقة والخلاف؛ والاعتصام بحبلِ الله المتين الذي هو إحدى نعم الله تعالى على هذا البشر.

لقد عدّ القرآن المجيد النزاعات والخلافات من المسائل الخطيرة، والخطيرة جداً في حياة البشر إلى درجةٍ صوّرها لنا كالوادي الذي تلتهب فيه النيران، وقد جلس عليها المتنازعون والمختلفون، فلو قفز أحد المتنازعين في ذلك الوادي الممتلىء ناراً لأصبح في عداد ألسنة اللهب المتطايرة منه.

وبعبارة أخرى لو جلس أحدهم على صخرةٍ تطلّ على وادي سحيق،

وكان أسفل الصخرة خالي أو مجوف، فما إن يتحرك قليلاً حتى يرى نفسه في قعر ذلك الوادي، وهذا هو تصوير الاختلاف والنزاع في القرآن الكريم:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتِهِ إخواناً، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾ (آل عمران/١٠٣).

قال في بداية الأمر اعتصموا بحبل الله جميعاً، توحّدوا، وكونوا إخواناً فيما بينكم، بعد ذلك قال: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته ـ نعمة الاتحاد والأخوة والإلفة ـ إخواناً.

ألا تذكرون حينما كنتم على شفا حفرة من النار ـ النزاعات والخلافات التي كانت سائدة بينكم ـ فأنقذكم منها ـ ووجدتم النجاة من خلال النعمة الإلهية ـ كذلك يبين الله لكم آياته ـ علكم ترعوون عن تلك الخلافات ـ لعلكم تهتدون.

نرجع ثانية إلى بحثنا الذي يدور حول البيت المتآلف، والذي يَعلوه الحب والودّ والانسجام فنقول: ينبغي بالمرأة وزوجها أن يشكروا الله كثيراً على هكذا نعمة، وأن يطلبوا منه أن يديم عليهما المحبّة والألفة، وهذا يحتاج إلى بذل نفسي خاص ومدروس إذ يجب على المرأة الطالبة لديمومة هذه النعمة أن تلتزم بأوامر الله عليها، وبحق زوجها عليها والذي ألزمها الله به، وكذا الأمر بالنسبة للزوج، إذ يجب عليه ـ إذا كان راغباً في حياة سعيدة ومثمرة ـ أن يلتزم بالأخلاق الفاضلة، والصبر الجميل، وبالمجاملات الحسنة كيما يفوز برضا الله ورضا زوجه التي تعاشره وتسكن إليه.

وحسب قانون تجسّم العمل تكون الزوجة السيئة الخلق! والزوج المتنازع مع زوجته لأتفه الأسباب، جالسين على شفا حفرةٍ من النار، فهل تعلمون متى سيصيران إليها؟ أجل، بمجرد أن يفارقا الحياة.

لقد سقط أحدهم من أعلى بناء مسكنه فمات من ساعته، فرآه بعضهم

في المنام وسأله عن أحواله، قال: لم أر منكراً ولا نكيراً، ولم أشعر بضغطة القبر، بل كان سقوطي من أعلى البناء مباشرة إلى جهنم!.

أيها السيد! أيتها السيدة! إن هذه الدنيا ستمرّ على الجميع وستزول، ولكن هناك شيئين لن يزولا أبداً، أولهما التضحية والإيثار، وثانيهما نعمة الجنة، وعذاب جهنم الأليم.

فمن التزم بالتضحية والإيثار جعل الله له نوراً يتميز به عن غيره في صفوف الحشر الرهيبة، وهذا باقٍ له في عالم الخلود.

لقد أصبحت النزاعات بيننا لا تقتصر على الجهلة والأميين، بل تجاوزتهم إلى المثقفين والتجار والكسبة والطلاب، بل قد نرى في بعض الأحيان أن المثقف الفلاني يتنازع ويتخاصم أكثر من ذلك الذي يُنعت بالأمية، ونرى الدكتور الحاصل على أعلى الشهادات جيد الأخلاق خارج منزله، لكن زوجته التي تنتظر قدومه طول النهار وتسعى ما أمكنها لإسعاده تئن من سوء أخلاقه في البيت؛ ونرى السيدة المثقفة المتمدّنة تنسجم وتتناغم مع الكثير من السيدات في مجال عملها، وفي محل سكنها، لكن لو تأتى لكم فتح قلب زوجها لشاهدتم ما يعاني ذلك القلب من تلك المثقفة، حتى لنسمع صوت ذلك القلب يقول: خلصوني من ذلك العفريت الذي اسمه «شريكة حياتي».

لذا ينبغي لكم ولنا الاتعاظ بتلك الأمثال، واعلموا بأن علماء النفس يقولون إن ما يحدث في المجتمع يمكن أن يعتبر مرآة لأفكار المجتمع، وحقاً ما يقولون، عليه أنقل لكم هنا أحد الأمثال العامة التي سمعناها من أفراد هذا المجتمع.

يقال إن أحد السادة طلع المنبر ليقول: من كان غير راضياً عن زوجته فليقف، فوقف الجميع باستثناء رجل واحد ظلّ جالساً في مكانه، عندها صاح الذي على المنبر من شدة فرحته: الحمد لله وجدنا من هو راضٍ عن زوجته، ولكن لم تمضِ إلاَّ لحظة حتى صاح الجالس: كلا، أيها السيد! إن امرأتي

كسرت إحدى قدميّ لذا لم أتمكن من القيام.

وضعنا الحالي أيها السادة يشبه ذلك الوضع بالضبط، لذا لا يمكن أن نجد رجلاً راضٍ ١٠٠٪ عن زوجته، وفي المقابل لا نجد امرأة راضية ١٠٠٪ عن زوجها.

إن بعض الروايات تقول: إذا كانت الخلافات تحدث بين اثنين من المسلمين فمن الأولى أن تحدث بين الرجل وزوجته كونهما يعيشان تحت سقف واحد، لذا ينبغي ومنذ اليوم الأول أن يتصالحا، ولا بأس أن تعتذر المرأة لزوجها ولو كان مقصراً، وقد ذكرت الروايات المتواترة بأن المرأة يجب أن تذهب في اليوم الأول إلى زوجها لتعتذر منه، وإلّا كان ذلك في اليوم التالي، فإن توانت في ذلك ذهب هو إليها كي لا يبقى في القلب ما يجرّ إلى الحقد والضغينة، هذا حتى إذا كان في الأمر خطأ أو تجريح.

أما إذا لم تذهب المرأة في اليوم الأول، ولا الثاني، ولا الثالث، لم يتنازل الرجل شيئاً قليلاً فسيبدأ الحقد بمدّ جذوره إلى أعماق قلبيهما، وتضحى القضية أعمق من تلك المشكلة التي بدأت بأقل من ذلك.

نقل المرحوم الكليني أكثر من عشرة روايات بصدد هذا الموضوع عن الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته الأطهار «ع»، ونقل العلامة المجلسي رضوان الله عليه أكثر من ثلاثين رواية تهتم بهذا الموضوع كلّها تتعرض إلى مسألة واحدة، وهي أن الأئمة الأطهار من آل الرسول الأكرم(ص) يقولون بخروج المتخاصمين من ربقة الإسلام إذا مضى عليهما أكثر من عشر ليالي بدون صلح.

إذا كنا لا نهتم بما يحدث لنا في هذه الدنيا، ولا نهتم بما سيؤول إليه أولادنا، ينبغي لنا الاهتمام والتفكير بهذه الروايات، التفكير بديننا بإسلامنا، وإذا ما فكرنا بذلك وجب علينا أن نبتعد عن تلك الاختلافات والنزاعات والصراعات، لماذا هذه الاختلافات الكثيرة بيننا؟.

أيها السيد! إذا كنت ترى من الصعب عليك بذل ما لديك من أموال

على أسرتك، فما هو ذنب تلك المـرأة المسكينة التي هي في منـزلك تعمـل صباحاً مساءً من أجل سعادتك؟.

أيتها السيدة! إذا كان زوجك لا يستـطيع تـوفير مـا تريـدين من حوائـج ولـوازم، فلم الخلاف والنـزاع؟ ولِمَ الغضب؟ ولـو اتفق أن تكـونين مكـانـه، وبهذا الراتب فهل يمكن توفيـر كلّ ذلـك الذهب الـذي تريـدين؟ وهل يتـأتى توفير كل تلك الملابس والثياب؟.

فإذا لم يكن زوجك قادرٌ على ذلك، لمـاذا النزاع والجـدال والغضب؟ لماذا تصرخين وتولولين هنا وهناك؟ وإذا مـا أردتم تجهيز ابنتكمـا لتذهب إلى بيت الزوجية فمـا عليكما إلاّ أن تجلسـا وتتشاوروا بكـل هدوء، وبكـل تسلّط، بعيداً عن الغضب والانقباض، وبعيداً عن تهيئة لوازم تقترضان ثمنها من هـذا وذاك لترتيب أوضاع غير مباركة، وأقول غيـر مباركـة باعتبـار أن الاقتراض مـع إمكانية ترتيب أوضاع بدونه غير صحيح.

* * *

الفصل الثالث ٣

الاعتياد على المعصية

التبرّج، إشاعة الفحشاء،

تبرير المعصية

الغيبة ـ التهمة

الاعتياد على المعصية

إن من الأشياء التي توجب سلب العناية الإلهية من الشخص، ومن الدار بشكل إجمالي: المعصية، والمعاصي تقسم إلى قسمين على أحد الاعتبارات، معاصي كبيرة وأخرى صغيرة، وهو ما لا نعنيه في بحثنا هذا.

أما الذي نعنيه وباعتبارٍ ثانٍ هو: الاستمرار على المعصية، وعدم الاستمرار عليها.

ففي بعض الأحيان تبدر من أحدهم معصية من مثل الكذب ـ والعياذ بالله ـ وبسبب هذا العمل السيء يجب أن يتوب المسيء ويستغفر ربّه، ولكن نرى البعض يستمر على هذه الحالة فهو يكذب كل يوم، ويغتاب كلّ يوم، ويبث الشائعات كل يوم، ويظلم كلّ يوم، وهذا خطرٌ جداً، ولخطورته الشديدة تعرض له القرآن الكريم بشكل جليّ حيث قال فيه:

﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السُّوَىَ أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون﴾ (الروم/ ١٠).

فالأفراد المداومون على المعاصي، يرتفع عنهم الاعتقاد بكلّ شيء، بل ويكذبون كل شيء، ويعتبرونه خرافة.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد سلام الله عليه في عدّة روايات:

«إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن تاب إنمحت، وإنْ زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح أبداً»(١٣٢).

---

(٣١) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ٣٢٧.

لـذا أطلب منكم أن تسعوا جهـد إمكـانكم أن لا تنقـادوا إلى فعـل المعاصي، وإذا ما بدر منكم ذلك، عليكم أن تستغفروا الله بسرعـة، وتتوبـوا إليه توبةً نصوحاً، وحالوا أن لا تكونوا من المداومين على المعاصي والآثام.

وهناك تقسيم ثالث للمعاصي وهو: قد يكون للمعصية هيبة في القلب، أي قد يشعر الفـرد بتلاطم بـاطني بعد نـظرةٍ شهوانيـة إلى ما حـرّم الله تعالى النـظر إليـه ـ على سبيـل المثـال ـ، أو بعـد أن يمـارس الفـرد اغتيـاب أحـد الخيّرين، أو يكذب.

أما في بعض الأحيان تـراه لا يشعر بشيء أبـداً، لا تلاطم روحي، ولا امتعاض من عمل المعصية، وهذا ما تجلبه المـداومة على المعـاصي، حيث ينعدم الإحساس بجلال وهيبة الذنب.

وإذا مـا حدث ذلـك، وارتفعت هيبة وجـلال المعصيـة من القلب كـان ذلك أسوأ من الاستمـرار في المعصية، لأن المستمـرّ في المعاصي يمكن أن يوفق للتوبة في حال وجود تلك الهيبة والجـلال من المعصية في القلب، لكنّ ارتفاع الهيبة والجلال لن يجعل الفـرد يوفق إلى التـوبة، وإذا تمكن من ذلـك فالأمر لا يخلو من صعوبة بالغة.

التبرّج، إشاعة الفحشاء

إن البعض من النسـاء وفي حال الأعـراس يستهترن بـالحجاب ويبـدين زينتهن بالرغم من أنهن يعلمن أنّ ذلك العمل لا خيـر فيه، وأنـه عمل سيء، وعنـدما ينتهي العـرس، يتبـن إلى الله ويستغفرنـه، ويبكين على فعلهن ذاك، وهذا ما أسميناه بالتلاطم الروحي.

ولكن قـد يضحي ذلك الاستهتـار بالحجـاب عـادة، من دون أن تـديـر ظهرها لعفّتهـا، لكنها على سبيـل الفرض تستـاء من لفظة الـزنا، وتحتقـر من يمارسه وتعتبر ذلك العمل سيئاً جداً، بالرغم من أنها ـ والعيـاذ بالله ـ تمـارس أكثر من ذلك العمل الوضيع من خلال عدم اهتمامها بظهـور شعرهـا ورقبتها، وتزيّنها بشتى أنـواع المكياج، وبلبسهـا لقميص نصف كُمّ، وجوارب شفـافة،

وتتحدث بإزارٍ مفتوح إلى صاحب المحلّ التجاري الذي تريد منه الشراء، بل وتضحك معه وتتلطف له في الحديث. وهذا أسوأ من الزنا، لأنه بنظر القرآن المجيد إشاعة للفحشاء، وإشاعة الفحشاء أعظم معصيةً من ممارسة الفواحش نفسها:

﴿إنَّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾ (النور/١٩).

فالمرأة التي توزّع الابتسامات هنا وهناك، وتمزح مع شباب المحلة أسوأ من تلك الزانية، كونها تشيع الفحشاء وتشجع عليها وستلقى جزاءها في الدنيا قبل الجزاء الذي ينتظرها في الآخرة، وكذا الأمر بالنسبة للشاب الذي يحاول أن يمزح مع الفتيات أو النساء المتهورات سيُعدّ هو الآخر أحد المروّجين للفحشاء، وبالرغم من أن القرآن الكريم قال في الزنا:

﴿ومن يفعل ذلك يَلْقَ أثاماً﴾ (الفرقان/٦٨).

يكون الترويج للفحشاء أعظمَ معصية من الزنا الذي يلق فيه المرء أثاماً، كونه يُعلِّم البقيّة من الحمقى على هذه السبيل المنحرفة مما يجرّ المجتمع إلى ويلات ومصائب في الدنيا والآخرة.

إن بعض النساء تتعود على تلك الحالة من عدم الالتزام بالحجاب الكامل، لأن هيبة المعصية على ما يبدو ذهبت من قلبها وأضحى الأمر عاديًا جدًّا بالنسبة لها، فهي تجلس عند شقيق زوجها وتتحدث إليه بدون حرج، وتمزح معه، وتريه زينتها، وتكشف له عن ساقها وعضدها، وكأن الأمر طبيعي؛ وهنا يكمن الخطر الذي يجرّ المجتمعات إلى أسفل السافلين.

لذا، فالإنسان المخطيء أو المسيء عليه أن يستغفر ويتوب، ويَعِدُ ربّه بعدم الإتيان بذلك الخطأ مرّة أخرى، فإذا لم يَرَ نفسه على هذه الصورة فليعلم بأن هيبة المعصية ذهبت من قلبه، وأضحى الأمر طبيعياً بالنسبة له لامتلاء قلبه بالندب السوداء التي تأتي بها تلك المعاصي والمساوىء.

وبناء على ذلك أوصي النساء، كل النساء بعدم ارتداء الجوارب

الشفّافة في هذا الصيف الآتي، وأطلب من الرجال أن يمنعوا نساءهم من ارتداء هكذا جوارب تُتيح للناظر رؤية ما تحتها.

إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب «ع» كان في أيامه يقول للأصبغ بن نباته ما مضمونه: «سيأتي زمان على أمّة محمّد(ص)تَكون فيها النساء كاسيات عاريات» بعد ذلك يضيف: «وذلك زمان الفتن وإن تلك النساء سيذهبن إلى جهنم ليخلدن فيها».

لذا أقول للسيدات! لا بأس من لبس جورابين ـ زوج من الجوارب ـ كيلا يتبين الناظر أرجلكن، واحذرن لبس الملابس التي تكون أكمامها قصيرة، وإذا أردتن إعطاء الكاسب ثمن ما تشترين منه، فما عليكن إلا أن تفعلن ذلك بكل عفّة، وأكثر من هذا أطلب منكن وأقول: إذا تأتى لأحدهم أن يتحدث إليكن، ويترقق بالحديث فما عليكن إلا أن تكن جديات غير ممازحات، وكذا أود القول للرجال الذين إذا اتفق أن يتحدث إليهم النساء، فما عليهم إلا أن يكونوا ملتزمين بالشرع الإسلامي مبتعدين عما يمكن أن يعتبر مزاحاً، أو ملاطفة.

إن إحدى الصفات التي يجب أن تمتاز بها السيدات والتي اعتبرها الإسلام من الصفات الحميدة بالنسبة للمرأة هي التكبر مقابل الأجنبي، وإن إحدى علامات المرأة المؤمنة عدم التبسم والجديّة أثناء الحديث مع المحارم، لإدراكها بأن المزاح والتبسم وما إلى ذلك حرام إلا مع من أحلّ الله لها.

نقل المرحوم ثقة الإسلام الكليني رضوان الله تعالى عليه رواية في كتابه «الكافي» جاء فيها عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد «ع» ما مضمونه: «لو حرّكت امرأة بمزاح شهوة رجل كان على الله أن يُبقيها في جهنم مائة عام».

على أية حال ينبغي على الكسبة أن يحذروا التمادي في القول! وليعلموا بأن الأموال التي تستحصل من هكذا طرق، وتصرف في البيت، ستكون وبالاً على ذلك البيت، ومانعة لنزول البركات.

تبرير المعصية

للمعصية تقسيم ثالث غير تلك التي ذكرنا سابقاً وهو: قد يرتكب أحدهم معصية ثم يعترف بذلك، وقد يرتكب فرد معصية ثم يبرّر معصيته، وهو ما يعدّ أكبر الأخطار، كأن يقول على سبيل المثال أنه متمدن أو متحضر ولذا يراه الناس يمزح كثيراً مع النساء، ويسعى كلما سنحت له الفرصة للتحدث إليهن، أو أن بعض الفتيات يبدين زينتهن، وأعناقهن ويرتدين لباس الشهرة مبررات ذلك على أنه تمدّن، أو قد تتحدث إحداهن إلى بعض الشباب وتمزح مع هذا، وتضحك مع ذاك معتبرةً ذلك ثقافةً وحضارةً ـ والعياذ بالله ـ.

وقد يغتاب البعض عدّة من الأفراد ويبرر ذلك على أنه غيبة ثورية، أو غيبة حزب إلهية، ويتهم فلاناً من الناس تحت طائلة الثورية لا تحت طائلة المعصية، بل قد يقول إن ما أفعلُه عين الصواب وإن فيه الأجر والثواب.

إن البعض من الجهلة يشيعون الكثير من الافتراءات تحت عنوان السياسة، ونسمع بين الفينة والأخرى أحدهم يقول: ينبغي أن يكون سياسياً، لذا يجب أن أشيع بعض المسائل التي تسهم في دخولي إلى ساحة الأوضاع السياسية، وإذا ما قيل له بأن ما يفعله حرام، وغير جائز؟ يجيب وبكل صلافة: بأن ذلكِ من ضمن السياسة، فهو يغتاب، ويتّهم ويكذب، ويروّج الإشاعات تحت طائلة السياسة، أو بعنوان الثورية.

إن أمثال هذا الذي ذكرنا خطرٌ جدّيٌّ على المجتمع، وأخطر من كلّ شيءٍ سواه، لذا أطلب منكم الامتناع عن ممارسة المعاصي الكبيرة والصغيرة كونها تبعث على السقوط والانحطاط، ولي طلب آخر أكبر من الأول قليلاً وهو: أن تحذروا خروج جلال المعصية من قلوبكم، والذي يتأتى من المداومة على ممارسة المعاصي، فإذا ما ذهب الجلال من القلب بدأ صاحبه بتبرير معاصيه وآثامه، وهذا هو عين الانحطاط، وفيه يكمن الخطر لأنه يمنع الإنسان من التوبة، ويمنعه أيضاً من نيل شفاعة الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم.

إن الذي يجب أن أذكره هنا ـ للأسف ـ والذي هو موجود في جميع البيوت: المعصية، بل المعاصي التي ذهب جلالها من قلوب أصحابها فأصبحوا يبررون ما يفعلون على هواهم، وهذا لا يقتصر على شريحة معينة من الشعب بل يشمل التاجر، الموظف، العالم، الفاسد، الثوري، وغير الثوري.

إن هذه القضية يمكن أن نعتبرها مصيبةً وبليّةً، ولو نزفت عيوننا دماً عليها لكان قليلاً، والجدير بالذكر أن تلك المعاصي كثيرة ومتنوعة فمنها الغيبة والنميمة، ومنها التهمة، والشائعة، وما إلى ذلك من المعاصي الكبيرة والصغيرة التي هي أساس تأخر المجتمع الإسلامي.

إن البعض من البيوت تحتوي على مسائل متدنيّة ووضيعة تسهم كثيراً في إتلاف نفسية الطفل الذي يعيش في ذلك البيت من قبيل أشرطة الموسيقى المبتذلة، والأغاني ناهيك عن اقتناء البعض لأجهزة الفيديو التي يستخدمها الكثير في عرض الأفلام المثيرة للشهوة.

إن بحثنا الحالي لا يرتبط بهذه المسائل، ولا نريد التعرض لها، لكننا نقول مثلما قال الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع» لمثل هؤلاء إذ قال لهم: «يالله».

قال أحدهم للإمام الصادق جعفر بن محمد «ع»: **«إن لي جيراناً لهم جَوارٍ يتغنين ويضربن بالعود، فربّما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعاً مني لهنّ، فقال الإمام الصادق عليه السلام: لا تفعل، فقال: والله ما هو شيء آتيه برجلي، إنّما هو سماعٌ أسمعه بأذني؟ فقال عليه السلام: يالله! أنت أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا؟!﴾ فقال الرجل: كأنني لم أسمع هذه الآية من كتاب الله عز وجل من عربيّ ولا عجميّ! لا جرم أني قد تركتها وأنا أستغفر الله تعالى...»**[٣٢].

إنهم ليسوا من أهل الغناء، ولا من أهل الموسيقى، ولا من أهل أجهزة

---

(٣٢) من لا يحضره الفقيه/ج ١، ص ٤٥.

الفيديو، والمناظر المثيرة للشهوات، لأنهم يعلمون جيداً بأن هذه المسائل تذهب ببركة المنزل، وأنها محرّمة، وأن الطفل الذي يكبر في مثل هذه البيوت لا يؤمل منه خيراً أبداً.

إن علماء النفس يؤكدون على أن الطفل الذي ينشأ في مثل هذه المجتمعات لا يمكن أن يكون إلا وضيعاً، ضعيف النفس، وإن الإسلام العظيم ينظر إلى هذه البيوت على أنها أوكار الشياطين التي خلت ـ على حدّ قول الرسول(ص) ـ من البركة والرحمة الإلهية، وأن الملائكة لا تمرّ على تلك البيوت الفاسدة.

الغيبة ـ التهمة

قليلاً ما نرى بعض البيوت ـ للأسف ـ غير مبتلية بالغيبة، التهمة، الشائعة، والكذب، وقليلاً ما نرى أفراداً يمتنعون عن التوغل في هكذا معاصي خطيرة، وخصوصاً معصية الهمز واللمز السائدة هذه الأيام، أو معصية التجريح والاستهزاء.

فعلى سبيل المثال: يسخر الرجل من زوجته حين تطبخ غذاءً لا يستهويه، أو لا يتلائم مع طبيعة شهيّته، أو تسخر المرأة من زوجها حينما تراه وقد اشترى حاجة من السوق لا تنسجم وطبيعة ذوقها «ويل لكل همزة لمزة».

أيتها السيدة! اعلمي بأن سخريتك تلك ستدخلك إلى إحدى زنزانات جهنم الحامية لتحترقي ولا تستطيعي فعل شيء، بل تُكرهين على القبول بتلك الحياة الأبدية. واعلمي بأن تلك النيران لن تحرق الجلد فقط بل تتعدّاه إلى العظم.

فالنار التي تصل إلى العظم على حد قول القرآن الكريم، حالها حال الغيبة التي تعتبر أكلاً للحم المؤمن الغائب، فلا تغتابوا أحداً، ولا تطعموا الميتة، ولا تجعلوا من بيوتهم مطاعم للجَيْفِ فتذهبوا ببركتها، كمثل البيوت التي تذهب بركتها جرّاء لعبِ ساكنيها مع الكلاب والقردة.

إن تلك البيوت خالية من البركة، وخالية من اللطف الإلهي، ولا ينظر

الله إليها، ولا يمكن أن تعتبر إلا نجسةً وقذرة.

جاء في كتاب تحف العقول عن الإمام الهمام عليّ بن الحسين السجاد أنه قال: **«كُفَّ عن الغيبةِ فإنَّها إدامُ كِلابِ النارِ»**.

إن الذي لا يكفّ عن الغيبة سيرى نفسه بعد مدّة معتاداً عليها، أي أنها ستضحى ملكةً لو لم يمتنع عن الاستمرار، وهذه الملكة هي التي ستحدد هويته، هذا بالإضافة إلى أن الغيبة ستحوّل الإنسان المغتاب إلى كلب يوم القيامة، وسيُرمى به في جهنم ليكون غذاؤه تلك الغيبة التي تتجسد على شكل جيفة، ولحم ميتة، وللأسف أقول: أيّ البيوت تخلو من الغيبة؟ وأيّ البيوت تخلو من الاستهزاء والسخرية؟.

أيها السيد! لا تسخر من ابنك، وأنت أيتها السيدة! لا تستهزئي بابنتك ولا تحاولي تحقيرها، واسعي دائماً للحفاظ على حالة الاحترام في داخل بيتك، ولا تجرحي كبرياء زوجك، وإذا ما حدث ذلك فستبرز الغيبة بينكما، عندها تلتهب النار في بيتكم الذي طغت عليه الهوية الحيوانية بدل الهوية الإنسانية.

والأنكى من الغيبة والأسوء هي التهمة، والفرق بينها وبين الغيبة هو: التهمة يعني الافتراء وإلصاق ما ليس فيه به، أما الغيبة فهي كشف العيب المستور، وتشترك التهمة والغيبة بأنهما تحدثان في غياب الشخص في بعض الأحيان، وتفترق التهمة عن الغيبة في أحيان أخرى كونها قد تحدث بحضور المتهم.

أما بالنسبة للتجريح فقد أسماه القرآن المجيد باللمزة.

إن الحديث الذي قد يتبجّح به العوام من الناس، وهو شائع بينهم، قول أحدهم لصاحبه لا تغتب فلاناً، فيجيب أن ما أقوله موجود فيه! وهو جواب شيطانيٍ، لأن كشف العيب المستور يسمى غيبة، ومن اغتاب الناس سيضحى كلباً في يومٍ من الأيام، أما إذا لم يكن فيه ذلك الغيب فسيعتبر المتحدث من المفترين، فهل تعرف ماذا يقول الله على المفترين. إنه يقول:

﴿إنما يَفْتَرِي الكذِبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هُمُ الكاذبون﴾ (النحل/١٠٥).

قال الإمام الصادق جعفر بن محمّد «ع»:

«إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمـان من قلبه، كمـا ينماث الملح في الماء»[٣٣].

وكما يتعرض الإمام الصادق «ع» في مكان آخر ويصف هذا الذي يتهم أخاه، بالوقوف على تـلٍ من قيح ودمٍ، فـإن استغفر زال ذلـك التل، وإن لم يستغفر بقي عليه لمدة ٥٠ عاماً عن كلّ اتهام، أو عن كل شـائعة أشـاعها في زمن الحياة الدنيا.

هل يمكن أن يقول أحدكم أنه لم يمارس بثّ الشائعات؟ إن المقدسين والمتدينين في زماننا هذا لا يتـأتى لهم ادعاء ذلـك، فوالله ينبغي لنـا أن نبكي بدل الدموع دماً مثل على هذه المصائب والبلايا، فنحن السبب في وجودها.

قال تعالى في محكم كتابه بصدد الشائعات:

﴿إذْ تَلَقَّـونـه بـألسنتكم، وتقـولـون بـأفـواهكم مـا ليس لكم بـه علم، وتحسبونه هيّناً وهو عِندَ الله عظيم﴾ (النور/١٥).

أي إن مـا تقولـونه تعـوّدتُم عليه، لـذا تحسبونـه هيّناً، ولكنـه عنـد الله عظيم، وقال أيضاً جلّت أسماؤه:

﴿ولا تقفُ ما ليس لك به عِلْمٌ، إن السمعَ والبصـرَ والفؤاد كُلُّ أولئـك كان عَنْهُ مسؤولاً﴾ (الإسراء/٣٦).

أي عليـك بالابتعـاد عن الشكوك والـظنون، وإذا مـا سمعت شيئـاً فـلا ترضاه إلا بدليل، وإذا أردت أن تقـول شيأً يجب أن يكـون مسنداً، وإلاّ فـإن سمعك وبصرك وفؤادك مسؤول يوم القيامة:

﴿اليوم نختم على أفواههم، وتكلّمنا أيديهم وتشهـدُ أرجُلُهُمْ بما كـانوا يكسبون﴾ (يّس/٦٥).

---

(٣٣) الكافي/ ج ٢، ص ٣٦١.

وفي يوم القيامة يختم الباري تعالى على الأفواه يكمّها لتشهد عليه يداه، ورجلاه، وجلده، وقلبه، وتراهم يقولون له: إنك أنت الذي كنت تغتاب، وأنت الذي كنت تستمع إلى الغيبة، وتتهم هذا وتقبل التهمة من ذاك، وتشيع الكذب هنا وهناك.

لذا ينبغي للجميع أن يبتعدوا عن هكذا مسائل تؤدي بهم ـ لا سمح الله ـ إلى جهنم الحامية، وعليهم أن يفكروا بالخروج من هذه الأزمات الخطيرة.

فالزوج يجب أن يكون صادقاً مع زوجه، وكذا الزوجة يجب عليها أن تبتعد عن الكذب والدجل ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً كي يعمّ الصدق والمحبّة والود جوَّ البيت، وكي يعم الخير والبركة، ويضحى ذلك البيت ممراً لعبور الملائكة.

فالبيت الذي يملأه الكذب، بيت ملعون، ورائحته كريهة تعجّ منها الملائك في السموات العُلى، فلا تعدوا أبنائكم بما لا تريدون تنفيذه، ولا تكذبوا على بعضكم بعضاً. واتخذوا من الحقيقة والإسلام منهجاً لكم، فمن الوضاعة أن يكون الإنسان الذي كرّمه الله الباري تعالى ذا وجهين.

إن الذي نراه اليوم في السوق، وفي البيت، وفي الشارع، وفي كل مكان ـ وللأسف ـ هو الكذب، وكلّما زاد الكذب في مدينة علت رائحةً نتنةً منها إلى عنان السماء فتضجّ الملائكة حينها، وتبدأ باللعن على الذي كان السبب في تلك الرائحة الكريهة.

على أيّة حال، علينا مثلما عليكم أن نلتزم جميعاً بقول الصدق، والإخلاص في الحديث، والأمانة في نقله علّنا نحظى بريح الجنّة التي لا يشمّها إلّا من كان صدوقاً.

الفصل الرابع ١

تشكيل الأسرة
الغيرة، الحياء
النسل الصالح

تشكيل الأسرة

إن هذا الفصل يتناول بحث تشكيل الأسرة، والفوائد المترتبة على ذلك من منظار إسلامي، كلّنا أمل في أن نتمكن من خلال هذا الفصل حلّ إحدى المعضلات الاجتماعية.

إن لتشكيل الأسرة فوائد كثيرةً، وكثيرةٌ جداً، وإن إرضاء الغريزة الجنسية مقابل تلك الفوائد لا يعدّ شيئاً، ولو افترضنا أننا استفدنا من بحوثنا السابقة بأن قتل النفس الأمَّارة بالسوء والذي يعني قتل جميع الرغبات والميول ومن جملتها الغريزة الجنسية حرام بنظر الإسلام، وأن الغريزة الجنسية لا تعدّ شيئاً مهماً إذا ما قيست بالفوائد التي تصدر عن تشكيل الأسرة.

إن الفائدة الأولى التي يمكن أن تنتج عن تشكيل الأسرة هي إرضاء الفطرة، وهي فائدة مهمة جداً، لأن الرجل للمرأة، والمرأة تنجذب إلى الرجل، وإن الأولاد هم حاصل تجاذب المرأة والرجل وهذا أمر طبيعي، لذا تكون المرأة منجذبةً نحو الرجل منذ اليوم الأول الذي وضع فيه الإنسان قدمه على الكرة الأرضية، وأن الرجل تجذبه المرأة، ويكون نتاجهما من الأولاد متعلقاً بهما فقط.

إن أول من أحيا هذه الفطرة هو نبيّ الله آدم أبو البشر وزوجه حواء عليهما السلام لتبقى هذه الفطرة إلى يومنا هذا، ولو تمكنت إحدى الأسر من تقديم نسل صالح للمجتمع ستحظى حتماً بالأجر والثواب، وهذا هو نظر الإسلام العظيم، وقد لا يكون هناك أجر ولا ثواب في الإسلام أسمى من هذا، لذا تكون الآية المباركة التالية دليلاً على قيمة الإنسان الرفيعة.

﴿من قتل نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرض ، فكأنَّما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنَّما أحيا النَّاس جميعاً﴾ (المائدة/٣٢).

لقد ذيّل الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع» هذه الآية بمعنى باطني ودقيق وهو: إذا تمكن فرد من حرف آخر عن جادة الصواب، أو أخرجه من الطريق المستقيم كان وزره كالذي قتل الناس جميعاً، ومن هدى شخصاً إلى سواء السبيل بعد أن كان منحرفاً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وبناء على ذلك يحذّر الإمام الصادق «ع» الناس من مغبّة التحدث جزافاً خشية انحراف البعض عن جادة السواء.

وعليه ينبغي لكم أن تحذروا تشويه سمعة العلماء أمام أبنائكم، ولا تسيئوا الظن بالمنبر والمحراب، لأنكم إن فعلتم ذلك تكونوا كالذي قتل الناس جميعاً.

فالحذر الحذر من زلّات أقلامكم، وشطحات ألسنتكم، وطريقة أعمالكم، واسعوا لتربية الناس وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، فإذا تمكنتم من مدّ يد الهدى لأحدهم فلا تبخلوا عليه بذلك، واعلموا أنكم بنجاته تنجون العالم كلّه.

وبناء على ما تقدم، يكون تفسير الإمام الصادق «ع» الخالص لتلك الآية هو: إذا استطاع زوجان تقديم جيل صالح إلى المجتمع فسوف يكون ثوابها أكثر من ثواب ذلك الذي يبني مسجداً، أو مدرسة، وسيكون ثوابها كثواب الذي أحيا الناس جميعاً.

وعليه يكون تقديم الأبناء الصالحين إلى المجتمع الإسلامي أكثر ثواباً من بقية الأعمال الصالحة، ولكن متى يمكن تقديم الأبناء؟ يمكن ذلك بعد تشكيل الأسرة.

نقرأ في الروايات المتواترة، أن النبي الأكرم(ص) والأئمة الأطهار «ع» كانوا قد تطرّقوا كثيراً إلى أن الذي يموت ينقطع عمله، إلّا من كان لديه أعمال باقيات صالحات ممتدات إلى الحياة الأخرى، وأحد مصاديق هذه

الباقيات الصالحات الأولاد الصالحون.

فمن ترك وراءه ابنة صالحة، أو ابن صالح فهو شريك معهما في الثواب الذي يمكن أن يحصلا عليه من خلال قيامهم بالأعمال الخيّرة، ومثله كمثل ذلك الذي يسنّ سنّةً حسنة فيحصل هو على أجرها، وعلى مثل أجر من يعمل بها إلى يوم القيامة.

إذن، سيكون الوالد حاصلاً على مثل ثواب ما يحصل عليه أبناءه الخيّرين حتى بعد مماته.

نقل عن الشيخ الصدوق أنه نقل عن الإمام الباقر محمد بن علي «ع» في «ثواب الأعمال» أنه قال:

أيّما عَبْدٍ من عباد الله سنَّ سُنَّةَ هدىً، كان له أجرُ مِثْلُ أجرِ من عمل بذلك، مِنْ غَيْرِ أن يُنْقَصَ مِنْ أجورهم شيء[٣٤].

إن الباري تبارك وتعالى كافأ الإنسان الذي قدّم أفراداً ـ أبناءً ـ صالحين للمجتمع بثواب جزيل بالإضافة إلى الثواب الذي يحصل عليه من خلال تقديم الأبناء للأعمال الخيّرة، فإذا صلّى الولد ركعتين حصل على ثوابهما، وحصل الوالد على مثل ذلك أيضاً، وحصلت والدته على مثل ذلك الأجر.

لقد قرأت الكثير من الروايات التي تتعرض لهذه المسألة المهمة والتي تدور حول ثواب ذلك الشخص الذي يتمكن من تشكيل أسرة متديّنة خيّرة، ويقدم إلى المجتمع أفراداً متدينين خيّرين، ومن فعل ذلك إنّما يكون فعله ذاك مطابقاً للفطرة السليمة التي فطره الله عليها، على العكس من ذلك الذي يسعى جاهداً لأن يهلك الحرث والنسل، والذي لا يمكن أن يُحسبَ إلاّ عدوًا للبشرية.

إن عدوّ البشرية صمّم ومنذ اليوم الأول على سلب النسل الخيّر من المجتمع إلى الحدّ الذي شكّل معه المذاهب ـ بدون حياء ـ من أجل تفتيت

(٣٤) بحار الأنوار/ ج ٧١، ص ٢٥٨.

حالة تشكيل الأسرة، كيما يستطيع إهلاك الحرث والنسل من خلال شيوع الجنس بين أفراد البشر:

﴿ومِنَ النَّاسِ من يُعْجبُكَ قولُهُ في الحياةِ الدنيا، ويُشهد الله على ما في قلبِهِ، وهو ألدُّ الخصام﴾ (البقرة/٢٠٤).

فالبعض من الناس يتحدث بشكل فنّي، يتمكن معه من جذب عامّة الناس إليه، بعد أن يدرس وضعيّة الناس الذين يريد أن يتحدث إليهم، فتراه يتلطف للعوام بعد تحديد نقاط ضعفهم التي يؤخذون منها، وإذا ما رأى من يستمع إليه طرح مذهبه من مثل ماركس، دوركهيم، نيتشه، وفرويد، هذا بالإضافة إلى كتابة اطروحات تعتبر بمثابة نظام داخلي لذلك المذهب.

لقد استغل الكثير من المستعمرين هذه المذاهب لتمرير مخططاتهم الجهنّمية على عامّة الناس، بالرغم من أنهم يدركون جيداً بأن تلك المذاهب مبتذلة، ووضعية، ولا خير فيها، ولكنهم تمكّنوا ـ إلى حدٍ ما ـ من توظيفها لخدمتهم كي لا يتعلّم البشر أصول الإنسانية، وأصول الإسلام.

إن دعم المستغلّين الغربيين والشرقيين لهذه المذاهب ليس حبًّا في سواد عيون ماركس أو دوركهيم، وإنما بغضاً للإسلام، وحقداً على البشرية «وهو ألدّ الخصام».

أما بالنسبة للصفة الثانية التي تعرض لها القرآن المجيد في سورة البقرة فهي: إن هؤلاء الأعداء ـ أعداء البشرية ـ يسعون للإفساد دائماً حينما يكونون مقتدرين، أو متولّين زمام الأمور:

﴿وإذا تولى سعى في الأرض لِيُفْسِدَ فيها، ويُهْلِكَ الحرثَ والنَّسلَ واللَّهُ لا يُحبُّ الفسادَ﴾ (البقرة/٢٠٥).

إن الآية الشريفة تحمل في طيّاتها مصداقين الأول: أن البعض من الناس يحاول جهد الإمكان بعد تولّيه لمقاليد الأمور أو السلطة أن يفسد، أو يحرف الناس عن جادة الصواب، والمصداق الثاني: هو محاولة هذا الشخص إهلاك الحرث والنسل.

إن أَحَد هذين المصداقين شاهدناه مليًّا بعد قيام ثورتنا هذه التي حدثت هنا في إيران، حيث أفلت الشيطان كلبه من سلسلته التي كان قد ربطه بها مدّة من الزمن ليدخل إلى إيران، يدخل إلى قراها ويمارس قتل الناس بدون استثناء، يقتل المرأة يقتل الطفل، ثم يشرع بعد ذلك بتخريب كل شيءٍ عامر، ولا يتوقف عند هدم البيوت فقط، بل يتعداها إلى هدم المساجد، وقطع الأشجار، وسحق كل شيء يمكن أن يراه أمامه «يهلك الحرث والنسل».

وبعبارة أخرى أن المتسلطين على مقدرات الناس، هم أعداء البشرية وهم الذين يتحينون الفرص لحرف الناس عن المسيرة الطبيعية للبشر، فتراهم يشجعون دائماً على التبرّج وترك الحجاب، وإفساد النساء والرجال من خلال تسهيل عمليات الاختلاط، حتى بلغ النساء على زماننا الحاضر وضعاً لا يحسدنَ عليه، كل ذلك ينفذه أعداء البشرية تحت طائلة التمدن والحضارة والثقافة وما إلى ذلك من المسمّيات التي لا تمت بصلةٍ إلى ما يفعلون.

إنّ إفساد النسل يعني إفساد الأدمغة، إفساد الأفكار، وإفساد المستقبل، لذا ترى أعداء البشرية يركّزون أعمالهم في المدارس الابتدائية والثانوية، وفي الجامعات لكي يتمكنوا من صرف أولئك الشباب عن المنبر والمحراب، وحتى إذا لم يكن للأعداء نصيب في هذا الجيل، فإنهم يخططون لجرّ الجيل القادم إلى حيث الفساد والدِعة.

إن مذهب «دوركهيم» يقول وبدون أدنى حياء: ماذا يعني تشكيل الأسرة؟ وإن الفيلسوف الإنجليزي راسل والذي تحسب له الدنيا ألف حساب ـ وهو في نظرنا لا يعلم شيئاً ـ قال في آخر أيام عمره وحينما كان على فراش الموت: إن تشكيل الأسرة خطأٌ محضٌ! وكذا كان فرعون.

﴿إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلَها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يُذبّح أبناءَهُمْ، ويستحيي نساءَهُم، إنه كان من المفسدين﴾

(القصص/٤).

إن المفسرين إجمالاً يقولون بأن فرعون كان يذبح أبناءهم بعد أن اطمأن بمجيء الذي سيذهب بعرشه، ولكن بعض المحققين وبعض أهل الذوق قالوا: إن فرعون كان يسلب روح الإنسانية والرجولة من الرجال والأبناء، ويقدم للمجتمع نساءً بدون حياء.

إن إحدى أعمال فرعون كانت تكمن في تخريب وتدمير النسل والحرث القادم، وإفساد النساء بعد تجريدهن من الحياء بطرق مختلفة خبيثة.

لقد قسّمت الروايات الحياء لنا إلى «١٠» أقسام، «٩» منها للمرأة، وقسم واحد للرجل، ولكن انظر ما الذي يحدث حينما تذهب هذه الأقسام التسعة من المرأة؟.

إنها سوف تجرأ على فعل المحرمات، تجرأ على الخروج من منزلها معطّرة، متبّرجة، متزينة، لا تلبس إلاّ الشفاف من الجوارب، وعندما تصل إلى سوق المدينة تراها توزّع الابتسامات هنا وهناك، وتمزح مع هذا، وتضحك مع ذاك بدون رادع، لأنها فقدت حياءها الذي كان يردعها عن فعل ذلك ـ والعياذ بالله ـ.

الويل والثبور لذلك المجتمع، ولتلك المرأة! إن فرعون تمكن من جرّ نساء زمانه إلى مثل هذه الحالة لكي يوطّد أركان حكومته، ولكي يتمكن من بسط سلطته على الناس ضمن حسابات مستقبل الجيل الذي كان يعيش آنذاك، والجيل الذي سيأتي من بعده.

وهذا ما نراه معمولاً به في هذه الأيام، حيث يسعى المستعمرون والمستغلّون إلى ترتيب أوضاع الجيل القادم بالشكل الذي يجعل منهم مطايا لهم يركبونها متى شاؤوا، وينزلون عنها متى رغبوا في النزول.

الغيرة، الحياء

عندما يتمكن أعداء الإنسانية من إذهاب حياء النساء، وأشغالهن بالشهوات وبعد أن يتمكنوا من قتل رجولة الرجال وسحق غيرتهم بحيث

يضحى الواحد منهم لا يتحرك له ساكن حينما ينظر مَحْرَم إلى ابنته بشهوة، عندها يجب أن نقرأ الفاتحة على هكذا مجتمع.

هل تعلمون لماذا نُصِّبَ رضاخان الشقيّ، وملك تركية ورُفِعَتْ أعلامهم المشبوهة في وقت واحد؟ إنهم فعلوا ذلك حتى يتمكنوا من جرّ النساء إلى السفور.

وفي البداية لم يكن رضاخان يريد أن تبلغ النساء تلك الحالة المزرية، وله في ذلك الأمر مستمسكات، حيث كان يقول في كلّ مجلس يجلسه: «إنني لم أكن أرغب في أن تبلغ المسألة هذه الوخامة، بل أردت فقط نزع الإزار من على رؤوس النساء، ولكن النساء وبعد نزع إزارهن طلبن أكثر من ذلك وَجَرَيْنَ وراء الحياة القذرة».

كنت حينها طفلاً صغيراً، لا أتجاوز الأربعة أو الخمسة سنين، حيث كان أزلام رضاخان ينفِّذون عملية منع الحجاب في كل أرجاء البلد، ومن جملتها مدينة أصفهان التي كانت نساءها يخاطبن أزلام السلطة ويرجونّهم بعدم سلب الحجاب منهن، لكن المنفِّذين لتلك الأحكام كانوا يرددون قول: «لا نبغي شيئاً غيرَ سلب الإزار فقط، وإذا تمكنتنّ من التحجّب بشكله الشرعي بدون إزار فلن يتعرض أحد لكم، وإن رضاخان لا يطلب منكنّ أكثر من ذلك.

لكن الإنجليز حينها كانوا يعلمون بأن سلب الإزار من النساء سيكون بداية سلب الحجاب الإسلامي من البين الإسلامي، وقد تمكنوا من ذلك وأوصلوا النساء إلى حالةٍ يرثى لها، حيث كان البعض من النساء يفتخرن بخلاعتهن أمام الملأ العام.

قرأت في زمن الطاغوت ـ الشاه ـ في إحدى المجلات أن إحدى نجمات السينما من اللواتي خرجن على الحياء كانت تسير مع زوجها في الشارع، فجاء إليها جمع من المصوّرين لتصويرها وهي تلبس فستاناً أشبه ما يكون بلباس النوم الشفاف، وعندها فتحت أزرار ذلك الفستان لتبدي صدرها، لكن المصوّرين طافوا حولها لكي يمنعوا الناس من مشاهدتها، بعد

ذلك التفتت إلى زوجها ـ الغيور جداً ـ لتقول: عجباً لإبداء هذه النجابة الحمقاء من قبل هؤلاء المصوّرين! أي كانت تريد القول إنها ترغب في الظهور عارية أمام المجتمع، وما سدّها لأزرار الفستان إلا كُرهاً وجبراً، ولو كان الأمر يقتصر عليها لبدت بدون ذلك الفستان.

إن الأعمال التي كان يمارسها الشاه وملك تركية كانت بأمر من انجلترا آنذاك، وإن جميعَ المستغلين والفراعنة والإنجليز وغيرهم كانوا يرغبون ولا زالوا يودّون إفساد الجيل الحاضر والقادم من خلال إشاعتهم للفحشاء حتى يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على الشعوب.

وبناء على هذا فسّر بعض المحققين الآية «يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم» على أن فرعون أراد إذهاب روح الرجولة من الوسط الرجولي، وإذهاب الحياء من النساء كي يتمكن من التسلط على رقابهم بسهولة، أي أن أحد أعمال فرعون الوضيعة هو سحق الجيل الذي سيلي جيل زمنه معنوياً وروحياً ليضحى متنكراً للفطرة السليمة، وحينما ينحَطّ الجيل لا يتأتى له التفكير بتشكيل الأسرة، ولهذا أكّد القرآن الكريم والروايات المنقولة عن الرسول الأكرم(ص) وأئمة أهل البيت «ع» على مسألة تشكيل الأسرة، كوْن الجيل السليم يمكن أن يأتي بالتمدن، والجيل السليم يتحرق لمجتمعه، وكذا يمكن له أن يعمّر البلاد، ويرفع من مستوياته العلمية.

أما الجيل الوضيع، والمريض نفسياً ـ وهو مراد الصهاينة ـ لا يمكن أن يقدم غير الشرّ والبغي والظلم.

إن البرامج الصهيونية تركّز على مسألة تضييع النسل والجيل القادم في غياهب الظلم والجور والفساد، وهذا ما تأكد لنا من مقولة الصهاينة التي يسعون دائماً إلى إدخالها حيّز التنفيذ، ألا وهي: قتل ثُلثي العالم من أجل جرّ الثلث الثالث إلى مذهب «دوركهيم».

ودوركهيم هذا كان صهيونياً، أو جرّه إلى مذهب ماركس، وهو من كان يعتقد بشيوعية الجنس، وكان هو الآخر يهودياً، أو مذهب فرويد اليهودي أو نيتشه اليهودي.

إن أصحاب المذاهب الغربية جميعهم يهود وصهاينة، ومن كان يهودياً صهيونياً هل تتوقع منه الخير للجيل الجديد؟.

إن تلك الحفنة القذرة وقفت أمام الإسلام الذي يقول بتربية النشأ تربية إسلامية إنسانية، ويعدّ ذلك أفضل من بناء المسجد الذي يُعبد فيه الله تبارك وتعالى، وأفضل من الذهاب إلى بيت الله الحرام، بل وأفضل من أسمى العبادات.

إن البعض من المسلمين يستطيع فعل الخير على شتى المستويات، لكنه يستطيع تقديم اثنين من أبناءه، بعنوان خيّرين إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ومن جهة أخرى نرى شخصاً آخر يتمكن من تقديم أبناءً صالحين للمجتمع الإسلامي في الوقت الذي لا يتأتى له فعل الخير، وهنا نقول من هو الأفضل بنظركم؟.

إن الإسلام العظيم يقول بأفضلية الذي يقدم أبناءاً صالحين للمجتمع على ذلك الذي لا يتأتى له ذلك بالرغم من أفعاله الخيّرة.

وبناء على ذلك أبارك للنساء اللواتي عرفن كيف يُحسِنَّ تربية أبناءهن، وعرفن كيف يقدمن ثلاثة أو أربعة أبناء صالحين للمجتمع؛ إنهن وبالرغم من انشغالهن اليومي بالجهاد المنزلي، وجهاد حسن التبعل، تعتبر منازلهن أماكن مقدسة تدرّ عليهن الثواب الجزيل والأجر الجميل جزاء تقديمهن الجيل الخيّر الإنساني الصالح «من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

وعليه أطلب من النساء والرجال أن يحذروا تقديم أبناء غير صالحين إلى المجتمع، وعندها يكون المجتمع ملوّثاً بأفرادٍ لا خير فيهم ولا نفع.

النسل الصالح

يقول الإسلام: أيها السيد! أيتها السيدة! احذروا التفكير في شخصٍ آخر على زمن المواقعة أو المباشرة، وتخبرنا الروايات الواردة عن رسول الإنسانية محمّد بن عبدالله(ص)وعن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم بأن الذي يفعل ذلك ويلدُ له ابن فاسد، أو ابن زانٍ فلا يلومنّ إلا نفسه.

إن الإسلام يهتم بصلاح الأبناء إلى أقصى حالات الاهتمام، ويحسب لذلك ألف حساب، فهو يرفض أن يباشر الرجل زوجته وفي حجرتها طفل رضيع له من العمر «١٠» أيام صاحٍ، إلّا إذا كان نائماً، ويحذر من أن يسمع أحد أنفاس الزوجين أو كلامهما في وقت المواقعة، ويؤكد على مسألة الامتناع عن النظر إلى ما حرّم الله تعالى لأن ذلك كلّه له تأثيرات سلبية على روحيّة الطفل.

فالكاسب ـ على سبيل المثال ـ الذي يمزح ويضحك مع النساء الأجنبيات اللواتي يأتينه لشراء ما عنده من بضاعة، لا يمكن أن يقدّم جيلاً صالحاً إلى مجتمعه، وكذلك المرأة التي توزّع الابتسامات هنا وهناك وتمزح مع غير محارمها لا يتأتى لها تقديم نسل صالح للمجتمع الذي تحيا فيه.

إن الإسلام العظيم يحث المسلمين على قراءة الأذان في أذن الوليد اليمنى، وقراءة الإقامة في الأذن اليسرى كي لا يصيبه شر ولا مخمصة.

قال رسول الله (ص):

«يا علي! إذا وُلِدَ لك غلام أو جارية، فأذّن في أُذنه اليُمنى، وأقم في اليسرى فإنه لا يُضرّهُ الشيطان أبداً»[٣٥].

وعن مولانا عليّ بن الحسين عليهما السلام قال:

«حدثتني أسماء بنت عميس قالت: حدثتني فاطمة «ع» لما حملت بالحسن بن عليّ «ع» وولدته جاء النبيّ صلى الله عليه وآله، وأذَّنَ في أذنه اليُمنى، وأقام في اليُسرى.. فلمّا كان بعد حول، ولد الحسين «ع» وجاءني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هلمّي ابني، فدفعته في خرقةٍ بيضاء، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعته في حجري فبكى»..[٣٦].

وعن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال:

---

(٣٥) تحف العقول/ ص ١٧.

(٣٦) بحار الأنوار/ ج ١٠٤، ص ١١١.

«من ساء خلقه فأذّنوا في أذنه»(٣٧).

ومن أراد أن يكون ابنه من المقرّبين إلى الإمام الحسين «ع» فليمسح بتربة الإمام الحسين على لسانه ثم يسقيه لبن أمّه، وليحذر المرء من إطعام ابنه طعاماً محرماً، أو مشبوهاً، وليحاول جهد الإمكان أن يسقيه لبن أمّه، وليعلم بأن لبن الأم يسهم كثيراً في سلامة الطفل وتقبّله وفهمه مستقبلاً.

علينا أن نحذر ونحتاط من أن نستخدم الكلام النابي أمام أبناءنا لأن ذلك سيجرّ الطفل إلى أن يكون هو الآخر سبّاباً أو لعّاناً، وهذا ما سيكتبه الحفظة الكرام في وثيقة أعمالنا، كلّما سبّ الأبناء أحداً من الناس:

«من سَنَّ سُنَّةً سيئةٍ فعُمل بها بعده كان عليه وزرها، ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»(٣٨).

ومن الطريف أن إحدى السيدات كانت تقول بأنها عندما كانت تشعر بحدوث نزاع في دارها مع زوجها ترسل أبنائها إلى منزلِ أبيها وأمّها، ولا تدعوهم إلى المنزل ثانية إلا بعد انتهاء ذلك النزاع، إنها حقًّا امرأة ذكية.

أيها السيد! أيتها السيدة! إذا أردتم اغتياب أحدٍ، أو ممارسة نزاع أو خصام، أو سبّ مسلم، فما عليكما إلاّ أن تخرجا ابنكما الذي هو في المهد وتضعوه على الثلج خارج منزلكما، كيلا يتعلم منكما الكلام البذيء، وإذا ما مات جسم الطفل، فهو أفضل من أن تموت روحه، لذا عليكما أن تفكّرا قليلاً بالجيل القادم قبل أن تشرعا في كل مرّة بالتعرض للآخرين سوءً، أو بالتحدث بما لا يرتضيه الشرع المقدس.

لقد كانت أمهاتنا في العهد الماضي يرتدين الأزر بالإضافة إلى المقنعة، هذا علاوة على ارتدائهن لثوبين، وإذا أردنَ أن يتحدثن لأحدٍ من الرجال الغرباء وضعن في أفواههن حصاةٍ كيلا تكون أصواتهن رقيقة فيطمع الذي في قلبه مرضٌ.

---

(٣٧) بحار الأنوار/ ج ١٠٤، ص ١٢٢.

(٣٨) كنز العمال/ خ ٤٣٠٧٩.

وكان آباؤنـا يواظبـون على قراءة القـرآن الكريمصباحاً مساءً، وكانوا من الذين يرتـادون المساجـد ويستمعون إلى المحـاضرات الإسـلامية، أمـا نحن وعلى حالنا هذه فماذا يُتوَقَّع لأبنائنا؟ وكيف هو الحال الذي سيصيرون إليه؟.

إن هؤلاء النسـاء اللواتي كن يرتـدين الأُزر والمقانـع ـ مع الأسف ـ كُنَّ يصطحبنَ كُبريات بناتهن إلى الأسواق بدون إزار، وبكلّ جرأة، ولـولا الخوف والخشيـة من أزواجهن لخرجن هن كـذلك بـدون إزار! وهذا مـا نراه اليـوم، حيث تـأتي بعض النساء إلى مـرقد السيـدة فاطمـة بنت موسى بن جعفـر «ع» كاسيات عاريات، وبدون أدنى حياء.

قـالت لي إحدى النسـاء الخيّرات أنهـا رأت في منامهـا السيدة فـاطمـة عليهـا السلام تقـول: كنت في السابق امتعض من النسـاء الأجنبيـات اللواتي يـأتين مرقـدي بدون حجـاب، أما اليـوم فـأنـا أئن من النسـاء اللواتي يـدّعين الإسلام، بالإضافة إلى ادعائهنّ بأنهنّ منّا، ومن أحبابنا ومريدينا.

حقًّا كان حلمـاً عجيباً! الـويل لمن تفعـل ذلك من عـذاب يوم القيـامة وعذاب القبر.

إن ذلك الطفل الذي ينشأ في حجر هكـذا أمّ، أو ينشأ في بيت يُسمـع فيـه صوت الغنـاء والموسيقى صبـاحاً مساءً، أو تُعرض فيـه الأفـلام المبتـذلـة المهيّجة للشهوات، أو تُسمع فيه الغيبـة والتهمة والنميمـة، والنزاع والخـلاف والضرب لا يمكن أن يكون نسلاً صالحـاً! لذا ينبغي لكم أن تحـذروا حدوث مثل هذه القضايا في منازلكم.

وفي يوم القيامة تنادي بـ «يا أيتها القـاتلة» أو ينادى الأب «أيهـا القاتـل» عنـدها يقـول: لم أكن أتمكن من هكذا فعـل، فأنـا أقل من أن أقتـل أحداً، عندها يأتيه الجـواب: إنك قتلت العـالم بأسـره لأنك لم تقـدّم إلى المجتمع البشري نسلاً صالحاً.

* * *

الفصل الرابع ٢

فوائد الزواج

١ و٢ ـ إرضاء الغريزة الجنسية وتقديم النسل الصالح

٣ ـ الهدوء والسكينة

٤ ـ المرأة والرجل يزيّن أحدهما الآخر

٥ ـ المرأة والرجل يسرّ أحدهما الآخر

فوائد الزواج

سنبحث في هذا الفصل ما يتعلق بتشكيل الأسرة والفوائد المترتبة على ذلك.

١ و ٢ ـ إرضاء الغريزة الجنسية، وتقديم النسل الصالح

ذكرت سلفاً بأن إرضاء الغريزة الجنسية ضروري ومفيدٌ بلحاظ القضايا النفسية، وبنظر شرعة الإسلام الحقّة، وتعرضت أيضاً في البحث السابق إلى مسألة تقديم النسل الصالح إلى المجتمع، وذكرت بأن ذلك مرهونٌ بتشكيل الأسرة، وأن العدو اللئيم ومن أجل الحؤول دون بروز ظاهرة النسل الصالح في المجتمع وجّه ضربات قاصمة للأسرة، وقلتُ أيضاً بأن عالم اليوم تنكّر ـ وبدون حياء ـ لتشكيل الأسرة، وكان ذلك من خلال تشكيل الأحزاب الشيوعية، والغوغائية المبتذلة.

وعليه يجبُ علينا، وخلافاً لما تقوم به تلك التشكيلات الوضيعة، بترتيب الوضع البيتي وتشكيل الأسرة حتى نتمكن من تقديم نسل خيِّر صالح ومفيد للمجتمع البشري، وهذا بحدّ ذاته يعتبر ضربة لتلك الأفواه الفاغرة الغربية منها والشرقية، الوحشية والتافهة، الصهيونية وغير الصهيونية.

٣ ـ الهدوء والسكينة

أما الفائدة الثالثة والتي هي جزء من بحثنا وقد ذكرها القرآن الكريم فهي الهدوء والسكينة: **﴿ومن آياته أنْ خَلَقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾** (الروم/٢١).

لو تحرّينا الطبيعة لعلمنا بأن الرجل بدون المرأة يضحى عضواً ناقصاً،

وأن المـرأة بدون رجـل كذلـك، وفي الحقيقة أن الـرجل والمـرأة هما وجُـود واحد كامل، يستند أحدهما إلى الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما.

ويمكن أن نقـول بأن عبـارة الزوج تليق بهمـا أكثر من غيـرهما كـونهما يكمّل أحدهما الآخر، وهذه هي طبيعة الزوج.

إن الرجل ليستند إلى المرأة بنظر القرآن، بنظر الطبيعـة، وبنظر الحـالة النفسية، وأن المرأة لتركن إلى الرجل.

في هذه الحياة، وفي هـذا العالم يحتـاج كل شخص إلى شخص آخـر يُفرغُ عنده ما في قلبه ساعة الشدّة، وفي اللحظات الخـاصة جـداً، ولو دققنـا مليًّا في القرآن الكـريم، وفي الطبيعـة. لما رأينـا أحنّ من الزوجين بعضهمـا على بعض، لذا يقول القرآن المجيد بأنهما مخلوقان يسكن أحدهمـا للآخـر ويهدأ، وأنهما لا يمكن أن يتخلى أحدهما عن الآخر، وعليه فلا بُدّ لهمـا من العيش بعنوان زوج يكمل أحدهما الآخر:

﴿وجعل بينكما مودّةً ورحمةً﴾ (الروم/٢١).

أي جعـل بينكما الألفـة، وهذا الأمـر مـلاصق للرجـل والمـرأة منـذ أن خلقهما الله، حيث جعل المحبـة والمودّة والـرحمة بينهمـا، هذا إذا لم نـوجّه أي ضربة قاصمة لهذا السكن المألوف ولتلك المحبة والودّ الذي حبـاه الباري لنا منًّا وعطاءً جميلاً.

إن الدار التي لا يتمتع فيها الزوجان بهذه السكينـة، ولا يستفيدان فيهـا من هذه الألفة لا تعدو أن تكون كالفرد الذي لا يغالبه النوم، وأقول قولي هذا باعتبار أن الذي لا يأتيه النوم تراه مضطرباً قلقاً لا يعمـل فكره بـالمرّة، ويبـدو النحول والخمول على جسمه، ولكن قوته التخيلية تضحى متفاقمة.

فالنوم على حـدّ قول القـرآن المجيد يـوجب الهدوء والسكينـة، ويقول أيضاً إن الرجـل والمرأة يـوجبان الهـدوء لبعضهما البعض، فـالذي هـو مجرّد ليس له زوجة، كالذي ليس لـه دار، والتي ليس لها زوج كـالفرد الـذي غاب النوم عن عينيه؛ لذا يجب علينا أن نحافظ على حالة الهدوء والسكينة هذه من

خلال تخلّينا عن كلّ ما يمكن أن يسهم في تفتيت هذه الحالة والتي تعدّ بمثابة سكن وسكينة.

المرأة والرجل يزيّن أحدهما الآخر

إن الرجل والمرأة بنظر القرآن المجيد ليس فقط يسكن أحدهما للآخر، بل ويزيّن أحدهما الآخر أيضاً.

قال عزّ من قال في محكم كتابه:

﴿هُنَّ لباسٌ لكُمْ، وأنتم لباسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة/١٨٧).

إن اللباس في هذه الآية المباركة ينضوي تحت ثلاث معان، المعنى الأول: أن الزوجين يزيّن أحدهما الآخر، باعتبار أن اللباس زينة والشاهد على ما نقول هو إطلاق القرآن المجيد كلمة زينة على اللباس في آية أخرى:

﴿يا بني آدم خُذُوا زِينَتَكُمْ عندَ كُلِّ مسجدٍ وكُلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحبُّ المسرفين﴾ (الأعراف/٣١).

وبناءً على ذلك تضحى الآية «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» هن زينة لكم وأنتم كذلك زينة لهن.

أما المعنى الثاني فهو: أن المرأة قد تضحى سبباً في عدم انحراف الرجل، وقد يكون الرجل سبباً في عدم خروج المرأة من جادّة الصواب، وهذا ما سنتعرضُ له لاحقاً بحول الله تعالى.

أما المعنى الثالث فهو: أن الرجل ستر للمرأة، وكذا المرأة سترٌ لزوجها، فالرجل الغير متزوج مثل ذاك الذي لم يستر عورته، والمرأة التي لا زوج لها كتلك التي لا ترتدي حجاباً أو إزاراً يستر عورتها.

وعليه تكون الآية الشريفة التي ذكرناها: الرجل زينة امرأته، وكذا المرأة زينة لزوجها، لذا يجب على الزوجين أن يعرفا كيف يحافظان على هذه الزينة.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمّد «ع»:

«إنّما المرأة قلادة فانظر ما تتقلّد، وليس للمرأة خطر، لا لصالحتهنّ ولا لطالحتهنّ، فأما صالحتهنّ فليس خطرها الذهب والفضة، هي خير من الذهب والفضّة، وأما طالحتهن فليس خطرها التراب، التراب خير منها»(٣٩).

وقال الإمام زين العابدين وسيِّد الساجدين عليّ بن الحسين «ع»:

«وأمّا حق الزوجة فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها»(٤٠).

٥ ـ المرأة والرجل يسرّ أحدهما الآخر

علاوة على أن الرجل والمرأة يزيّن أحدهما الآخر، فهما سرور بعضهما البعض، وهذا ما يريده الإسلام لهما، فالمرأة الممتثلة لشرعة الإسلام، والرجل الملتزم بالنهج الإسلام إذا أظلّهم سقف واحد عمّهم الفرح والسرور والبهجة، وقد يكون بيننا اليوم من شغله التفكير بمنزله، فتراه ينتظر الخلوص من عمله المتعب كي يذهب إلى منزله، الذي يعتبره حديقةً غنَّاء بالرغم من عدم وجود حديقة فيه.

وقد يكون في جمعنا هذا سيدة تنتظر قدوم زوجها بفارغ الصبر، لتظهر له الهيئة الحسنة، والبسمة العريضة لكي يرتفع عنه التعب والهمّ والغمّ، الذي قد يصيبه من جرّاء عمله خارج المنزل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

«ما استفاد امرءٌ مسلمٌ فائدةً بعد الإسلامِ أفضلُ من زوجةٍ مُسلمةٍ تسُرُّه إذا نظرَ إليها»(٤١).

جاء أحدهم إلى الرسول الأكرم(ص) ليقول: يا رسول الله إن لي زوجة

---

(٣٩) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١٧.

(٤٠) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٥.

(٤١) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٢٣.

تبتسم عندما تلقاني، وتُدخل عليّ السرور حينما تراني مغتماً. فأخبره الرسول(ص) بأنها من عمال الله تبارك وتعالى، إنها من الملائكة، وأن ثوابها سيكون مثل ثوابهم.

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهنّ: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتى يطمئنّ قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه»[٤٢].

بناء على ما تقدم ينبغي للرجل أن يحتاط كثيراً في التعامل مع زوجه كي لا تنفلت عرى العلاقة الزوجية، وعندها لا يجد الرجل من يلتجيء إليه مثلما كان يلتجيء إلى زوجه التي كانت تخفف عليه مصائب العمل، وتبتسم بوجهه صادقة مخلصة، وتسعى جاهدة لأن تجعل من مأواهما مكان فرحٍ وبهجةٍ وسرور.

وإذا كان الرجل متهوراً ـ ولو بعض الشيء ـ في تعامله مع أهله فستتلوث تلك العلاقة. وتخبو حرارة المحيط العائلية، ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بين الزوجين، بل سيتعدّاهما إلى الأبناء ويصبحون ضحيةً لذلك التلوث.

إن المحيط الأسري الملوّث ـ بالنسبة للأبناء ـ أفسد من كلّ الأماكن الفاسدة، ولعلكم رأيتم بعض الأولاد ممّن ضعفت حافظتهم، أو قلّ تقبلهم للمسائل الفكرية وهذه هي إحدى نتائج ذلك التلوث المشؤوم، الذي كان الزوجان سبباً أساسياً فيه، فالبيت الذي يعمّه الهدوء والسكينة والألفة والمحبة لا يمكن أن يعدّ إلاّ أحد أماكن النزهة، أما ذلك الذي خلا من الودّ والاحترام والانسجام فسوف يسهم في إضعاف أعصاب المرأة والرجل، والأبناء، بل وقد يحسبه أحدهم ـ وخاصة الزوجة ـ زنزانة سجنٍ رهيبة.

---

(٤٢) بحار الأنوار/ ج ٧٨، ٢٣٧.

قد يجلس الرجل في بعض الأحيان في المقهى، أو عند دكّة دار أحد أصدقاءه إلى منتصف الليل، متناسياً أن له امرأة تنتظره في الدار على أحرّ من الجمر، مما يجرّ المرأة إلى الامتعاض من زوجها والامتناع عن التحدث إليه، ولو حكّمنا ضمائرنا لقلنا إن السبب في ذلك البرود الأسري هو الرجل الذي قد يتوقع من زوجته أكثر من طاقتها، بل وقد يسمعها كلاماً نابياً ويريد منها أن تركن إلى الهدوء والسكينة، وهذا كله تحميل للمرأة فوق طاقتها، وهو يبعث على انفصام عرى المحبّة والألفة بينهما حتى ولو كانا مسنّين.

إن المحبة بين الزوجين لا تحتاج إلى جمال، ولا إلى تزيّن وتجمّل لحاله، بل إن الجمال الواقعي هو ما تعكسه المحبة من صور جميلة في عين المحبّ حتى ولو كان الحبيب قبيحاً في الشكل، بالنسبة للآخرين المجرّدين عن العاطفة.

ويشاهد في قصة «قيس وليلى» والتي قد تكون ضرباً من الخيال، وفي حكاية «شرين وفرهاد» علائق ما بعدها علائق بين الحبيبين، ويقال إن تغنّي قيس بليلى بلغ سمع أحد الملوك ذلك الزمان، فأراد أن يرى ليلى عن كثب، وعندما ذهب إليها لم يرَ ليلى إلا بنتاً قروية، سوداء الوجه، شفاهها متدلّية كأنها طمرين، وبشكل عام قبيحة المنظر، فتعجب مما رأى! أهذه هي ليلى التي يتغنّى بها قيس، ويقول فيها أفضل الشعر؟.

وبعد أن فهم قيس ما يدور في خلد ذلك الملك قال:

لو نظر الملك بعين قيس   لما رأى غير جمال ليلى

قال: تعال وخذ عينيّ، لترى من خلالها وجه ليلى، إن هذه العين عَشِقَ صاحبها ليلى، فلا يمكن أن ترى ليلى إلاّ أجملَ مَنْ خلق الله تبارك وتعالى، والطريف في الأمر أنه كان يُبرّر كل قُبح فيها بعبارة جميلة؛ فحينما يقال له إنها سوداء كالفحم فلِمَ هذا الشغف والهيام؟ يجيب بأن المسك كلّما كان شديد السواد كان عبيره أعبق، ولهذا نعته القوم بالجنون!.

وكذا الأمر بالنسبة للزوجين، فعندما تكون المرأة مُحِبَّةً لزوجها لا يمكن

لها أن ترى سيئاته، وقد يصل بها الأمر إلى أن تثور بوجه من يُسدي لها النُّصح حتى لو كان أقرب الناس إليها في حال تعرضهم إلى ما يسيء إلى زوجها الخطّاء، دفاعاً عن زوجها الذي تحبّه.

وإذا ما أحب المرء زوجته رآها جميلة حتى لو لم تكن كذلك، وعليه لا ينبغي ذهاب النساء إلى المشعوذين والسحرة من أجل الحظوة بحبّ أزواجهن، لأن ذلك لا يؤدي إلى المحبة أبداً، بالإضافة إلى أنه عمل غير صالح وفيه أثمٌ كبير:

«أقبلت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله! إن لي زوجاً وله عليّ غلظة، وإنِّي صنعت به شيئاً لأعطفه عليّ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفّ لك: كدّرت دينك! لعنتك الملائكة الأخيار «قالها ثلاث مرات» لعنتك ملائكة السماء، لعنتك ملائكة الأرض...»(٤٣).

فالتي تريد جلب رضاية زوجها، أو تريد أن تحظى بقلبه عليها أن تكون حسنة الأخلاق، تُدخل السرور على قلبه دائماً، تقف معه في الشدائد والبلايا وكأنها هي المبتلية، تحاول الابتعاد عن كلّ ما يثيره أو يزعجه؛ وكذا الأمر بالنسبة للرجل الذي يريد امتلاك قلب امرأته، ينبغي له أن يتودد إليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً من خلال الكلام المهذّب والجميل، بعيداً عن البذاءة، والركاكة، والسباب، والعويل والزعيق، ويجب عليه أيضاً أن لا يعكس مشكلات عمله خارج المنزل على زوجته وأولاده فيصبّ نار غضبه على من في المنزل، لأن ذلك سيؤدي بهذا المنزل إلى حيث لا تحمد عقباه، ناهيك عن ضغطة القبر التي ستصيبه آجلاً بسبب سوء خلقه، وعدم التزامه بما جاء عن الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار الميامين سلام الله عليهم بصدد هذه القضايا المهمة جداً، والتي بسبب الالتزام بها يعمر المجتمع ويصفو.

قال رسول الله (ص):

«إنّي لأتعجب ممّن يضرب امرأته، وهو بالضرب منها أولى...»(٤٤).

---

(٤٣) بحار الأنوار/ ج ٧٩، ص ٢١٤.

(٤٤) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٢٤٩.

وقال أيضاً:

«من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها، ولا حسنة من عملها حتّى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر . . ، وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها مؤذياً ظالماً»(٤٥).

جاء في الخبر أن أحد أصحاب رسول الله الخاصين مات، فسار الرسول(ص) في تشييع جنازته، وأنزله بنفسه إلى القبر، وواراه التراب بيديه المباركتين، فقال الناس: هنيئاً له فقد أنزله الرسول محمّد(ص) إلى قبره، فالتفت إليهم الرسول(ص) وأخبرهم بأنه قد كسرت أضلاعُه الساعة من شدة ضغط القبر عليه، فقالوا: إنه كان خيراً، فأجابهم الرسول(ص) بأنه كان سيء الخلق في داره، وكان يلوم امرأته ويصرخ في وجهها كثيراً!.

فالمسلم بشكل عام لا ينبغي له أن يكون ظالماً ولا فاحشاً ولا بذيئاً، ولا ينبغي له أن يكون عاملاً بالشك والريبة والظنّ، وأن الذي فعل ذلك لن يحظى إلا بغضب الله ورسوله والأئمة من أهل بيته.

فالضرب والشتم والسبّ الذي يستخدمه بعض الرجال مع نسائهم ليس من الرجولة في شيء، لأن اللواتي يضربونهن لا حول لهنّ ولا قوة، ولو كُنَّ غير ذلك لما تجرؤوا على ضربهنّ أو سبّهنّ، هذا بالنسبة للرجل، أما بالنسبة للمرأة اللعانة السبّابة هي الأخرى مغضوبٌ عليها، ولا يقبل لها عمل حسن عند الله أبداً، ولن يتأتى لها أن تشمّ ريح الجنة.

وإنَّ الرجال والنساء الذين يستخدمون العبارات السافلة والوضيعة تجاه بعضهم البعض سيحشرون ـ على حدّ ما جاء في الأخبار ـ وألسنتهم متدلّية على الأرض يسحقون عليها بأقدامهم، فيسأل من في الحشر عنهم فيقال لهم: إنهم عدّة مجاميع: مجموعة منهم اللعانون السبّابون، ومجموعة ثانية، النساء اللواتي كنّ يشتمن أزواجهن ويَرْددن عليهم الكيل صاعين، ومجموعة

---

(٤٥) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١١٦.

ثالثة، الرجال الـذين كانـوا يضربـون نساءهم ويشتمـوهن، ويكيلوا لهن شتى التهم الباطلة. . .

في بعض الأحيان نرى أن أحد الرجال يبدو عليـه الوقـار والفهم، ولكنه غير ذلك كـونه يسبّ ابنـه ويقول لـه: «ابن الكلب» أو «ابن الحمار» ومـا إلى ذلك من السباب، ولكننا نقول: إن ذلك الرجل حقّاً ما يقول، لأن البذيء من الناس يحشر يوم القيامة كلباً أو حماراً أو ما إلى ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن الفرد الذي يشتم ويسبّ يعتـاد على هذه الحـالة، وتصبح عنده بعد مدّة «ملكة» أو بالأحرى «هويّة» له، وبناء على قانـون تجسّم الأعمال يضحى كلباً، لكنه لا يتمكن أن يرى حاله ذاك بـالعين المجرّدة، ولـو تأتى له أن يرى بعين بصيرته لرأى نفسه كلباً مسعوراً.

يقـال إن أحـد الأشخـاص رأى صديقاً لـه في منـامـه على هيئـة كلب فسـأله: لم تغيّـر شكلك إلى ما أرى بـالرغم من أنـك كنت خيّـراً على زمـان الدنيا، فيـأتيه الجـواب: آه من سوء الخُلق في الـدار! آه من سوء خُلقي مـع أهلي وعيالي!.

إن هذا البذيء لساناً، والذي لا يعرف أن ينادي زوجته إلاّ بـالسيء من العبارات يراه البعض ممن كشف البـاري لهم الحجاب «كـالعلامـة المجلسي ـ أو صدر المتألهين» كلباً مسعوراً على حقيقته.

فيا أيتها السيـدة! لا تستخدمي العبـارات النابيـة ولا البذيئـة، لأنك قـد تكونين جميلة وشابة، ومحبوبـة بين أهل زمـانك، لكنـك مبغوضـة عند أهـل السماء، ولا تُعتبرين أكثر من كلبة!.

وكـذلـك بـالنسبـة للرجـل البـاذر في الكــلام والمسيء في استخـدام العبـارات فقد يكـون أحدهـم ذا شخصيـة ونفوذ اجتمـاعي مرمـوق، متمكن، مقتـدر، لكنه وبسبب سبـابه وشتـائمه ولعنـه لزوجـه وأبنائه ولبعض النـاس لا يمكن أن يراه الملائكة إلاّ كلباً.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«تجنّب من كلّ خلق أسوأه، وجاهد نفسك على تجنّبه، فإن الشرّ لجاجة»(٤٦).

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«إن حسن الخُلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخُلق ليُفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل»(٤٧).

وجاء في الخبر أن الأرواح تصعد إلى ساحة الربوبية المقدسة في بادىء الأمر بعد الموت، ومن ثم يُذهب بها إلى الجنة أو جهنم، ويقال إن الروح عندما تصعد إلى السماء الأولى والثانية والثالثة.. وحتى تصل إلى السابعة ومنها إلى اللوح والقلم، وفي النهاية إلى العرش، يشيع الخبر بين الملائك بأن كلباً جاء إلينا! فما العمل؟ فهل ترضَ لنفسك أيها الإنسان أن تلتقي ربك على هيئة كلب؟!

أما إذا كانت الروح الصاعدة هي لأحد الخيّرين الملتزمين، من الذين كانوا يشيعون الهدوء والسكينة في الدار، ويترقفون لأزواجهم وأبنائهم فإن الحال سيكون غير ذلك الذي ذكرنا، وعندها ستقول الملائكة جاء السيد، جاء المؤمن، جاء المسلم، وجاءت السيدة، جاءت المؤمنة، جاءت الخيّرة، كونهم رضوا عن الله ورضيَ عنهم فأرضاهم.

اللهم نُقسم عليك بأولاد الحسين «ع» ألاّ جعلت بيوتنا، وأزواجنا، وأبناءنا مبعثاً للسرور والبهجة والحبور، اللهم اسبغ على بيوتنا الهدوء والسكينة.

اللهم نقسم عليك بعزتك وجلالك تفضل علينا بأبناء صالحين مؤمنين ونساء خيّرات مؤمنات واحشرنا معهم في الآخرة كما كنّا نعيش معهم في الدنيا إنك أنت أرحم الراحمين وصلّ اللهم على محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

---

(٤٦) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ص ٢١٣.

(٤٧) بحار الأنوار/ ج ٧١، ص ٣٧٥.

الفصل الرابع ٣

٦ ـ تهذيب النفس

مقام الصبر

٧ ـ أسمى من صلاة الليل

٦ ـ تهذيب النفس

سبق وأن تعرضنا إلى خمسة فوائد يمكن أن يحظى بها الفرد من تشكيل الأسرة، وفي هذا الفصل سنتعرض إلى فائدة سادسة يمكن إضافتها إلى تلك الفوائد الخمس وهي: تهذيب النفس أو ما يصطلح عليه بالتحلية.

إن الرجل والمرأة يتأتى لهما تهذيب نفسيهما داخل المنزل، ويتحليا بالفضائل والصفات الحميدة، أي أنهما يستطيعان بلوغ مقام التخلية بالإضافة إلى مقام التحلية.

إن علماء الأخلاق يعتبرون بلوغ هاتين المرحلتين أو المقامين أمراً صعباً. أي أن من الصعب على الفرد الحامل للصفات الرذيلة التخلّي عن تلك الصفات، وقلع جذورها من الأساس، وزرع شجرة الفضيلة في نفسه كي تنبت بدل الصفات الرذيلة، صفات إنسانية حميدة:

﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فكّ رقبة﴾ (البلد/١١ ـ ١٣).

إن الإنسان يستطيع أن يصل إلى مقام التخلية، إلى المقام الذي يتحرر فيه من الصفات الرذيلة بالرغم من الصعوبة التي يلاقيها على هذا السبيل، والأمر الأصعب من ذلك هو ذلك الذي يزرع الإنسان فيه نبتة الخير في نفسه ليبلغ مقام التحلية أو مقام التزين والتحلّي بالصفات الحميدة والسامية.

وبناء على ذلك يستطيع الفرد قلع جذور الجزع والفزع من قلبه ليزرع في مكانها ملكة الصبر، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى مواظبة واستمرارية في العمل، لأن النفس الأمارة بالسوء إذا ما تُركت على هواها انساقت خلف

الموبقات، وإنها ـ أي النفس ـ كالفيل الذي ينبغي أن يضربه صاحبه بالمطرقة على رأسه باستمرار، فإذا غفل عنه لحظة ولم يطرق على رأسه، انحرف به إلى حيث الهلكة.

إذن، يستطيع الإنسان أن ينال المقام السامي الرفيع إذا سعى جاهداً لذلك، وتمكن من الصفات الرذيلة، ومن ثم أوجد الصفات الفاضلة في نفسه ونماها ليلاً نهاراً كي تثمر ثمراً طيباً، وأن الأنبياء والرسل جاؤا من أجل هذه القضية، بالإضافة إلى أن كتبهم جميعاً كانت تحث على ذلك.

وفي القرآن آيات كثيرة تبيّن لكم صحة ما نقول منها:

﴿هُو الذي بعث في الأميّين رسولاً مِنْهُم يتلو عليهم آياتِهِ ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة/٢).

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله جاء بمعجزة القرآن لكي يهذب الناس ويزكيهم ويرفع من مستواهم العلمي، وأن الأنبياء لم يوفقوا لهذا العمل الشاق بالرغم من مساعيهم الحادة على هذه الطريق.

إن على الرجل والمرأة أن يلتفتا إلى أن البيت هو أفضل مكان للتربية والتعليم، وإنهما كمعلم الأخلاق لا يفرقان عنه شيئاً، بل قد يكونا أفضل منه إذا كانا جادّين في عملهما من أجل الله تعالت أسماؤه، لذا يمكن القول بأن تشكيل الأسرة يعتبر بمثابة تشكيل مجلس للأخلاق.

فمعلّم الأخلاق يسعى من أجل تهذيب تلميذه، وبعد التهذيب يسعى مرة ثانية ويجاهد من أجل رفعه إلى مقام التحلية، أي التحلي بالصفات والفضائل الإنسانية، ولكن قد يصادف التلميذ معلماً يهذّبه، وفي أثناء التهذيب يسعى لجرّ رجله إلى الصفات والفضائل الإنسانية، وهذا ما تفعله الأسرة مع أبنائها. فالزوج يهذّب زوجته، والزوجة تسهم في تهذيب زوجها، وكلاهما يسعى من أجل تهذيب الأبناء، وإيصالهم إلى الفضائل الإنسانية الحسنة، وعليه يمكن أن نقول إن الأسرة في واقع الأمر تقوم بعملين في آن واحد.

يستطيع الزوجان إذا استعانا ببعضهما البعض، وخدم أحدهما الآخر وسعيا جميعاً لتربية الأبناء أن يبتعدا عن الجزع والفزع.

إن هاتين الصفتين الرذيلتين، ملاصقة للإنسان كظلّه، ولكن بالعمل الجادّ يمكن أن تقلع من جذورهما وإلى الأبد، وقد تطرق القرآن المجيد إلى هذه المسألة الحساسة وبيّن بأن هذه الصفات موجودة في طبيعة البشر أساساً، ولكن المصلّين ـ على سبيل المثال ـ يتأتى لهم أن يبتعدوا عنها:

﴿إن الإنسان خُلِقَ هلوعاً إذا مَسَّه الشَرُّ جَزُوعاً، وإذا مَسَّهُ الخير مَنُوعاً إلاَّ المصلّين﴾ (المعارج/١٩ ـ ٢٢).

يقال إن الإنسان ميّال مع الأهواء يأخذه الجزر ويردّه المدّ ويضيع بينهما، والهَلُوع يعني بها الميّال، كحصية الشارع الصغيرة التي تدفعها الأقدام يميناً وشمالاً، لذا يقول القرآن بهلعه، كونه يتهاوى لأقل المصائب والبلايا، وعلى العكس من ذلك تراه متكبراً حينما تُقبل الدنيا عليه.

وأما الجزع والفزع فقد عدّهما علم الأخلاق من الصفات السيئة، وأن الفرد الذي يحمل بين جنبيه فَزَعاً، يتهاوى مقابل أتفه جملة توجّه إليه، فإذا ما لاحظ يوماً أن سلوك ابنه سيء يصرخ ويولول ولا يدري ماذا يفعل؟ وهذه هي من الصفات السيئة التي يحملها الإنسان في العادة، أما الصفة الحسنة التي تقابل هذه في الجانب الآخر فهي: الصبر والاستقامة التي سيثبت الباري من التزم بها.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿إنَّما يُوفَّى الصابرون أجرهُم بغيرِ حساب﴾ (الزمر/١٠).

إن للمصلي أجراً معلوماً، وكذا الأمر بالنسبة للصيام، والخمس، والزكاة، وكذا الذهاب إلى سوح القتال، وإن المسألة الوحيدة التي يثيب الباري عليها بغير حساب هي الصبر.

الصبر على المصائب، الصبر على البلايا، الصبر على تربية الأولاد،

صبر المرأة على سوء خُلق زوجها، وصبر الزوج على الإساءات التي قد تبدو من زوجته، وإن أفضل صبر يمكن أن يثاب عليه الإنسان هو ذاك الذي يحصل في البيت أو في المحيط العائلي.

إذا كان الرجل عاقلاً، يمكن أن يصل إلى المقامات العلى من خلال تحمله سوء خلق زوجته وصبره عليها، بل ويمكن أن يتعلم الإنسان الصبر من ذلك المحيط، وعندها يضحى هو مدرسةً للصبر والتحمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مِن أقل ما أوتيتم اليقين، وعزيمة الصبر، ومَنْ أُعطيَ حظَّهُ منهما لم يبالِ ما فاته قيام الليلِ وصيام النهار، ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحبّ إليّ من أن يوافيني كلّ امرىءٍ منكم بمثل عمل جميعكم...»[٤٨].

إن العاقل وحده هو الذي يتمكن من الوصول إلى الجنّة، وإن محبي أمير المؤمنين عليّ «ع» لا يذوقون من العذاب إلا قليله، وإن دخلوا جهنم فإنهم سيتركوها سريعاً، ليصلوا إلى جنة الخلد عند مليك مقتدر، وما ذلك إلا تطهيراً لهم من الأدران التي يمكن أن تعلق بالقلوب والأرواح الإنسانية.

إن عدم الذهاب إلى جهنم لا يُعدّ شطارةً لأن المجانين لا يذهبون إليها أيضاً، وكذا دخول الجنة ليس من الفطنة في شيء، لأن الأطفال يدخلون الجنة أيضاً، وبغير حساب، وإذا ما ذهبت أنت الآخر إليها بدون حساب لا يمكن أن تعدّ فطِناً بالضرورة.

بل إن الفطن هو من استطاع كسب رضا الله تباركت أسماؤه وجلّت صفاته.

إن الإنسان يستطيع أن يعمل شيئاً ليكون قلبه مكاناً لله تعالى، عندها يكون قد كسب شيئاً قيّماً، أهم من ذهابه إلى الجنة، وفي هذه الدنيا مَنْ يتأتى له أن يكون قلبه مكاناً لعرش الله تبارك وتعالى.

---

(٤٨) بحار الأنوار/ ج ٨٢، ص ١٣٧.

يتمكن من ذلك المؤمن الذي عبر مقام التحلية ومقام التخلية ويتمكن من ذلك من استطاع اجتثاث شجرة الرذيلة ليغرس بدلها شجرة الفضيلة، وهذا يمكن أن يتم على أحسن وجه داخل الأسرة الواحدة.

إن التضحية والإيثار فضائل لا تمنح لكل فرد، وإن الشك، والظن، والحدّة، والانتقام صفات تتمتع بها الوحوش أيضاً لذا ومن أجل أن يتخلص الإنسان من الشك والحدة وروح الانتقام، ويصل إلى حالة الإيثار والتضحية وباقي الصفات الحميدة عليه أن ينتخب أفضل مكان لهذا الأمر ألا وهو الأسرة.

إن التربية السليمة تتنكر للضرب في أصلها، وإن قاعدة تسلّط القوي على الضعيف لا يمكن أن تسود إلاّ في شرعة الغاب، وقد يستخدمها البعض في المحيط العائلي فيضرب زوجته وأبناءه، باعتباره قوياً وهم ضعفاء، حاله كحال الحيوانات التي إذا أردت أن تختبر قوتها فيما عليك إلاّ أن تضع أمامها مقدارا من العلف لترى بنفسك كيف يدفع القوي الضعيف ليستأثر لوحده بذلك العلف، وهذا ما نرى شبيهه في عالم اليوم حيث تستخدم القوى الكبرى قدرتها العسكرية، لتمتص دماء المستضعفين، ولتحكم بالجور والظلم متوسلة بالقوة والنار والحديد.

ولو فعل الرجل مثل فعل أولئك الظالمين، واستخدم قواه البدنية في ضرب أهله وعياله، لكان من الأولى أن يُحْسَب على الحيوانات لا على البشر، ولا على المسلمين منهم، ومن فعل ذلك ـ حتى ولو كانت المرأة مقصّرة ـ واحمرّ وجه امرأته من ضربةٍ قوية كان عليه أن يؤدي لها مثقالاً من الذهب الخالص، وإذا ما ضرب الرجل زوجته بشدة، فاسودّ بدنها، عليه أن يدفع لها ثلاثة مثاقيل ذهباً ولو كانت هي مخطئة بنسبة ١٠٠٪.

هل يجوز أن تضرب المرأة؟ وهل يجوز ضرب الولد بلا سبب؟ وهل يجوز أن يسبّ الرجل زوجه أو ولده؟.

إن هذه الأعمال لا يمكن أن تنسب إلاّ إلى الوحوش ومن شابههم في الفعل والقول.

جاء في الخبر: إذا صار يوم القيامة نُصبت هناك خيمة من نار، وجيء بالرجال والنساء الذين ظلموا أنفسهم والآخرين باستخدامهم القوّة فادخلوا فيها، ثم يؤتى بمن رضيَ بعملهم، وبمن أعانهم على ذلك فيدخل معهم في تلك الخيمة حتى يفرغ الناس من الحساب، ليُذهب بهم إلى جهنم وبئس المصير.

من هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يضحّي ويتحمل في سبيل قيام جيل صالح ومفيد؟.

ومن هو ذلك الفرد الذي يستطيع أن يبتعد عن النظرة الضيقة ليحلّ محلّها سعة الصدر؟.

إن السيدة التي تصبر على أذى زوجها، ولا تُخرج ما بينها وبين زوجها من أسرار إلى خارج بيتها تقول: اللهم إنني صابرة من أجل الحظوة برضاك لأنك أمرتنا بالصبر، اللهم ارحمنا وارحم زوجي الذي يستعمل يده لضربي، واهدني وإياه إلى سواء السبيل، هذه السيدة بلغت مقام التضحية والإيثار وسعة الصدر، ومثل هذه الامرأة لا بد وأن تحشر مع الزهراء البتول سلام الله عليها، لأن الزهراء «ع» كانت معروفة بسعة الصدر، وبالتضحية والإيثار إلى الحد الذي جعلها تتصدق بإفطارها لثلاثة أيام متوالية هي وبعلها وابنيها حتى أنزل الله فيهم الآية المباركة:

﴿ويطعمون الطعام على حُبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ (الدهر/٨).

إن تلك الصابرة على الأذى والبلاء والشدة، وذلك الرجل الذي يتحمل المصائب وملمّات الدهر، ويصبر على ما يجري في داره، بل ويضحّي من أجل أسرته سيحشرهم الباري تعالى مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه، لأنهم يؤثرون على أنفسهم كل شيء من أجل الفوز برضا الله تبارك وتعالى:

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصة﴾ (الحشر/٩).

ورد في شأن هذه الآية روايات متعددة منها: إن أمير المؤمنين عليّ «ع»

اشترى رمّانة واحدة، وأراد أن يأتي بها إلى الزهراء «ع»، والتي كانت طريحة الفراش في بيتها، وفي الطريق إلى المنزل عرّج أمير المؤمنين «ع» على بيت أحد الفقراء ليسأل عن أحواله فرآه مريضاً، فقال له «ع»: أن يطلب منه شيئاً يأتي به إليه، فأجاب: لا بأس برمّانة واحدة - وكان أعمى - عندها أطعمه الإمام عليّ «ع» تلك الرمانة التي كان يريد الذهاب بها إلى الزهراء «ع»، والجدير بالذكر أنه لم يكن فصل أوان الرمان، ولم يكن في السوق إلا تلك الرمانة اليتيمة.

على أية حال من أراد الحظوة بشفاعة أمير المؤمنين «ع»، فما عليه إلا أن يتشبّه به، يتشبه بطريقة إيثاره وتضحيته.

إن معنى الشفاعة في أصلها هوالتشبه، فمن أرادت من النساء نيل شفاعة فاطمة بنت محمّد(ص) ينبغي لها أن تتشبّه بأفعالها سلام الله عليها، والتشبه بها يعني الصبر على المصائب والنوائب، والإيثار والتضحية.

يا عوائل الشهداء! هنيئاً لكم إذا ما كنتم صابرين على فقدانكم لأبنائكم، وآبائكم، الذين جادوا بأنفسهم من أجل رفعة هذا الدين الحنيف.

أيها النساء! يا من استشهد أزواجكن من أجل نصرة الإسلام المحمدي الأصيل وتركوا لكم أبناءً صغار تحسنون تربيتهم، اعلموا بأن الثواب والأجر الجزيل الذي ستحظون به كل يوم يعدل أجر وثواب ذلك الشهيد الذي حظي عليه مرة واحدة.

إن الصعوبة التي تلاقيها النساء الفاقدات لأزواجهن ليست مسألة هيّنة، ولكنها تهون عندما تفكر تلك النساء بما سينعمن به من ثواب جزيل وأجر جميل يوم لا ينفع مال ولا بنون.

إن زوجة الشهيد المؤمنة، عندما تتمكن من نفسها، وتصبر على تربية أبنائها، وعلى فراق زوجها، وعلى المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقها، ستصل في يوم من الأيام إلى امتلاك «الصبر»، وحينها يضحى الصبر «ملكة» لديها، وتتمكن من تجاوز مقام التخلية إلى مقام التحلية الذي يرى الإنسان

من خلاله سهولة وهون البلايا والمصائب، إذا ما قيس بالأجـر والثواب الـذي سينعم به إلى الأبد عند رب السموات والأرض.

إن حيـاة الفقراء صعبـة للغايـة، وقد لا تـوجد مشكلة بعـد الشرك مثـل الفقر، أما إذا صبر الفقير على فقـره، وصبرت المـرأة على ضيق يد زوجهـا، بل وتمكنت من مواساة زوجها المسكين، اعتذر لهم الله تعالى في يوم الجزاء على ما أصابهم من فقر وفاقة، وأدخلهم جناته بدون حساب على حدّ مـا جاء في الأخبـار المتواتـرة، ولا أظنّ أن هناك مقـاماً أسمى من هـذا المقام الـذي يعتذر فيه الباري جلّت أسماؤه فيـه لهم جزاء صبـرهم على ما لاقـوا من ضيق وفقر وفاقة.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع»:

«لـو يعلم المؤمن مـا لـه في المصـائب من الأجـر لتمنّى أن يُقـرض بالمقاريض»[٤٩].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن البيت يمكن أن يكون مدرسة، وأي مدرسة؟ مـدرسة تقـوم بعملين مهمين الأول: قلع الصفات الـرذيلة، والثاني: غـرس الصفات النبيلة، فيـا أيتها السيـدة! اصبري على غضب وسـوء خُـلق زوجك كي تنالي «ملكة» الصبر وإذا ما حصل ذلـك كان لـك عند الله أفضـل من كل ما في الدنيا وكل ما في الآخـرة، وأنت كذلـك أيها السيـد! ترفّـع عن التـوافه، ولا تجـزع أو تفزع أو تغضب بسـرعة، واعلم بـأنك لـو تمكنت من امتلاك «الصبر» فستكون قالعاً لجذور الـرذيلة، وغارسـاً لشجرة الفضيلة وهـذا خيرٌ لك من الحظوة بالجنة لو كنت تعلم بذلك:

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ (البقرة/١٠١).

إن هذه الآية المباركة نزلت بحق الصابـرين الملتزمين المؤمنين والـذين ابتلوا بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأمـوال والأنفس، لكنهم تمكنوا

---

(٤٩) بحار الأنوار/ ج٦٧، ص ٢٤٠.

من الحفاظ على دينهم بما لديهم من صبر، يريدون بذلك الفوز برضا الله، وعندما فازوا صلّى الباري عليهم وأنزل عليهم رحمةً منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«بالصبر يتوقع الفرج، ومن يُدمِنْ قرع الباب يلج»(٥٠).

٧ ـ اسمى من صلاة الليل

إن إحدى فضائل تشكيل الأسرة، وتربية الأبناء هو أنها أسمى من أيّة صلاة مستحبة، أي يمكن القول بأنها أسمى من صلاة الليل بالرغم من أن صلاة الليل مهمة جداً، وإن القرآن وعد بإعطاء المقام المحمود للذي يصلّي نافلة الليل والناس نيام:

﴿ومن الليل فتهجّد بهِ نافلةً لك عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾ (الإسراء/ ٧٩).

أما الثواب الذي يمكن أن يكون أسمى من ثواب قيام الليل هو قيام المرأة في قلب الليل لترضع طفلها، أو لهدهدته حتى ينام، أو قيام تلك السيدة في منتصف الليل من أجل مداراة زوجها، أو قيام زوجها من أجل مداراتها.

جاء في الخبر أن الرجل يغفر له جميع ذنوبه إذا اغتسل غسل الجنابة، وكذا الأمر بالنسبةُ لزوجته حيث يغفر الله لها ما تقدم من ذنبها وما تأخّر حينما تغتسل.

والجدير بالذكر أن بعض الروايات تتعرض إلى مسألة الغسل فتذكر بأن كل قطرة تسقط إلى الأرض من جسم الرجل أو امرأته بعد الغسل تضحى ملكاً يستغفر لهما يوم القيامة. وإذا ما حملت المرأة كانت أنفاسها عبادة، ونومها عبادة، ومشاكل حملها عبادة، وعندما تلد ولداً مجرداً من المعاصي تضحى هي الأخرى مجرّدة عن المعاصي بعدما يغفر الله جميع خطاياها.

---

(٥٠) بحار الأنوار/ ج ٧١، ص ٩٦.

أيتهـا السيدة! احـذري من أن يخالط عملك عمـل لا يـرضى الله بـه، احذري أن تعصي الله من خلال عدم التزامك بما يقوله لك زوجك، واعلمي بأن طاعـة الزوج واجبـة ولازمة، وأنت أيهـا الرجـل! ينبغي لك أن تعلم بـأن مساعدة الزوجة في الأمور المنزلية فيه الثواب والأجر الجزيلان.

جـاء في الأخبـار أن رســول الله صلى الله عليـه وآلــه دخـل إلى بيت عليّ «ع» فرآه ينظف عدساً، فأخبره(ص) بأن مساعدة الزوجة فيه الثواب الكثير ثم قال وقال حتى بلغ بذلك ثواب الشهيد.

أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنّهـا أتت النبيّ صلى الله عليه وآله وهو بين أصحابه فقالت: «بأبي أنت وأمي! إني وافدة النساء إليك، واعلم ـ نفسي لك الفداء ـ أنّه ما من امـرأة كائنـة في شرق ولاغـرب سمعت بمخـرجي هـذا إلا وهي على مثـل رأيي، إن الله بعثـك بـالحق إلى الـرجـال والنساء، فآمنّـا بك وبـإلهك الـذي أرسلك، وإنّا معـاشر النسـاء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقتضى شهواتكم، وحامـلات أولادكم، وإنكم معـاشر الـرجال فضّلتم علينـا بالجمعـة والجماعـات وعيادة المـرضى وشهود الجنـائز والحـجّ بعد الحـجّ، وأفضـل من ذلـك الجهـاد في سبيـل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّا معتمراً أو مرابطاً حفـظنا لكم أمـوالكم، وغزلنـا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أموالكم فما نشارككم من الأجر يا رسول الله؟.

فالتفت النبيّ صلى الله عليه وآلـه وأصحابـه بوجهـه كله ثم قال: «هـل سمعتم مقالة قطّ أحسن من مسألتها من أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله ما ظنّنا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!.

فالتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إليها ثم قال لها: «انصرفي أيتها المرأة وأعلمي مَن خلفـك مِنَ النسـاء أنَّ حُسن تبعّـل إحـداكنّ لـزوجهـا، وطلبهـا مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كلّـه.

فأدبرت المرأة وهي تهلّل وتكبّر استبشاراً»[٥١].

---

(٥١) الدرّ المنثور/ ج ٢، ص ١٥٣.

وجاء في الخبر أن المرأة التي تطهو وتنظف وترتّب الأمور في بيتها لها مثل ثواب الشهيد، ولا تظن امرأة بأن الثواب يقتصر على الذهاب إلى مكة فقط.

قالت لي إحدى النساء: توسط لي في الذهاب المستحب إلى مكة! فقلت لها إذا كنتِ ترومين ثواب سبعين حجة فما عليك إلا أن تُنفقي أموالك هذه التي تريدين بها مكة للفقراء والضعفاء والمساكين، وعندها تغيّر لونها وقالت لي: كلا، لن أفعل ذلك، فإن كان فيك قدرة على ذلك فافعل، وإلاّ فلا تتحدث أكثر من طاقتك!

قال الإمام الباقر محمد بن عليّ عليه السلام:

«لأن أعول أهل بيت من المسلمين، وأشبع جوعتهم، وأكسو عريهم، وأكفّ وجوههم عن الناس، أحبّ إليَّ من أن أحجّ حجَّة، وحجّة، وحجّة، حتى أنتهي إلى عشرة ومثلها، ومثلها، ومثلها، حتى أنتهي إلى سبعين»(٥٢).

إن الذي يكدّ على عياله، ويسعى جاهداً من أجل جلب لقمة العيش إليهم يمكن أن يعتبر كالمجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»، وإن من تبسم بوجه زوجه، وشكرها على ما تقوم به من أعمال يومية في المنزل أضحت له كحور العين في جمالها وخصالها، ولا تظنوا أن حور العين كنساء الدنيا، كلا، إنهن أسمى وأرفع من ذلك كثيراً وإن الواحدة منهن لو خرجت إلى الدنيا، لما احتاج الناس بوجودها إلى شمس أو قمر.

وكذا الأمر بالنسبة للزوجة التي تستقبل زوجها بوجه حسن، وثغر باسم، وبكلام مؤدب ولطيف ينسيه التعب الذي كان يعاني منه قبل لحظات.

جاء في الخبر أن الرسول الأكرم(ص)رأى في ليلة المعراج أن بعض الملائكة في الجنة جلسوا جانباً بدون عمل، وبعضهم يعمل قليلاً، ثم يركن

---

(٥٢) بحار الأنوار/ ج ٩٩، ص ٥.

جانباً، فسأل(ص)جبرئيل «ع» عن ذلك فأجاب بأنهم ينتظرون قدوم مواد البناء من الحياة الدنيا.

لذا ينبغي القول بأن العمل الصالح، الإنفاق، والتصدق وما إلى ذلك يمكن أن يحتسب مواداً بنائية، تستعمل في بناء القصور والدور والمساكن التي تعدّ للخيّرين المحسنين.

* * *

الفصل الخامس ١

المحبة والرحمة في البيت

آفات المحبة

١ ـ الحِدّة

٢ ـ الضرب والبذاءة

٣ ـ التجريح باللسان

المحبة والرحمة في البيت

إن بحثنا في هذا الفصل يدور حول المحبة والرحمة في البيت، وقد يكون هذا الفصل أفضل ما طرحنا في مجمل بحوثنا، لذا كان علينا أن نتحرى كثيراً ونهتم أكثر بهذا الفصل متمنين شمولنا بلطف بقية الله الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لكي نتمكن من العمل بما جاء في هذا الفصل من قضايا تعنى بالمحبّة والرحمة في البين الأسري.

إنّ المحبة تشبه بعض الشيء قانون الجاذبية في هذا العالم، هذا القانون الذي يقوم العالم بأسره على أساسه، مثلما تقوم الأسرة والبيت على أساس المحبة والرحمة.

لو سُلب قانون الجاذبية من هذا العالم ـ ابتداءً من الذرّة وانتهاءً بالمجرّة ـ لاختلّت النظم القائمة فيه، ولساد الفناء في مجمل عالم الطبيعة.

فإذا ما انعدمت المحبة في المنزل، وبين أفراد الأسرة الواحدة فسوف تنفلت عرى الألفة، ويَؤول المنزل إلى قبر يملأه العذاب الشديد، لأن الدار الخالية من المحبة لا يمكن أن تكون فيها حياة حقيقية، لا يمكن أن يكون فيها إلا الموت، الموت التدريجي المقرون بالعذاب.

وبناء على ذلك منح الباري تعالت أسماؤه الأسرة في وقت تشكيلها عنايةً خاصة ورحمة منه ولطف حتى يسكن الواحد إلى الآخر:

﴿ومن آياته أن خلق لكم مِنْ أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم/٢١).

هل تعلمون أن لكل بناء ملاط ـ وهو ما يوضع من الإسمنت ونحوه بين

قطع الطابوق أو الحجر لتماسكها ـ وأن ملاط الزواج وتشكيل الأسرة هو المحبة والود والألفة؟.

قال الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم:
«ما بُنِي بناءٌ في الإسلام أحبُّ إلى الله عز وجل من التزويج»[٥٣].

أما الآن فسنبحث في مسألتين: الأولى: ما هي المسائل التي يمكن أن تبعثر المحبة في البيت، بل ويمكن أن تقضي عليها بالمرة.

المسألة الثانية: ما هي القضايا التي تساعد على ترسيخ عرى المحبة في البيت.

ألف: آفات المحبة:

١ ـ الحدّة:

إن أول شيء يمكن أن يُذهب المحبة من البيت إلى غير رجعة هي الحدة، الاختلاف، الغضب، وهذه كلها لا تبقي على الألفة والانسجام والودّ في البين العائلي.

فإذا ما ردّت المرأة على زوجها بحدّة، اشتعلت نار الغضب، وإذا ما تفاقم الأمر بدت العداوة والبغضاء لتصل في نهاية الأمر إلى كسر زجاجة المحبة، وحينها تبدل المحبة بالنفور، وهذا ما تفعله الحدّة في أغلب الأحيان، ناهيك عن مسألة القياس التي يستعملها بعض الرجال فهي الأخرى تُميت المحبة في كلا القلبين، وتبدل الألفة بالنفور، كأن يقول الرجل لامرأته: إنك لا تجيدين شيئاً بالمرة، وإن جارتنا فلانة أفضل منك بكثير حيث يقول زوجها بأنها امرأة جيدة، وطاهية ماهرة و.. و...

إن مثل هذه العبارات تنزل على رأس المرأة، كالصاعقة التي تهوي على زرع يابس بالإضافة إلى تهيئة القلب لأن يكون قاسياً من جرّاء الحقد الذي جلبته تلك العبارات، وقد أكد علماء النفس على هذه القضية فحرّموا

---

(٥٣) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ٣.

مقارنة الزوجة بغيرها من النسـاء، وتنكّروا للتحـدث إليها على هـذه الشاكلة، لأن المرأة لا يمكن أن تنسى هذه العبارات ما دامت حيّـة، وإذا أراد الشخص أن يشطب على تلك العبارات فسـوف يحتاج إلى جهـد إضافي للوصـول إلى قلبها ثانيةً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«قول الرجل للمرأة إنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً»(٥٤).

٢ ـ الضرب والبذاءة

إن مسألة الضرب والبذاءة لا ترتبط بما نبحث فيه أصلاً، وأكـرر مقولتي التي طالما ذكّرت بها إخواني وهي، إذا جرى السبّ والشتائم على لسان رجل أو امـرأة ـ والعياذ بـالله ـ فسيعرف الجميـع بأن هـذا الـرجـل وتلك المـرأة لا يتمتعـون بشخصية إسـلامية ولا إنسـانية بـالمرة، وأن الله تبـاركت أسمـاؤه، ورسوله الكريم (ص) يمقتان مثل هؤلاء الأفراد.

«كان للإمـام الصادق جعفـر بن محمد «ع» صـديقٌ لا يكاد يفـارقه، إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معـه في الحذّائين ومعـه غلامٌ لـه سنديٌّ يمشي خلفهما، إذْ التفت الرجـل يريـد غلامـه ثلاث مـرات فلم يره، فلمـا نظر في الرابعة، قال: يا ابنَ الفاعلةِ أين كنت؟ قال: فرفع أبـو عبدالله الصـادق «ع» يَدَهُ فصكَّ بها جبهة نفسه، ثم قال: سبحـان الله تقذف أمَّـهُ؟ قد كنتُ أرى أنَّ لك ورعاً فـإذا ليس لك ورع؟ فقـال: جُعلت فداك إنَّ أمَّـهُ سنديّـة مشركـة، فقال: أما علمتَ أنّ لكل أمَّةٍ نكاحاً، تنـحَّ عنّي، قال: فمـا رأيته يمشي معـه حتى فرّق الموتُ بينهما»(٥٥).

من هـذا نفهم بأن الـرجل الـذي يسبّ ابنه، أو امـرأتـه حتى ولـو كـان هـنـاك قصـورٌ منهمـا فهـو مغضبٌ لله جلَّت صفـاتـه، وأن المـرأة التي تشتم زوجهـا أو ابنها لا ينبغي لهـا أن تتوقـع من البـاري تعـالى غيـر الغضب، وأن

(٥٤) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١٠.
(٥٥) أصول الكافي/ ج ٤، ص ١٦.

الرسول الأكرم (ص)، وفاطمة الزهراء «ع»، والأئمة الأطهار «ع» غاضبون عليها، وأن السبّ أو الشتم سيتجسد في عالم البرزخ ليضحى رفيقاً للسبّاب، ويتجسد أيضاً يوم القيامة على شكل حيوان مفترس يلتهمه ولا يموت.

قال الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام:

«دخل يهودي على رسول الله (ص) وعائشة عنده فقال: السَّامُ عليكم فقال رسول الله (ص): عليكم، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه (ص) كما ردّ على صاحبه ثم دخل آخر فقال مثلَ ذلك فردّ رسول الله (ص) كما ردّ على صاحبيه فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا إخوة القردة والخنازير فقال لها رسول الله (ص): يا عائشة إن الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إنَّ الرفق لم يُوضع على شيءٍ قطّ إلاَّ دانه ولم يُرفع عنه قطّ إلا شانه، قالت: يا رسول الله! أما سمعت قولهم: السام عليكم؟ فقال: بلى! أما سمعتِ ما رددتُ عليهم؟ قلتُ: عليكم، فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا سلام عليكم، وإذا سلم عليكم كافر فقولوا: عليك»(٥٦).

قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿يوم تَجِدُ كُلُّ نفسٍ ما عمِلتْ مِنْ خَيرٍ مُحْضراً، وما عملت من سوءٍ، تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (آل عمران/ ٣٠).

لذا يجب على المسلم أينما كان، وكيفما كان، أن يكون مؤدباً، ملتزماً، يُدرك ما يقول، وهذا ما يوصي به الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع» أصحابه دائماً، فالمعلم لا يجدر به أن يكون لعّاناً ولا بذيئاً مع تلاميذه، والزوجة يجب عليها أن تبتعد عن السبّ والشتيمة، وكذا الولد عليه أن ينتبه لهذه المسألة الحساسة والمهمة، وليعلم الجميع بأن المسلم ليس بلعّان ولا طعّان ولا فاحش ولا بذيء.

أما بالنسبة للضرب فهو الآخر حاله كحال السبّ والشتم والبذاءة في الكلام، وأن الرسول الأكرم (ص) نهى عنه كثيراً، وهدد الرجل الضارب لزوجته

---

(٥٦) أصول الكافي/ ج ٤، ص ٤٦٤.

بسبعين ضربة سوط من يد مالك جهنم في يوم القيامة لأن الضرب ليس من شأن المسلم الحقيقي، ليس من عمل الإنسان الواعي، ومن فعل ذلك، رجلاً كان أو امرأة عُدَّ أحمقاً ووضيعاً، وعليه نخرج من هذا البحث لأن البذاءة والضرب تميت القلوب، بعد أن تُذهب المحبة منها.

سأل رجل النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: **«أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الزوجة ولا تقبّح، ولا تهجر إلاّ في البيت»**[٥٧].

٣ ـ التجريح باللسان

إن التجريح باللسان يُذهب بالمحبة والود والألفة، ويقلب الحياة العائلية رأساً على عقب، ويؤدي بالمجتمع الصغير إلى ما لا تحمد عقباه.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع»:

«قال الله تعالى: من أهان لي وليًّا فقد أرصد لمحاربتي»[٥٨].

يجب على المسلم أن يصبر على زوجته إذا رأى منها بعض ما لا يعجبه من تصرفها، ويعرف لها ضعفها بوصفها أنثى، فوق نقصها باعتبارها إنساناً، ويعرف لها حسناتها بجانب أخطائها ومزاياها إلى جوار عيوبها وفي الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال:

«لا يفرك ـ أي لا يبغض ـ مؤمن مؤمنةً إن سخط منها خلقاً رضي منها غيره»[٥٨].

وكما أوجب الإسلام على الزوج الاحتمال والصبر على ما يكره من زوجته أمرت الزوجة هي الأخرى أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قدرة وسحر، وحذّرها أن تبيت وزوجها غاضب.

---

(٥٧) أبو داود وابن حبان في (صحيحه).

(٥٨) أصول الكافي/ ج ٤، ص ٤١.

(٥٩) صحيح مسلم بن الحجاج ـ باب النكاح.

وإن المرأة التي تقول لزوجها: إننا لم نرَ خيراً في هذه الدار تحبط بقولها ذاك كل أعمالها، وكذا بالنسبة للرجل الذي يقول لزوجته: إنني لم أرَ منك خيراً مذ تزوجتك.

يجب علينا جميعاً الانتهاء عن إهانة بعضنا لبعض، وخصوصاً النساء اللواتي تتحين بعضهنّ الفرص لإهانة أزواجهنّ أمام أخواتهنّ أو صديقاتهنّ أو ما شابه ذلك.

إن التجريح والإهانة على قسمين: قسم يزول من القلب سريعاً، وهو ما ينقلب على صاحبه في القبر إلى عقرب ينهش أصابع يده ورجله ثم يزول؛ وقسم آخر يكون التجريح كالسيف البتّار ضربته عميقة، وهذا ما ينقلب في القبر إلى عقرب ينهش جسم الشخص البذيء إلى يوم القيامة، ويقال في الخبر إن مثل هذه العقارب أشد لسعاً من نار جهنم.

رأى أحدهم في المنام عالماً معروفاً كان قد توفي منذ زمن، فسأله عن وضعه؟ فأجاب: الحمد لله، فأنا أمتلك هنا حديقةً غناء، ولي من الحور العين الكثير، وقد بُنِيَ لي قصرٌ لا يمكن أن يحلم به من كان في الحياة الدنيا، وإن الملائكة لتروح وتذهب في قصري وهي لي خادمة، ولكنني حينما أصحو صباحاً، لا أصحو إلاّ على لسعة عقربٍ يأتيني كل صباح فيبقى الألم في رجلي إلى الصباح التالي ليبادرني بلسعةٍ جديدة.

فسأله صاحبنا: ما الذي فعلته في دنياك؟.

فأجاب: أسأت إلى أحدهم في القول، واستهانت عليّ المسألة فنسيت أن استغفر وأتوب من تلك الإساءة، ولو كنت قد استغفرت وتبت لكنت قتلت هذه العقرب التي ما فتأت تأتيني كل يوم.

إن ماء التوبة يمكن أن يغسل كل شيء وإنه يمكن أن يذهب بالحقد والضغينة من قلب المهان، ولكن الويل لمن لا يتوب ولا يعرف الاستغفار، والأنكى من ذلك أنه يفتخر ويقول: لا استطيع الجلوس في البيت هادئاً ما لم أسمع زوجتي عبارتين تغيظانها!.

هل تعلمون ماذا تعني هاتان العبارتان؟ إنهما عقربان! الأول سيلتقيه في ليلة القبر الأولى، والثاني سيرافقه إلى يوم الحشر الأعظم.

إن البعض من النساء تحاول جاهدة أن تسيء لفظاً لزوجها، وحالما تنتهي من تجريحها له تقول: الآن سكنت عاصفتي، وللتوّ سكن فؤادي!.

كلا، يا سيدتي إن فؤادك لم يسكن ويهدأ بعد، كونك هيأت لنفسك ثعباناً يؤذيك في قبرك إلى يوم يبعثون، وإن هذا الثعبان يراه في الدنيا من كانت له عينٌ بصيرة، إنه ملتفٌّ حول رقبتك ألا تنظري إليه؟ إنك على ما يبدو لم تشاهديه بعد، ولا عجب في الأمر فستشاهديه في ليلة القبر الأولى، أو قد تشاهديه حينما يأتي ملك الموت عزرائيل لقبض روحك، حينها تصبح بصيرتك حديد بعد أن يكشف الغطاء لك، فالحذر الحذر من التجريح واللمز، وإن من يعيب على الناس إنما يوجه إليهم وخزةً بسيف، أو طعنةً برمح، بل ربما كانت وخزة اللسان أشد وأنكى وقد قيل:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

إن الذي يجب أن ينتبه إليه الرجل والمرأة بشدة هو الابتعاد عن التجريح، وتحقير بعضهم البعض، وخاصة أمام الآخرين، لأن الآخرين سوف يخرجانهما من أعينهم، بالإضافة إلى ضربهما لعرى المحبة والألفة والانسجام، وإذا ما حدث ذلك انقلب الحب إلى بغض وضغينة، وعندها يبرُز الكره ويصير الدار كالقبر الذي تلتهب فيه النار، لذا أرجو من الجميع أن لا يكونوا حادّين في تعاملهم مع أزواجهم.

طلع رسول الله(ص)منبره يوماً وسأل من كان في مسجده عن أوثق عُرى الإسلام؟ أي ما هي المسائل التي توجب نجاة البشر فقال أحدهم: الصلاة يا رسول الله، وقال آخر: الصوم، وقال ثالث: الزكاة، وأجاب رابع، بأنه الجهاد في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله (ص):

«أوثق عرى الإسلام أن تحبّ في الله، وتبغض في الله»(٦٠).

---

(٦٠) كنز العمال/ خ ٢٤٦٥٦.

فالذي يحبّ امرأته في الله ناجٍ لا محالة، ليس كالذي يحبّها من أجل إرضاء شهوته، لأن مثل هذا الحب ليس من الرجولة في شيء، وإنه حب حيواني، وإن إرضاء الشهوة هو أحد الفوائد الصغيرة في تشكيل الأسرة.

فالرجل عليه أن يحبّ زوجته، هذا إذا اعتبر نفسه مسلماً، وكذا المرأة ينبغي لها أن تحب زوجها في الله إذا كانت تدّعي الإسلام، فالمرأة يجب أن تفتخر إذا كان زوجها مجروحاً بسبب دفاعه عن الإسلام، وتفتخر إذا استشهد في سبيل إعلاء كلمة الله جلّت صفاته، أو استشهد ابن لها على هذا الطريق الصائب.

أما بالنسبة للرجل فيجب عليه أن يفتخر إذا كانت زوجته علوية من نسل الرسول(ص) أو نسل عليّ بن أبي طالب «ع»، وإذا كانت تصلّي وتصوم وتنفق في سبيل المولى تعالت أسماؤه.

يقول محمد بن الحكيم ـ وكان شيخاً مسناً متفتح الضمير محنّي الظهر يستند إلى عصاً له ـ يقول: جئت إلى الإمام الهمام الباقر محمد بن عليّ «ع» فسلّمت عليه وطلبت أن أجلس إلى جنبه، فلم يأبَ عليّ ذلك، فجلست إليه وقلت له: يابن رسول الله أنا من أصحابكم، واعلم أن حلالكم حلال وحرامكم حرام، وإنني أحبكم وأواليكم، وأعادي من يعاديكم فهل أنا من الناجين؟.

فقال الإمام «ع» بعد أن تفتحت أساريره: لقد قال أحدهم لأبي الإمام السجاد علي بن الحسين «ع» مثلما قلت لي وسأله مثلما سألتني فأجابه: بأنه سيرى الرسول(ص) وأمير المؤمنين عليّ «ع» وفاطمة الزهراء «ع» والحسن والحسين عليهما السلام حينما تبلغ نفسك هذه ـ وأشار إلى حنجرته ـ وعند الصراط، وعند الحوض.

وما إن سمع محمد بن الحكيم هذا الخبر حتى شرع بالبكاء وطلب من الإمام «ع» أن يعيد عليه الخبر، فما كان من الإمام «ع» الباقر إلاّ أن يعيد عليه الخبر، وعندها غُشي عليه، وحينما أفاق مدّ يديه إلى الإمام الباقر «ع» ليتبرّك

بيديه وبجسمه؛ بعد ذلك طلب الرجل من الإمام «ع» الإذن بـالرحيـل ليذهب من حيث أتى فتـابعه الإمـام «ع» بنظره حتى غـاب عن الأنـظار ثم التفت إلى أصحابه وقال: من أراد منكم أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّـة فلينظر لـذلك الرجل، ثم قال عليه السلام:

«ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطـاعه، ومـا كانـوا يعرفـون إلا بالتـواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بـالوالـدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القـرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خيـر، وكانـوا أمنـاء عشـايـرهم في الأشياء»(٦١).

فـالمتقي والمطيـع لله تباركت أسمـاؤه لا ينبغي لـه أن يكـرّه نفسـه إلى الآخـرين من خلال غضب أو عصبيّـة، لأن ذلـك يـوجب الحقـد والضغينـة، ويمنـع صعود الـدعاء إلى السمـوات العلى، ويذهب البـركة من الـدار، ومن المـدينـة، ومن البلد، فـاتقـوا الله واصلحـوا ذات بينكم عسى الله تعـالى أن يرحمنا ويرحمكم.

إن من علائم المؤمن أن يحب للآخرين ما يحبّ لنفسه، ويكره لهم مـا يكرهه لها.

قال الإمام الهمام الباقر محمد بن عليّ «ع» عليه السلام:

«قـولوا للنـاس أحسن ما تحبّـون أن يقال لكم، فـإنّ الله يبغض اللعّـان السبّـاب الـطعّـان على المؤمنين، الفـاحش المتفحش، السـائـل الملحف، ويحبّ الحيي الحليم العفيف المتعفف»(٦٢).

إن الحضـانة مسـألة ليست بـالهيّنـة، وإذا أردت أن تـطمئن لمـا أقـول فلا بأس عليك أيها الرجل أن تجرّب ذلك لمدة ساعة أو ساعتين لترى بنفسك صعوبة القضية.

---

(٦١) تحف العقول/ ص ٢١٦.

(٦٢) تحف العقول/ ص ٢٢٠ ط. بيروت.

إنك لا تستطيع أن تقوم بدور الحاضن في البيت لمدة يوم كـامل، وإذا مـا كانت دارك فيهـا بعض السلالم فستـطلع يوماً مائـة مرة لتهيئـة الطعـام أو لترتيب وضع الأطفال، وهذا ما تفعله زوجتك يومياً.

وإذا كان لا بدّ لنا من قول فسنقـول لك: عليـك بمساعـدة زوجتك في المنـزل، وإذا رفضت ذلك فسنقـول لك: هـل أنت أفضل من أميـر المؤمنين وسيـد الوصيـين عليّ «ع» الـذي كان يعين الـزهراء عليهـا السلام في أعمـال المنــزل والـدليــل على ذلـك تلك الــروايـة التي جـاء في مقـدمتهـا، أن رسـول الله (ص) دخل دار أميـر المؤمنين «ع» فرآه ينـظف عدسـاً، بينمـا كانت ابنته البتول عليها السلام تمارس عملاً بيتياً آخر.

وكـان الرسـول الأكـرم محمـد بن عبـدالله صلى الله عليـه وآلـه يحلب الشاة، ويخبز الخبز، ويساهم في أغلب أعمال المنزل، وهذا ما ثبتتـه الأخبار والروايات المتواترة.

إن المنزل يحتاج إلى من يصرف عليه، وأن الرجل يخـرج صباحـاً إلى عمله ليلتقي بهـذا وذاك، ويتعامـل مع النـاس ويداري نفسيـاتهم ليحصل في نهـاية المـطاف على مقدارٍ من المـال يصرفـه على أسرتـه، وعند رجـوعه في المساء إلى المنزل يتوقع أن يحصل على قدرٍ كاف من الراحة والهدوء، ليديم عمله في اليوم التالي، فإذا ما كنت أيتها السيدة عابسة الـوجه، غـاضبة، غيـر متبسّمة، تشكين إليه هذه وتلك، فسوف يزداد تعباً بـالإضافـة إلى تعبه الـذي جاء به إلى البيت.

وأنت أيهـا الـرجـل إذا مـا رأيت زوجتـك على هكـذا حـال، تبسّم في وجهها بالرغم من مشاكلك وتعبك وعنائك، فمثلما لا تحبّ أن تـراها عـابسة الوجه، فهي الأخرى تكره أن تراك غير بـاسم، فما تحبّـه من غيرك عليـك أن تعمـل به ابتـداءً حتى تحصل عليـه، فإن فعلت ذلـك مـلأت البـركـة دارك، وأصابتك رحمةٌ من الله واسعة، وغشتك الرأفة الإلهية في الدنيا والآخرة إنشاء الله تعالى.

قال الصادق جعفر بن محمد «ع»:

«لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهنّ: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقةِ بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه»[٦٣].

---

(٦٣) بحار الأنوار/ ج ٧٨، ص ٢٣٧.

الفصل الخامس ٢

رواية الإمام الحسن بن عليّ «ع»

٤ ـ العجب

شُعب العجب

١ ـ المراء والجدال

٢ ـ العناد

٣ ـ التوقع الزائد عن الحدّ

٤ ـ عدم تقبل الانتقاد

رواية عن الإمام الحسن عليه السلام

اليومُ عيد، وعيد عظيم جداً، إنه يوم ولادة الإمام المجتبى سبط الرسول الأعظم(ص)،ولذا أتقدم بخالص التبريك اصالة عنّي ونيابة عنكم أيها الأعزاء إلى الزهراء البتول سلام الله عليها، متمنياً أن يكون اجتماعنا هذا مورد لطفها، وأن يكون دعاؤنا في هذا اليوم السعيد مقبولاً، وبهذه المناسبة الميمونة ـ وقبل إدامة البحث ـ اقرأ عليكم روايةً نُقلت لنا عن الإمام الثاني الحسن بن عليّ «ع» علّها تكون لنا درساً مفيداً في مجمل حياتنا المعاشة.

جاء رجل إلى الإمام الحسن «ع» وطلب منه أن يلبّي له حاجته، فقام الإمام «ع» من ساعته ليرافق صاحبنا إلى خارج الدار، وفي الطريق شاهد الإمام الحسن «ع» ورفيقه، الإمام الحسين عليه السلام، وعندها قال الإمام الحسن «ع» لِمَ لمْ ترجع في حاجتك إلى أخي؟ فقال: لقد كان الإمام الحسين «ع» معتكفاً في المسجد، فقال الإمام الحسن «ع»:

«أما أنَّهُ لوْ أعانك كان خيراً له من اعتكافه شهراً»(٦٤).

وبناء على ما تقدم نفهم بأن قضاء حوائج الإخوان والإحسان إليهم أكثر ثواباً من الاعتكاف شهراً في المسجد.

والاعتكاف كما تعلمون يشتمل على العبادة والصوم والسهر، لذا أطلب منكم جميعاً أن تبادروا إلى إعانة الإخوان ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً.

إن الإمام الحسن «ع» عنى بحديثه ذاك أن يخدم البشر بعضهم بعضاً لكي تغمر المحبة قلوب أمّة جدّه المصطفى الذي قال:

---

(٦٤) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٣٣٥.

«من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة أدناهن الجنّة»(٦٥).

وقال الإمام الحسن بن عليّ «ع»:

«.. سمعت أبي أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عَبَد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله»(٦٦).

فالسيد الذي يدخل السرور على زوجته التي تخدمه، والمرأة التي تدخل الفرح على زوجها الذي يعينها لا بُدّ وأن يحظيا بالثواب الجزيل والأجر الجميل.

٤ ـ العجب

إن إحدى المسائل التي تكدّر صفو الأسرة، وتذهب بالمحبة من البين العائلي، العجب والمنّة.

فإذا كانت المرأة معجبة بنفسها، أو كان الرجل متكبراً لعُجبٍ فيه، بانت علامات الخطر في أقوالهم وأفعالهم، حتى أن القرآن الكريم حذّر كثيراً من هذه المسألة وعدّ المتكبّرين من الأفراد الذين كانوا يحولون دون أعمال الأنبياء والرسل:

﴿وما أرسلنا في قريةٍ من نذير إلاَّ قال مُترفوها إنَّا بما أُرسلتم به كافرون﴾ (سبأ/٣٤).

فالمتكبر، والمعجب بقوله وصفاته الوضيعة يصل الأمر به إلى العناد والتمرّد في الدنيا وفي الآخرة، فتراه يواجه الباري تعالى بعناده الذي كان عليه في الحياة الدنيا، ولا يرضى بحكم الله تبارك وتعالى يوم القيامة بالرغم من معرفته لنفسه جيداً، فتراه يحلف لله على أنه إنسان جيّد كما كان يحلف للناس في الحياة الدنيا، ولكن الباري تعالى يبعثه إلى جهنم مع حلفه ذاك ويفضح كذبه وادعائه أمام الخلق جميعاً:

---

(٦٥) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٢٨٥.

(٦٦) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٣١٥.

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما كانوا يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء، ألا إنَّهُم هم الكاذبون﴾ (المجادلة/١٨).

إن حالة العجب والتكبر تطغى على النفس البشرية فتضحى هوية لها من خلال التصاقها بالذات بعد المداومة على هذه الحالة بعيداً عن الاستغفار والتوبة، لذا أوصي المرأة والرجل بعدم الولوغ في هذه الحالة، وإذا ما رأيا من نفسيهما شيئاً من ذلك فليبادرا إلى الاستغفار والإنابة إلى الله تبارك وتعالى علّه يرحمهم وينجيهم مما هم فيه، وإلاَّ فالأمر خطيرٌ جداً، ولا يحتمل المجاملة.

فالمرأة الحاصلة على شهادة الجامعة، أو على مؤهل علميّ عالي لا ينبغي لها أن تغترّ بما لديها من معلومات، وإذا ما فعلت ذلك أمام زوجها إنما تكون قد بالغت في كسر طوق المحبة الذي يربطها به.

وكذا الرجل الغني أو الثري الذي يتكبر على الآخرين أو على زوجته، إعجاباً بما لديه من أموال، يجب عليه أن ينتبه إلى ما يخالط روحه من إعجاب فيحاول أن يسحق هذه الحالة، من خلال المداومة على الذكر، والاعتبار بما آل إليه الآخرون من قبله ممّن ملكوا الثروات والأموال التي فاقت ثروته وأمواله.

أيتها السيدة! إذا كان زوجك فقيراً، وكان أخوك ثريًّا فلا بأس من أن تداري وضعه ونفسيته بعيداً عن الفخر والإعجاب بما لدى أخيك أو أبيكِ، واعلمي بأن الزوج مقدّم على أخيك وينبغي لك أن تقدّميه على أهلك جميعاً إذا كنت ترومين حياة آمنة سعيدة في الدنيا والآخرة.

إن احترام الوالدين واجب وضروري، وإن إبداء العطف والمحبّة للأخ والأخت لازم، ولكن يبقى الزوج مقدّماً عليهم جميعاً، والزوج كذلك عليه أن يعلم بأن زوجته مقدّمة على باقي أفراد أسرته في الاحترام والعون بدون إنكار لحق الوالدين والأخ والأخت.

قال الإمام الكاظم موسى بن جعفر «ع»:

«العُجب درجات، منها أن يُزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّ وجلّ ولله عليه فيه المن»(٦٧).

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع):

«ما لابن آدم وللعُجب أوّله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين ذلك يحمل العذرة!»(٦٨).

شعب العُجب.

١ ـ المراء والجدال

المراء والجدال حالة يكون فيها المرءُ طالباً لتمشية ما يقول بالإكراه، وهذا ما نراه رائجاً بين معظم الناس، وخصوصاً بين الأميين، فتراهم يقولون ما لا يعقل ولكنهم يصرّون على أن قولهم هو الصواب، وهذا الأمر لا يخلو من المعصية بل يعدّه الكثير من العلماء من الكبائر.

يقول أبو الدرداء، كنّا ثلاثة نماري ونجادل بعضنا بعضاً، وبينا كنا على تلك الحال، وإذا برسول الله (ص) يأتي وقد بان عليه الغضب وقد تغيّر لون وجهه، يقول أبو الدرداء، لم أرَ رسول الله (ص) في هكذا حالة أبداً.

بعد ذلك قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما ضلّ قوم إلاّ أوثقوا الجدل»(٦٩).

إن القرآن الكريم تعرّض كثيراً إلى مسألة الجدل ولا بأس هنا من استعراض بعض الآيات لأجل أن ننتفع وننتهي عمّا نحن فيه من جدال:

﴿ومن الناس من يُجادل في الله بغيرِ علمٍ ويتّبع كُلّ شيطان مريد﴾ (الحج/٢).

﴿ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا﴾ (المؤمن/٤).

---

(٦٧) بحار الأنوار/ ج ٧٢، ص ٣١٠.

(٦٨) غرر الحكم.

(٦٩) بحار الأنوار/ ج ٢، ص ١٣٨.

﴿وجادلوا بالباطل ليُدْحِضُوا به الحق﴾ (المؤمن/٥).

﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سُلطان أتاهم، كبُر مقتاً عند الله، وعند الذين آمنوا﴾ (المؤمن/٣٥).

﴿إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ (الأنعام/١٢١).

إن الزوج الذي يحاول أن يجادل زوجته ويماريها يدوس على المحبة والألفة بكلتا قدميه، وأن المرأة التي تثير الضجيج من أجل تمشية كلامها في البيت تُخرب بيتها بيدها وهي جاهلة، ومَنْ كان مِنَ الرجال متحملاً لحديث الزوجة جزاه الله خير الجزاء، وحباه الله على سكوته ذاك عدَّة رياضٍ من رياض الجنة، كما جاء في الخبر الصحيح؛ ولكن لنعلم جميعاً وكما قال الإمام عليّ «ع» بأن الجدل يؤدي إلى الشك:

«إياكم والجدل، فإنّه يورث الشكّ»[٧٠].

٢ ـ العناد

شعبة أخرى من شعب العجب هي العناد، والتي نرى من خلالها بعض النساء ـ على حد قول العامة ـ تضع رجلها في فم الأفعى ولا تنتهي عن عنادها.

وأن البعض من الرجال عنود إلى درجة يكون فيها مستعداً لأن يُلقي بنفسه في بئر عميقة شريطة أن لا يتنازل عن كلمةٍ قالها اعتباطاً، وهذا هو عين الخطر.

إن القرآن الكريم يقسم الناس إلى قسمين:

قسم يمتثل للحق حينما تطمئن قلوبهم إلى ذلك، بل وتفيض أعينهم من الدمع فرحاً وسروراً بقبول الحق:

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيضُ من الدمع مما عَرَفوا من الحق﴾ (المائدة/٨٣).

---

(٧٠) بحار الأنوار/ ج ١٠، ص ٩٤.

وقسم آخر يرى بأمِّ عينه ويتفكر له، بـل يقول: إذا كـان هذا هـو الحق من عندك، فأتني بعذابك الشديد، وهذه الحالة تقع ضمن الحالات المرضيـة أو ما ينطلق عليه بالمصطلح الحديث ـ العصاب ـ:

﴿وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عِندك فـأَمْطِر علينـا حجارة من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم﴾ (الأنفال/٣٢).

إن البعض من الـرجـال لا يعـرف أن يجيب إلاَّ بـ «لا»، وقـد تتحـدث امرأة إلى زوجها عشر دقائق، ثم تـطلب الجواب منـه فلا يقـول لها إلاَّ «لا»، وإذا ما سألته عما قالت تأتيها الإجابة بأنه لا يمكن أن ينفّذ لها طلباتها حتى لو كـانت مشروعـة؛ وهكذا بعض النسـاء إذ لا تتقبل أمـراً، ولا تطيـع زوجاً ولا تعرف إلاَّ العناد وتمضية ما تقول.

إن الاستغلال والاستعمار حالتان ممقوتتان كـونهما يـذهبان بـالاستقلال الفرديّ والاستقلال الاجتماعي، والكل يعلم بأن الاستعمار الإنجليـزي عمل جاهداً ولا يزال يمارس عمليتي الاستغلال والاستعمار في دنيا اليوم.

إن من يمـارس الاستغلال والاستعمـار لا بـد لـه من ورود جهنم وبئس المصير، ولا بُدّ من أن يلقى العذاب الذي ينتظره عند مليك مقتدر.

ولكن يمكن القـول إن الاستعمـار في بعض حـالاتـه حَسنٌ، وهـذا مـا يمكن أن نـراه في استعمار المـرأة لقلب زوجهـا، أو استعمـار الـرجـل لقلب امرأته، والذي أعنيه بهذا الاستعمار الأخير لا يتعدى أن يكون تسخيراً للقلوب حيث تستـطيعٍ امـرأةٌ ذكيةٌ وعـاقلةٌ تسخيـر قلب زوجهـا، ويتمكن رجـل فـطن ومدرِكٌ أن يسخّر قلب امرأته، وذلك من خلال الابتعاد عن العناد، والتصـرف وفق ما جاء في الروايات الشريفة المتواترة والتي تؤكد على عقلانيـة العمل أو التصرف المؤدي إلى استتاب واستقرار الحالة النفسية في البيت.

فعندما تسخر المرأة قلب زوجها بطاعتهـا له، وبـالتزامهـا بتربيـة الأولاد تربية إسلامية تتمكن من إيجاد حالة من الاستقرار في البين الأسـري، هذا إذا كانت بعيدةً عن العناد الذي يقلب البيت إلى جهنم حامية.

لـذا ينبغي لنـا جميعـاً أن نتـرك العنــاد إلى غيـر رجعــة، وأن نكـون منسجمين ما استطعنا كي نقدم للمجتمع أبناءً صالحين غير معـاندين، وليعلم الجميع بأن العناد حالة مرضية، إذا ما دخلت منزلاً تركته متأزماً نفسياً.

٣ ـ التوقع الزائد عن الحدّ

يقول علماء النفس، إن الأمثال المستخدمـة في المجتمع تعتبـر بمثابـة مرآة لما يدور في ذلك المجتمع، وإن القصص والحكايـات التي نراهـا اليوم هي انعكاس لأحداث جرت في حقبة زمنيـة معينة، فنـرى على سبيل المثـال حكـاية قيس وليلى، وفـرهاد وشيـرين اللتين لا تتعديـان أن تكونـا أسـطورتين عكستا أفكار مجتمع معين في زمن معين.

وإن المثل المستخدم اليـوم في مجتمعنا المُعـاش هذا من مثـل «يريـد كباباً ولـم يأتِ بلحم» موجودةٌ مصاديقه على أيامنا هذه في بعض البيوتات.

فالبعض من النساء يتوقعن من أزواجهن أكثر ممـا ينبغي أن يُتَوَقَّـع منهم فترى إحداهن تتوقع ليلة العيد من زوجها قميصاً قيمته ألف تـومان بـالرغم من أنها تعلم جيداً بأنه لا يتقاضى غير خمسة آلاف تومـان شهريـاً، ولكنها وعلى الرغم من كل ذلك لا تقبل هديةً منه أقلّ من تلك التي ذكرنا.

فالتوقع الزائد عن الحدّ يمكن أن يحلّق بـالمتوقّـع إلى عوالم خيـالية لا واقع لها ولا حقيقة، إذ قد يكون الزوج العامل في بعض إدارات الـدولة أقـلّ معاشاً من عـامل بسيط يعمـل معه في نفس الـدائرة، وإن العمـل في الدوائـر الرسمية لا يعني أن المدير أو المحـاسب يستطيـع إبدال أثـاث منزلـه في كلّ عيد، وإذا ما أجبـرت المرأة زوجهـا على أن يجلب لها حـاجة تضـرّ بميزانيـة الأسرة تكون قد عملت منكراً ستحاسب عليه يوم القيامة. لأن توقعها الزائد لا يتناسب ومعاش زوجها المحدود، وبذلك سوف تؤدي هذه الحالة بالنتيجة إلى أن يقترض الرجل مبلغاً من المال لتأمين تلك الحوائج ويضحى بالتالي يعـاني من تراكم القروض التي تقضّ مضجعه.

أيتهـا السيـدات! لا ينبغي لكنّ إراقــة مـاء وجــه أزواجكن من خـلال

تـوقعـات زائـدة وغيـر معقـولـة، ولا بـأس عليكن أن تـوجهـوا أنـظارهم إلى احتـرامكن، واعلمـوا بـأن التـوقـع الغيـر معقــول يؤدي بـالفــرد إلى ابتـذال شخصيته.

وأنتم أيها الرجال الغيارى! لا يجدر بكم أن تتوقعوا من نسائكم اللواتي يعملن في المنزل ليلاً نهاراً، أن تجدوا مـوائد طعـامكم ممدودة، حين تـأتون منازلكم قبل الـوقت المعين لقدومكم، وحـاولوا جهـد الإمكان تـوقع أقـل من ذلك لأن المرأة ترتبط بالأبناء أكثر منكم، وإن تربية الأبناء ليست بالأمـر الهين السهـل، فلا تحـاولوا الضغط على نسـائكم، وإن فعلتم فإنكم تسـاهمون في هدم الوسط العائلي الذي هو أساس المجتمع الإسلامي العظيم.

إن السيارة التي تحمل طنّين من الحديد لا يمكن تحميلها خمسة أطنان منه، ولو فعل سائقها ذلك لما تأتى له أن يصل بحمله ذاك إلى المكـان الذي يريده وقد تسير، السيارة مسافة بذلـك الحمل لكنهـا لا تعدو أن تكـون بضعة أمتار لتقف بعدها بدون حراك.

والأمـر بالنسبـة للزوجة يشبـه إلى حدٍّ مـا مثالنـا هـذا، حيث إذا حـاول الرجل الضغط عليها انهارت أعصـابها، وفقـدت نشاطهـا وبذلـك تتوقف عن إكمال المسيرة المعقولة التي رسمها الباري لها.

لذا لا ينبغي للرجال والنساء أن يحمّل بعضهم البعض مـا لا طاقـة لهم به، ولا يجدر بهم أن يتـوقعوا من بعضهم البعض أعمـالاً وأفعالاً لا تمت إلى الواقع بصلة.

٤ ـ عدم تقبّل الانتقاد

وأما الشعبة الرابعة من العُجب فهي عدم تقبّل الانتقـاد، ولا بد لي هنـا من القـول وأوجّه عبـارتي هذه إلى النسـاء على وجـه الخصـوص وأقـول بـأن الإسلام يرفض الغيبـة ويعمل بـالنقد، ولا أعني النقـد ذلك الـذي يجوّز فيـه المرء لنفسه الاستهزاء والسخرية بالآخرين في غيابهم وحضـورهم، كلا، بـل أعني به النقد البنّاء.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:
«أحَبُّ إخواني إليَّ من أهدى عُيوبي إليَّ»[٧١].

النقـد ضروري ولكن الأكثـر ضرورة منـه قبولـه، فالـرجل الـذي يشرح لـزوجته نـواقصها عليـه أن يتحدث لهـا بكـل احتـرام بعيـداً عن الاستهـزاء، والسخرية فما عليها إلاَّ أن تتقبل المسألة برحـابة صـدر، وتُغيِّر من حـالها في اليوم التالي.

وإذا كان الرجل سيء الأخلاق في البيت فاحشاً ينبغي للزوجة أن تخبره بذلك بطريقة فنّية وبكل أدب فتقول له مثـلاً إن سبابـك وشتيمتك لـلأبناء قـد تؤدي بهم إلى أن يكونوا معقّدين مستقبلاً، وحينها يجب على الزوج أن يمتثل لـلأمر الـواقـع ويغيّـر أسلوبـه معهم كي تستقيم حيـاتهم العـائليـة بعيـداً عن الضجيج والصخب.

وإذا ما امتنع أحـدهم عن قبول النقـد، فإنـه بذلـك يعرّض بيتـه للحقد والضغينة والكراهية، فتتهاوى المحبة بين أفراد الأسرة الواحـدة، ولا يبقى إلاَّ العـويل والصـراخ والضجيج بسبب عـدم التنازل الـذي هو في مصلحـة ونفع الأسرة، التي يجب أن يسودها الوئام والانسجام.

* * *

---

(٧١) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٢٨٢.

الفصل الخامس ٣

التحبب والتودد

الكبيرة والصغيرة

١ ـ النظافة والطهارة

٢ ـ إظهار المحبة

٣ ـ الهدية وأثرها في البيت

الأصمعي والمرأة الصابرة

التحبب والتودد

إن بحثنا هذا يدور حول كيفية جذب المحبة، وما هي التي تؤدي إلى ذلك؟ أي ما هي الأمور التي ينبغي أن يمارسها الزوج والزوجة لكي تزداد المحبة في البين الأسري؟ وكيف يمكن لنا أن نجعل الحاكم في المنزل هو الحب والوئام؟ حتى لو كان لنا الكثير من الأبناء، وكنا نعيل في بيوتنا إخواناً وأخواتٍ فمحبة الزوج يجب أن تتقدم على محبة الآخرين؛ وإذا ما فعلنا ذلك سنصل بحول الله وقوته إلى نتيجة طيبة وحسنة.

الكبيرة التي تبدو صغيرة

إن علماء النفس يستخدمون عبارة «الصغار الكبار» في بعض بحوثهم النفسية، وهذه العبارة بحدّ ذاتها تحمل في طياتها لطافة خاصة، وكما تعلمون أن علم النفس هو علم خاص ودقيق، وأن أغلب عباراته تحمل هذه الصفة المميّزة.

فعبارة «الصغار الكبار» على سبيل المثال تعني أن بعض العبارات التي نستخدمها قد تبدو صغيرة وتافهة، لكنها في حقيقة أمرها كبيرة وجليلة، فهناك من العبارات التي نطلقها بين الفينة والأخرى ونتعامل بها مع أحبائنا ونعتبرها صغيرة قد تتسبب في قلع جذور المحبة من قلوب الذين نتحدث إليهم، لتبدّل الحب إلى بغض، والوئام إلى عداوة، والعكس هو الصحيح.

١ ـ النظافة والطهارة

إن إحدى المسائل التي أكدّ عليها الدين الإسلامي الحنيف هي مسألة النظافة، فالفرد المسلم يجب عليه أن يكون نظيفاً أينما حلّ، سواء في الدار

أو في الشارع أو المجامع العمومية، فقد نشاهد بعض الأفراد لا يهتمون كثيراً لهذه المسألة الحساسة، وينظرون إليها على أنها مسألة جانبية وصغيرة وتافهة مما يبعث على نفور الآخرين منهم.

إن الأفراد الذين يردون المجتمع ورائحة العرق تفوح من أحدهم، بالإضافة إلى قميصه التي غدت ياقته سوداء من كثرة الاستعمال لا يمكن أن ينظر إليهم نظرة طبيعية، فلو تحدث شخص إليكم وكانت أسنانه صفراء، وكانت رائحة فمه نتنة ماذا يمكن أن تقولوا عنه؟ فقد يسمّي البعض منهم نفسه ضمن دائرة حزب الله، وجواربه تزكم الأنوف، وهذا ما حدث بالفعل على أيامنا هذه، حيث ظهرت في المجتمع ظاهرة عدم الاهتمام بالمظهر الخارجي، وعدم الاهتمام بالنظافة، وإذا ما سألت أحدهم عن السبب أجابك بأنها مسائل لا ينبغي الاهتمام بها، وما دام القلب طاهراً تهون بقيّة المسائل!!.

كان أغلب الشباب على زمن الطاغوت يتمثّلون بالغرب الكافر، فترى حالات «الهيبية» و«البيتل» وما إلى ذلك من المصطلحات والعبارات المستوردة من خارج البلاد الإسلامية، وكانوا يطيلون شعور رؤوسهم ويرتدون بناطيل قذرة ممزّقة ويسيرون في الشوارع حفاة، أو بأحذية لا يرضَ العاقل أن يضع فيها قدمه، وقد امتدت تلك الحالة فشملت شباب ثورتنا الإسلامية هذا اليوم حتى لترى البعض ممن يدّعي الانتماء إلى حزب الله يترك لحيته وشاربه بدون ترتيب، ويرتدي ما رثّ من الثياب ويفتعل أفعالاً وأقوالاً يفهم منها أنه متشبّه بالدراويش الذين أداروا ظهورهم للدنيا في حُقَبٍ زمنية بائدة.

فالذي يدّعي أنه من حزب الله، يجب عليه أن يهتم بمظهره أولاً، وأن يراعي مسائل النظافة والطهارة لأن الباري تعالى يحب النظيف الطاهر، ويمقت القذر الشعث، ومن يفعل ذلك فهو من حزب الشيطان ولا علاقة له بحزب الله أبداً.

إن الإسلام العظيم لا يطلب منك شراء ما غلا ثمنه من الملابس، ولكنه يقول، عليكم بالنظافة والترتيب والنظم، فالرجل الشعث القذر ممقوت

في مجتمعه، ممقوت في منزله، في محل سكناه، ولا يظن من يفعل ذلك أنّ الناس سينظرون إليه نظرة مقدسة وسامية، كلا، وألف كلا، فالناس تحبّ النظافة، وتتودد إلى النظيف.

إن البعض من المتدينين ينظر إلى مسألة السواك، ومسألة نظافة حذاءه على أنها مسائل تافهة وصغيرة وحقيرة، ولكن الأمر غير ذلك، لأنها كبيرة إذا ما أمعنت النظر فيها، وإنها تقلّل من أهميّة الفرد إذا تركت، فكيف لك أن تتحدث للآخرين ورائحة فمك نتنة؟ ألا تخجل من ذلك؟ ألا تستحي من نفسك؟.

قال رسول الله (ص):

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»(٧٢).

فالرجل الذي ينام إلى جانب زوجته وهو على تلك الحال، ستتحمله زوجته لعدة أيام، وبعد ذلك يبدأ العد التنازلي في التحمل ليصل ـ لا سمح الله ـ إلى مرحلة الصفر، عندها تشرع الزوجة بالاحتجاج والتحجّج على هذه الحالة الوضيعة.

وكذا الأمر بالنسبة للزوجة التي تفوح منها رائحة التعرق ورائحة الفم النتنة، وفي جميع الأحوال نقول، إن البدن المتعرق عار عرفي، وعار شرعي، لأن الإنسان ينبغي له أن يكون نظيفاً في مجتمعه، وفي منزله، وفي السفر والحضر، وإن **«النظافة من الإيمان»**. كما جاء عن الرسول الأكرم (ص).

فإذا أردت التعرف على المسلم الحقيقي فانظر إلى نظافته وإلّا فإسلامه ناقص، وهذا ما يسمّيه علماء النفس بالصغائر الكبيرة.

٢ ـ إظهار المحبة

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه:

«إذا أحب أحدكم أخيه فليعلمه»(٧٣).

---

(٧٢) فروع الكافي/ ج ٣، ص ٢٢.

(٧٣) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ١٨٢.

وقال أيضاً صلوات الله عليه:

«قول الرجل للمرأة إنّي أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»(٧٤).

إن هـذا القول بحسب الـظاهر أمـر عـادي، ولـذا فـإن الكثيـر منكم لا يتفوّهون به أمام زوجاتهم، بالرغم من أنها عبارة ضرورية ولا بد من استعمالها على الأقل مرة واحدة في كل شهر.

إن بعض النساء يستحين أن يذكرن هذه الجملة عند أزواجهن، بالـرغم من أن السـلام والمجامـلات صارت من أجـل تلك العبارة، وإنهـا تأتي بعـد الحديث الحار والسؤال عن الأحوال، ولذا أكّد الإسلام على ضـرورة إباحتهـا حينما يجد الإنسان نفسه محبًّـا لصاحبـه، ولهذا السبب أكّـد الإسلام العـظيم على التزاور، وعدّ قـطيعة الـرحم من الكبائـر، وإن عدم التـزاور والعيادة أمـر مبغوض يميت المحبّة في مهدها، لذا أطلب من الإخوة والأخـوات أن يهتموا كثيراً بهذا الأمر، ويظهروا ما في قلوبهم من محبة حتى تعمّ المودة والألفة في مجتمعاتنا الإسلامية.

فمـا المانـع في أن يقول الـرجل لـزوجته بتبسم، إن جميـع الدنيـا في جـانب وأنت لوحـدك في الجانب الآخـر، وإنني أفضلك على مـا في الـدنيـا جميعاً؟.

قد يرى البعض هذه المسائل صغيرة وحقيـرة، ولكنها كبيـرة في واقعها وكبيـرة جداً لأنهـا تشيـع المحبـة والـوئـام في النفـوس، وتحفّـز على العمـل والنشاط.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد سلام الله عليه:

«لا غنى للزوج عن ثلاثة أشيـاء فيما بينـه وبين زوجته وهي المـوافقة، ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحُسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها»(٧٥).

---

(٧٤) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١٠.

(٧٥) تحف العقول/ ص ٢٣٨.

لقد أخبرتنا الروايات الكثيرة بأن المراة التي تتزين وترتب حالها، وتمدّ مائدتها قبل أن يحضر زوجها إليها، ثم تستقبله بثغر باسم، وعبارات جميلة يغلق الله تعالى دونها أبواب جهنم، وجاء في الخبر أيضاً بأن المرأة هي التي تفتح لزوجها باب الدار، ولا تسمح لأبناءها فعل ذلك لكي تستقبله بوجه حسن وبعبارة لطيفة ثم تأتي به إلى المائدة كي يطعم لذيذاً، ولو لم يكن كذلك.

قد تعترض بعض النساء على هذه المسألة، فتقول إحداهن إن الرجل يتجرأ ويطمع في الأكثر من ذلك إذا ما رآنا على تلك الحال، ونقول إن الأمر يستوجب أن تقوم النساء بمثل هذه الأعمال لكي يحظين بقلوب الأزواج، ولكي يستطعن إدارة منازلهن على أكمل وأفضل وجه.

عن ورّام بن أبي فارس في كتابه قال: قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم «ع»:

«أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل مِنْ أيّها شاءت، وما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلاّ كان خيراً لها من عبادة سنة. . »(٧٦).

وقال الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه:

«لا يخدم العيال إلاّ صديق، أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة. . »(٧٧).

الهدية وأثرها في البيت

إن الروايات المتواترة عن الرسول الأكرم(ص)وآله الأطهار تؤكد على مسألة التهادي، مهما كانت الهدية بسيطة، كونها تذهب بالضغينة والأحقاد من القلوب وتعمل عمل السحر في النفوس، فمن أراد أن يكسب قلب امرأته صوبه لا بأس أن يعمل بهذه الروايات الشريفة والتي تحبّذ أن يهدي الرجل لزوجته بين الفينة والفينة هدية متواضعة يعبّر فيها عن حبّه لها.

---

(٧٦) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١٢٣.

(٧٧) بحار الأنوار/ ج ١٠٤، ص ١٣٢.

قد لا يأخذ البعض هذه المسألة بعين الاعتبار بالرغم من أهميتها البالغة في جلب المحبة، وباحتواء قلب المرأة الظامىء للعطف والحنان.

إن مثل هذه المسائل تزيد في فعالية الرجل والمرأة داخل وخارج الدار، وتجعل من المنزل محلاً للسرور والحبور، وإذا ما رأينا بعض البيوت يسودها البرود فلنعلم بأن السبب في ذلك هو عدم التزام أحد الزوجين بالوصايا الأخلاقية والاجتماعية التي وردتنا عن الرسول وآله الأطهار بصدد إفشاء المحبة والود في البين الأسري.

فقد يرى الرجل زوجته غير متجمّلة، ولا متزينة، وإذا ما تحدثت بدا عليها العبوس والغضب، فيشرع هو الآخر بالتحجج والتعنّت، والغضب بسرعة لأنه لم يرَ من زوجته غير ذلك، وإذا ما كان محباً لها في الشهر الأول من الزواج، ففي الشهر الثاني سيتهاوى ذلك الحب ويزول إلى غير رجعة.

أما العاقل من الناس فهو ذاك الذي يتمكن من ترويض زوجته حسبما يريد وكيفما يرغب، فتراه يدخل الدار وفي يده هدية متواضعة، وإذا ما رأى وجهاً عبوساً بحث عن السبب بسرعة، وأفرد هو عن وجهه كيما يستطيع حلّ ذلك العبوس، فإن لم تكن الزوجة متزيّنة أشار إليها بطريقة فنية ذكية لتخجل من عملها ذاك، وإن لم تكن طاهيةً شيئاً يطعمه، قام هو إلى المطبخ ليهيء له ولها طعاماً معجوناً بالرحمة والرأفة والود، عندها ستضطر الزوجة إلى القيام بوظائفها على أفضل وجه.

وخلاصة القول إن الهدية سواء كانت ورداً أو خاتماً أو كتاباً لا يخلو من التأثير أبداً، بل أن له في النفس لآثار وآثار، هذا إذا ما أردنا إحكام علائقنا الاجتماعية والأسرية، ورغبنا في زيادة أحبابنا وأعزائنا، ولا ينبغي لنا في كل الأحوال أن نأخذ هذه المسائل الصغيرة الكبيرة إلاَّ بعين الاعتبار والأهمية.

الأصمعي والمرأة الصابرة

كان الأصمعي وزيراً للمأمون، ذلك المأمون الذي كان أحد شياطين عصره، وأحد دهاة زمانه، وكان الأصمعي عالماً يُشكّ في أمره.

قـال الأصمعي: كنت أرافق المأمـون في قافلة صيـد ترفيهيـة ـ والصيد الترفي الذي كان يقوم به حكام بني أميـة وبني العباس حـرام بنظر الإسـلام، كونه تبـذير وإسـراف وإتلاف لثـروات وأموال المسلمين ـ، وفي أثنـاء المسير أضعت القـافلة لأرى نفسي وحيداً في صحـراء قاحلة، وبعـد مسيـرة تحمّليـة شاهدت من بعيد خيمة تلوح في الأفق فتحركت صوبها لأجد فيهـا امرأة شـابة جميلة فسلمت عليها، وجلست في ظل خيمتها وقلت لها: هل لي شربة ماء؟ فتغيّر لونهـا وقالت: لم اكتسب إذنـاً من زوجي في مثل هـذا الأمر، وإن كـان لك أن تشرب شيئاً فهذا غذائي أقدّمه لك وهو ضياح من لبن.

يقول الأصمعي: شربتُ اللبن وجلست في ظل الخيمة سـاعة، بعـدها شاهدت فارساً على جمل، فقامت المرأة من جلستها وحملت بيدها قليـلاً من الماء وكأني بها تنتظر ذلك الفارس.

نعم، وصل الفارس إلى الخيمة وكان زوجها، فقدمت له الماء ليشـرب ثم نزل من جمله وإذا به رجل عجوز، أسـود الشكل قبيـح، لا يُطاق منـظره، سيء الخلق والأخلاق، فهمّت المرأة نفسها وجاءتـه بطبق وإبـريق لتغسل لـه يديه ورجليه ووجهه.

بدأ زوجها بالتحجج، وإثارة ما لا يثيره العاقل الفطن، حيث كان يسيء مخاطبتها، وتتلطف له بالردّ، ولسوء خلقه لم أتحمل الجلوس في ظل خيمتـه بـل فضلت الجلوس في الشمس المحرقـة بعيداً، على أن أجلس إلى خيمتـه واستمع إلى سوء أدبه.

ومـا إن تحركت حتى قـامت امرأتـه لتوديعي، حيث لم يكن هـو مهتماً لهذا الموضوع بالمرة، وعندما دنت المرأة مني قلت لها.

أيها المرأة، إنك شابة جميلة، فلِمَ ارتباطك بهذا الشيخ العجوز الـذي لا يمتلك من حطام الدنيا إلاّ أخلاقاً سيئة وجملاً هزيلاً، بالإضـافة إلى شكله القبيح؟!.

فأجابت بعد أن بان عليهـا الامتعاض: أيهـا الرجـل أتريـد الإيقاع بيني

وبينه، ألا تعلم بأن الـدنيا زائلة والآخـرة دائمة، وإنني بعملي هـذا أروم رضا الله تعالى، ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر»(٧٨).

وإن تحمّلي لسوء خلقه يصل بي إلى درجات الصبـر الساميـات، وعليه يجب أن أشكـر الباري تعـالى على هـذه النعمـة، فنعمـة الصبـر تحتـاج إلى شكر، لذا سأديم خدمتي لزوجي حتى يكتمل إيماني.

هذه هي المرأة المسلمة الحقيقية، لا تلك التي تنساق وراء المغريـات بسهـولة، وهـذا ما شـاهدنـاه ـ مع الأسف ـ في بعض النسـاء اللواتي تنكّـرن للأدب، وللعرف، وللشرع.

فقد تقول بعضهن لزوجها: بأن فلاناً أفضل منك مادياً، وإنه يجود بماله في سبيل سعادة زوجته، وهذا خطأ فاضح، وخطرٌ ما بعده خطر.

وقـد يقول الـرجل لـزوجته: إن فـلانـاً من النـاس يمتلك زوجـة جميلة ومؤدبة وملتزمة، وهذا القـول يقلع جذور المحبـة من قعر قلب الـزوجة، على العكس من ذلك الذي يقول لزوجته؛ لم أرَ أجمل منـك وأسمى، بالـرغم من أنها متوسطة الجمال، فتجيبه بأنه رجل ونعم الرجل، وإن محبته استولت على كيانها فـلا تَرى أفضـل منه رجـلًا، وقد يتـطلب الأمر أن يكـذب الرجـل على زوجته حينما يقول لها إنـك أجمل من في العـالم، ويحلّ الإسـلام مثل هـذا الكذب كونه يرتّب أوضاع الأسرة الواحدة، ويلمّ شعثها.

إن هذه الصغائر من الأعمال والأقوال من منظار المحبة كبيرة وعـظيمة، وهي دليل على قوة شخصية الرجل الذي يتطلّع لبناء جيل متكامل مع زوجتـه وأم أبناءه، وكذا بالنسبة للمرأة العاقلة الخيِّرة.

جـاء في الكثير من الأخبـار والروايـات الواردة عن الرسـول الأمين(ص) وأهـل بيته الأطهـار «ع» أن المـرأة التي تخـرج من دارهـا تفـوح منهـا رائحـة

---

(٧٨) كنز العمال/ خ ٦١.

العطر، أو يشمّ منها رائحة طيّبة تلعنها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها، وعليه أطلب من النساء أن لا يتعطرن بعطرٍ فيشم الأجنبي رائحته، ولا تضع ثيابها أو إزارها في مكان فيه عطر لئلا تقتبس تلك الثياب رائحة يمكن أن تُشمّ فيما لو خرجت إلى السوق، ولتعلم التي يُشم منها ريح طيّب بأن الجدران والشجر والمدَر والأرض والزمان تلعنها، ولا تظنّ أن هذه الأشياء ناقصة الشعور والحس، فقد قال الباري تعالى فيهن:

﴿وإنْ من شيءٍ إلاَّ يُسبِّحُ بحمدِهِ، ولكن لا تفقهونَ تسبيحهم﴾ (الإسراء/٤٤).

ونفس هذه المرأة لو تعطرت لزوجها، ودخلت فراشه لاستغفرت لها ملائكة السموات والأرض حتى تفيق، وإن المولى تعالى سيرضى عنها وكذا الرسول الأكرم(ص)وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم أجمعين.

والجدير بالذكر أن التعطر للزوج قد يكون بالنسبة للمرأة شيئاً ليس له أية أهمية تذكر، وأقول لها إن ذلك يسهم في جلب محبة الرجل نحوها.

أيتها المرأة! لا ينبغي لك أن تقلّلي من أهميتك في المجتمع فتردين محلتك أو مكان سكناك بإزار براق لمّاع، وعطر يفوح شذاه إلى أول الحارة وما إلى ذلك من التبرّج الذي يثير أحاسيس الشباب والرجال ويؤدي بالمجتمع إلى الهاوية:

﴿ولا تبّرجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب/٣٣).

أيتها السيدة! إن الإسلام يحرّم الملابس المثيرة، ويعتبرها ألبسة شهرة وجلب نظر، وإن السيدة التي تمتلك شخصية لا يتأتى لها فعل ذلك، وإن من تفعل ذلك جاهلة ووضيعة ومريضة كونها محتاجة إلى نظر الآخرين، وكأنها تسعى لإشاعة الفحشاء بين أفراد المجتمع الواحد.

فالمرأة المسلمة ينبغي لها جلب نظر زوجها صوبها لا جلب نظر الآخرين من خلال تبذّل وتبرّج واستهتار بالقيم والأعراف السامية التي أقرّها الإسلام الحنيف.

يقول بعض الرجال، إنه يحاول دائماً إسكات زوجته بالصراخ والعويل، وإذا ما سألته عن السبب يقول لـك: أخاف أن تتسلط عليّ إن لم أفعـل معها ذلك.

أيهـا السيد! إن كـلامك ذاك شيـطانيٌ منحض، وما عليـك إلاّ أن تكون سليم القلب، ذلق اللسـان، وإذا ما قلت لهـا بأنـك تحبّها، وأنـك بدونهـا لا تعـرف الرفـاه ولذيـذ العيش ستنقاد لـك كانقيـاد الفـرس لـراكبهـا، واعلم أنّ الصراخ والعويل يسلب المحبة، ويجرّ إلى الويـلات والمصائب، نـاهيك عن انعكاسه السلبي على طبيعتك الإنسانية.

جاء في الخبر أن الرسول الأكرم(ص) كان عند عائشة، وإن إحدى نساءه كانت قد طبخت عصيدة فأرادت أن يذوق منها رسـول الله(ص) شيئاً، فجـاءت إليه بصحن منها، وما إن طرقت الباب حتى خرجت إليها عائشـة لتسألهـا عن مجيئها، فقالت لها طبخت عصيدة وأحببت أن يـذوق منها الـرسول الأكـرم(ص) فهلاّ أخذتيها منّي ليطعمها، وعندها أخذت عـائشة صحن العصيـدة ورمت به بعيداً، فخرج الـرسول(ص) ونـظر إلى عائشـة ليقول لهـا بكل أدب بـأن الذي فعلته إسراف، واعتداء على الآخرين، وإتلافٍ لصحنٍ لا تملكه لذا عليها أن تؤدي إلى صاحبة الصحن ما يضمن لها شراء مثله، وأن تعتذر لها، وأن تتوب إلى الله توبة نصوحاً.

إن حديث الرسول ذلك إلى عائشة كـان في قمة الأدب، ولا عجب في ذلك فهو الحبيب المؤدب الذي كان أحسن الناس خلقاً وخُلقاً.

عن عـائشة أنهـا سُئلت: كيف كان رسـول الله صلى الله عليه وآلـه إذا خلا في بيته؟ قالت:

«كـان ألين الناس، وكـان رجـلاً من رجـالكم، إلاّ أنـه كـان ضحـاكـاً بسّاماً»(٧٩).

* * *

(٧٩) الطبقات/ ج ١، ص ٣٦٥.

الفصل السادس ١

تعدد الزوجات وعوامله

١ ـ الزواج الضروري

٢ ـ الزواج الترفي

٣ ـ الزواج المعقّد

تعدّد الزوجات وعوامله

بحثنا هذا يدور حول تعدد الزوجات وعوامله وأسبابه، وهو بحث أخلاقي صِرْف، وليس فقهياً ولا اجتماعياً ولا غيرهما.

إن الزواج الذي يحدث بعد الزواج الأول يقسم إلى عدّة أقسام:

١ ـ الزواج الضروري

وهو الزواج الذي يحدث بمقتضى الضرورة بسبب مرض الزوجة الأولى، أو بسبب عدم تمكنها من إرضاء غريزة الرجل الجنسية، أو عدم تمكنها من القيام بأعمال المنزل، لذا يضطر الرجل إلى انتخاب زوجة ثانية، ويعتبر هذا الزواج ضرورياً بلحاظ الأحكام الإسلامية المهمّة.

إن النصارى لا يتمتعون بمثل هذا الزواج، وهذا ما يبعث على المشاكل والمصاعب، لذا قد يضطر رهبانهم إلى وضع قوانين قذرة في هذا المجال للخلاص من تلك الأزمة.

إن هذا القسم من الزواج الضروري نادر جداً، ويحدث في أغلب الأحيان عندما تكون الزوجة غير ولود، مع وجود رغبة من الزوج في الأطفال، لذا تقتضي الضرورة أن يتزوج الرجل ثانيةً.

وفي هذه الحالات ـ أعني الحالات الضرورية ـ أنصح الزوجات بضرورة الإقدام بأنفسهن على انتخاب الزوجة الثانية لأزواجهن، حيث يمكن أن تجد المرأة زوجةً تتناسب روحياً معها، وتنسجم أخلاقياً مع زوجها الذي يرى في زواجه الثاني ضرورة ملحّة.

٢ـ الزواج الترفي

القسم الثاني، وهو الزواج الترفي، فقد يظنّ الرجل أن الزوجة الثانية لها طعم ولذة خاصة غير التي رآها من الأولى، وهكذا رجل قد يتزوج الثالثة والرابعة، ولو تمكن من كافة النساء لفعل مثلما فعل حكام بني العباس وبني أمية حيث كان الواحد منهم يمتلك بيوتاً للحريم.

إن هكذا زواج يشوبه الترف والهوس خطر جداً على حياة المجتمعات، كون الرجل فيه يتدنّى أخلاقياً لأن المسألة لا تعدو أن يكون بحثاً محضاً عن لذة جديدة تخبو بعد أول لقاء من مراسم الزواج، وهذا ما يسوق الإنسان إلى وادٍ خطير ومظلم.

إن الغريزة الجنسية تتشابه مع باقي الغرائز في الحاجة إلى الإرواء، ولكنها تختص بميزة تزداد فيها على بقية الغرائز، وهي أنها لا تقف عند حد معين، أي أنها لا يمكن أن تصل إلى حال الشبع، فالسلطة وحب التسلط يمكن أن يشبع منها البشر، وكذا حب المال، وحب الطعام وما إلى ذلك، وهذا ما لا يُرى في الغريزة الجنسية، إذ أن الفرد الذي يسعى وراء الجنس ترفاً، لن يتأتى له إرضاء غريزته حتى لوتسلّط على كل نساء الكرة الأرضية، وعندها سيحاول أن يبحث عن كرة أخرى علّه يُرضي طلبات تلك الغريزة فيها؟!.

جاء في الخبر، لو كان لأحدكم بحرٌ من ذهب، وآخر من فضة لما ارتوى ولطلب بحاراً أخرى، والغريزة الجنسية تفوق على مسألة اقتناء الذهب والفضة، وإذا ما وصل الإنسان إلى مثل هذه الحالة فليقرأ على نفسه السلام، وهذا ما أخبرنا به التاريخ، إذ قرأنا فيه أن حكام بني العباس وبني أمية وبعض من سلاطين إيران كانوا يمتلكون بيوتاً يجمعون فيها الحريم، ويجرون بالرغم من ذلك وراء نساء آخرين.

فكان الواحد منهم ـ على سبيل الفرض ـ يمتلك ١٠٠ امرأة لا يصل إلى بعضهن في العام الواحد مرة واحدة، لكنه كان يجري وراء الفتيات والنساء الجميلات حتى لو كن تحت رجال آخرين.

إن علماء النفس ينعتون مثل هذه الأرواح، بالأرواح الظامئة أو المتعطشة، ويرجعون السبب في ذلك الظمأ إلى العيون التي لا تشبعها إلا حفنة من التراب، فالعين الملاحقة لنساء العالمين لا يمكن أن تهدأ وتسكن، إلّا إذا فُقئت، أو كان صاحبها ملتزماً.

فإذا ما كانت المرأة تدور بعينها هنا وهناك، وتتطلع في وجوه الرجال كالذي ضيّع ولده الوحيد، تخرج من قالب العفّة وهو ما يبعث على العطش الجنسي والعياذ بالله.

والرجل الذي يمتلك زوجة حسناء في مقتبل العمر، ولا يسيطر على عينيه، سيبحث عن ثانية، وثالثة، ورابعة، ولا يصل إلى حالة الري بسبب عينه التي تدور هنا وهناك بدون رادع ولا وازع، وإذا لم يمنع المرء هذه العيون عن النظر إلى هذه وتلك، سيصبح مثل هارون الرشيد الذي كان يمتلك بيوتاً للحريم ويبحث عن الحسن والجمال في نساء الآخرين.

إن الوضع الخطير الذي ينتج عن مثل هذه الحالات يؤدي في الغالب إلى انحطاط وتسافل المجتمعات، مما يبعث على بروز الجرائم في تلك المجتمعات، جرّاء عدم التزام بعض النساء بالحجاب والستر.

يقول علماء النفس إن المرأة التي تحاول إبداء محاسنها للغرباء تميل روحها إلى الجنسُ الترفي، وقد تفعل بعض النساء ذلك تشبهاً بأخريات متبرّجات ظناً منهن بأن ما يفعلنه يدخل ضمن دائرة الحضارة والثقافة والمدنية.

وقد يعزو العلماء هذه الحالات إلى ظمأ جنسي لم تتمكن المرأة من ريّه بسبب قصور زوجها الذي يعود متعباً في ساعة متأخرة من الليل ليطرح نفسه على فراشه إلى صباح اليوم الثاني، أو بسبب نفرة نفسية من زوجها الذي يصرخ دائماً في وجهها إذا كلّمته، ويسخر منها ويعتبرها أقل منه مستوى، لذا تبادر تلك المرأة إلى الخروج بإزار شفاف، وقميص يشبه إلى حد ما لباس النوم، لتقنع نفسها بأنها ما زالت تستطيع أن تغري كاسب

المحلة ـ ولو كان عجوزاً ـ والذي يقوم بدوره بإطلاق نظره في شتى جوانب جسمها، عندها تشعر بارتياح كاذب يسري في بدنها الذي سيكون طعمةً لنارٍ سجّرها العليّ القدير.

قد يكون بعض المسنّين عاجزاً جنسياً، ولكننا نشاهده يسترق النظر إلى هذه الشابة، وإلى تلك المرأة الجميلة فما السبب في ذلك وهو غير قادر على ممارسة الجنس.

يقول علماء النفس، إن هؤلاء الأفراد، لا يزالون ظامئين جنسياً بالرغم من عدم اقتدارهم الجنسي، وإن عيونهم تلك اعتادت على النظر منذ البداية، ومنذ اليوم الأول الذي ساقهم فيه الشيطان إلى هذه المهالك، لذا يحاول إشباع عينه الجائعة من خلال تفحصه وجوه النساء علّه يتمكن من بلوغ الشبع الذي لن يصل إليه بالمرة، وهذه الحالة الخطيرة بنظر الإسلام وبنظر علم النفس، إذ قد تؤدي بالمجتمع إلى مهاوي لا يمكن الخروج منها لعدّة أجيال.

لا بدّ هنا من التعرض إلى مسألة مهمة، ومهمة جداً في حياة مجتمعاتنا الإسلامية، وهي، إن جلوس المرأة أمام منزلها حالة غير طبيعية، وهي في كل حالاتها سيئة، وأسوأ من تلك التي يكون فيها الجالس رجلاً، وخصوصاً إذا كانت المرأة أو النساء المجتمعات حولها متبرّجات، فهي علاوة على استعراضها لمحاسنها أمام الرائح والغادي ـ والعياذ بالله ـ يمكن أن تعتبر أحد أسباب الفساد في المجتمع وقد نهى الرسول الأكرم (ص) عن هذا الجلوس المشبوه حين قال (ص):

«إياكم والجلوس في الطرقات»(٨٠).

فيا أيتها السيدة! إذا كان لديك ما تنجزيه من عمل في الدار فاذهبي لإنجازه، وإن لم يكن لديك عمل، ينبغي لك أن تطالعي ما يمكن أن يكون فيه صلاحك، أو تستمعي إلى شريط ديني، ذوقي، أو اجتماعي، واعلمي

(٨٠) بحار الأنوار/ ج ٧٥، ص ٤٦٤.

بأن جلوسك في باب الدار لهو دليل قاطع على انحطاط شخصيتك ومستواك الاجتماعي، لأن جلوسك ذاك سيعينك على النظر إلى هذا وذاك مما يبعث على تهيج مشاعرك وعواطفك وأفكارك، ناهيك عن ورودك في بعض حالات الغيبة والتهمة التي ستمارسيها عندما يجتمع إليك من هم مثلك من النساء اللواتي لا يوجد من يردعهن أو ينهاهن عن ذلك الجلوس المشين.

إن جلوس الرجل أو المرأة في الحارة يمكن احتسابه عاراً اجتماعياً، ودليلاً على عدم التأدب بآداب الإسلام العظيم، وتجاهراً بالفسق، وعدم امتثال لأوامر الرسول الأكرم(ص) والأئمة الأطهار من أهل بيته «ع».

إن المرأة التي تدّعي بأنها متأسية بالزهراء عليها السلام لا يتأتى لها ذلك الجلوس، وإن من تفعل ذلك عليها أن تعلم بأن الزهراء «ع» منها براء.

نرجع ثانية إلى مسألة تعدد الزوجات فنقول إن البعض من الرجال يتزوج امرأة ثانية ترفاً ويدّعي بأنه يرغب في كسب الأجر والثواب، ولا يعلم بأنه يجري وراء المصائب والبلايا، ويجرّ نفسه وغيره إلى ما لا تحمد عقباه.

إن الفرد الذي يروم الزواج مرة ثانية ترفاً ويزعم بأنه يطلب الأجر والثواب في زواجه ذاك ساقط أخلاقياً بنظر العلماء الذين يقولون لتلاميذهم في اليوم الأول:

«إياكم ثمُ إياكم ثم إياكم والتوغل في المشتهيات».

وهذه المشتهيات والرغبات التي تطلبها النفس بين حين وآخر هي نتيجة حتمية لأكل الزائد، وللتكلم الزائد، وللدعة الزائدة: كون هذه المسائل الثلاثة تبعث على إيجاد اختلافات في تعادل الغرائز الجنسية، لذا يكون الزواج الترفي عملاً غير صائب ولا ينسجم مع الوفاء للزوجة الأولى.

نقل لنا أحد العلماء الأجلّاء حكاية تبعث على الدهشة والتعجب، وتدلل على أن الأفراد المتخلّقين بالخلق الإسلامي، لا يجيزون لأنفسهم الولوغ في المشتهيات والرغبات التي تجرّ الإنسان إلى مطبّات تقلل أو تنقص من مقاماتهم السامية.

والحكاية تقول: كان أحد مراجع النجف الأشرف يعيش في مدينة كربلاء المقدسة، وكان معروفاً بورعه وتقواه وأخلاقه التي ينبغي أن يقتدي بها كل إنسان عاقل، إنه المرحوم السيد إبراهيم القزويني رحمة الله تعالى عليه.

وكان في المدينة ذاتها شابّة مطلقة جميلة اسمها ضياء السلطنة ابنة السيد فتح علي شاه، وقد جاءت إلى العراق بعد أن طُلّقت في إيران فحبّذت البقاء في كربلاء، وعند سماعها بتقوى ذلك العالم أرسلت إليه من يخبره بأنها تسكن لوحدها ولا قيّم عليها لذا ترجو منه أن يتزوجها كي تستظلّ بظلّه الشريف، فأرسل إليها الجواب أنه لا يتناسب شأنه وعمره مع شأنها وعمرها، وأنه ليس بكفىءٍ لها كونه شيخاً مسناً وهي شابة في مقتبل العمر، وأنه طالب علم، وهي من أبناء الذوات، وهو فقير وهي ثرية.

وفي اليوم التالي جاءه من يخبره بأنها تفتخر لو تضحي زوجته، وتفتخر أن تستظلّ بظلّه الشريف، وأنها لا تطلب منه مالاً ولا أثاثاً، بل وستديرُ بيته الأول.

وعندها رأى السيد إبراهيم القزويني بأن تلك الشابة لا نيّة لها بتركه فأجابها: السلام على ضياء السلطنة وبعد، إنني متزوج منذ «٤٠» سنة، وأن ظروف الوفاء لا تقتضي بأن أتزوج على امرأة خدمتني، واحتضنت أولادي وعاشت معي في الغربة سنين طوال، وتحملت المشقة من أجلي لذا، لن أتزوج عليها ما حييت والسلام.

إن هذه الحكاية قد لا يتقبلها البعض، بل قد يراها من الصعب المستصعب، ولكنها حكاية واقعية تتطلب الوقوف عندها باحترام وتقدير.

وبناءً على ذلك، فمن أراد أن يتزوج ثانية من أجل اكتساب الأجر والثواب، فما عليه إلّا إخراج المبلغ الذي يريد التزوج به، ليزوّج شاباً وشابةً ويتكفّل معيشتهما، لأنني أعتقد أن ثوابه أكثر من ذلك الثواب الذي قد يحصل عليه من زواجه الترفي الثاني.

قال الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام:

«لأن أعول أهل بيت من المسلمين، وأشبع جوعتهم وأكسو عُريهم، وأكفُّ وجوههم عن الناس، أحبّ إلي من أن أحجّ حجّة وحجّة حتى انتهى إلى عشرة..»[٨١].

الزواج المعقّد

أما القسم الثالث من الزواج فهو الزواج المعقّد، فهل تعلم كيفية حدوث مثل هذا الزواج؟.

إن لكل إنسان رغبات، قد تُرضي حيناً، وقد لا تُرضي حيناً آخر، وإن الرغبات غير المرضية تنتقل من ضمير الشعور إلى ضمير اللاشعور، أي عندما يعجز ضمير الشعور عن إرضاء رغبة معينة، وتمر الأيام على تلك الرغبة بدون إرضاء تُنسى تلك الرغبة لكنها في الوقت ذاته تنتقل من ضمير الشعور إلى ضمير اللاشعور بشكل عُقدة تتفاقم يوماً بعد يوم حتى تبلغ الزمن الذي تنفجر فيه بشكل خطير، ويقول علماء النفس إن الرجل أو المرأة قد يصبحان من كبار الجناة حينما تنفجر هذه العقدة، خصوصاً إذا بلغ الفرد مقاماً علمياً أو دنيوياً، وعندها يتمكن ذلك الفرد من إخلاء عقدته بسهولة ليحرق الأخضر واليابس، مثلما فعلت ذلك المذاهب الصهيونية القائمة إلى يومنا هذا.

قد تتقاعس إحدى النساء بوظائفها البيتية، فبدل أن تستقبل زوجها القادم متعباً من عمله بابتسامة تراها تستقبله ـ على سبيل المثال ـ بهيئةٍ غاضبة، وفي اليوم الثاني يَسمعُ منها زوجها مقولة متدنيّة من مثل: أمات الله أبناءك الذين ما فتئوا يؤذونني، لقد مللتهم حتى وصل بي الأمر إلى تمنّي موتهم والخلاص من شرّهم، وفي اليوم الثالث تصرّ على شراء ملابس ثمينة في الوقت الذي لا يمتلك زوجها إلا مقداراً من المال لا يوصلهم إلى آخر الشهر، وفي اليوم الرابع تفتعل حادثة أخرى، وهكذا على مرور الزمن تنمو في ضمير الرجل عقدة جرّاء رؤية زوجته وأبنائه، وبعد فترة يكون فيها الرجل

---

(٨١) بحار الأنوار/ ج ٩٩، ص ٥.

قد نسي كلام امرأته، ـ لكن ضمير اللاشعور لم ينس ذلك ـ، تبرز حالة البحث عمّن يرفع عنه ذلك الحيف، فينبّه ضمير اللاشعور ضمير الشعور إلى أن الحل موجود وهو: انتخاب زوجة ثانية، فيتزوج الرجل ظانًا بأنه سيتمكن من إرضاء رغباته المكبوتة، ولكنه يفاجأ بأن الثانية لا تفرق عن الأولى كثيراً، وإن الشفرة العالقة في روحه لم تتمكن الزوجة الثانية من إخراجها، فيتزوج الثالثة علّها تستطيع إخراج تلك الشفرة من روحه التي لا زالت تئن من الألم، ولكن هيهات، فالثالثة أيضاً، لم تتمكن من فعل شيء له، وعندها يضحى رويداً رويداً من الرجال البصّاصين، الباحثين عن شيء ضائع في وجوه وأبدان النساء، ـ والعياذ بالله ـ ليصل به الأمر إلى أفعال وأعمال مخالفة للعفّة ـ وهذه المسألة خارج بحثنا ـ.

عندما نسأل إحدى النساء عن سبب تعدد الزواجات تلك، وعن سبب بروز عقدة الزواج! ينبغي لها أن تجيب بأنها هي السبب الأساس في بروز تلك الظاهرة، كونها لم ترضِ رغبات زوجها بشكل يستند إلى العقل والشرع.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع»:

«ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمّه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»(٨٢).

إن تعدد الزوجات الضروري قليل جداً، فما هو إذن كثيره؟ ومن هو الذي يأتي بزوجة ثانية لزوجته الأولى؟ إن الذي يأتي بالثانية هو عمل المرأة الوضيع، وعدم فهمها واتعاظها، وتقصيرها وسذاجتها!.

كان في زمان النبيّ الأكرم(ص) امرأة تدعى أم سليم، وهي من الأنصار، وكان زوجها عاملاً متديناً ملتزماً بالشرع الإسلامي الحنيف، حاله كحال زوجته الملتزمة المنسجمة معه، رزقهما الله تعالى غلاماً داهمه المرض بعد مرور سنتين أو ثلاث على ولادته.

---

(٨٢) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٢٥٣.

وفي أحد الأيام وحينما خرج الزوج إلى عمله، توفّي ابنه فبكت أم سليم لوفاة ابنها الوحيد كثيراً، ثم جلست تفكر بما ستقوله لزوجها الذي سيعود إليها بعد ساعة؟ هل تستقبل زوجها بخبر وفاة ابنه، وهو متعَبٌ من أجل رفعة منزلهما وابنهما؟ أم ماذا تفعل؟.

أخفت أم سليم ابنها في مكان لا يقع تحت نظر زوجها، ثم تزيّنت وتهيأت له، وحينما طرق زوجها الباب فتحته له وتبسمت في وجهه كعادتها، وحينها سأل الوالد عن ولده فقالت: الحمد لله لقد تحسن حاله، وهي صادقة لأن الأطفال الذين يموتون يسقون لبناً من شجرة طوبى.

جلس الزوجان يتحدث أحدهما للآخر، فضحكا، وتداعبا حتى بلغ وقت العشاء، فعرضت أم سليم نفسها عليه، ليقوما جميعاً قبل أذان الصبح للغسل والصلاة.

وعند الأذان وحينما كان أبو سليم يتهيأ للذهاب إلى المسجد للصلاة خلف رسول الله(ص) قالت له زوجه ـ وهنا مربط الفرس ـ: إذا ائتمنك أحد على شيء، ثم جاء بعد مدة يريد أمانته، ماذا تفعل؟ هل تمتنع عن ردّها؟ أم تسلّمها إليه؟ فأجاب: إن الخيانة من كبائر الذنوب، بل أردها له متى ما طلبها!.

فقالت: إذا كان الأمر هكذا، فهل تذكر أمانة الباري تعالت أسماؤه قبل ثلاثة سنوات، إنه استردها بالأمس وهو العظيم الرحيم، يا أبا سليم إن ابنك قد مات، وما عليك اليوم إلا أن تخبر أصحابك ليأتوا معك إلى دفنه، فاذهب إلى صلاتك خلف الرسول الأكرم(ص)، ولا تنسَ هذا الأمر! فقال: الحمد لله رب العالمين.

إنني لا أعلم السبب في حمده لله، ومهما كان السبب فالأمر يقتضي ذلك ولكن من الأفضل أن نقول إنه حمد الله تعالى على إعطائه هكذا زوجة مؤمنة وعاقلة.

أيها السيدات والسادة، يا من تؤمنون بما جاء في كتاب الله المجيد إن الباري تعالى يقول:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهديّنهم سبلنا﴾ (العنكبوت/ ٦٩).

فالعامل في سبيل الله تعالى يهديه الله إلى سبل النجاة، ولقد بلغ ذلك الرجل وامرأته بصبرهما وجهادهما أسمى المقامات، ويقال إن أبا سليم وحين وصوله إلى المسجد وجد الرسول الأكرم(ص) بانتظاره ليبشره بحمل زوجته في الليلة الماضية، وإن الله سيمنحه غلاماً نابغة يتحدث عنه العلماء والأصفياء والأولياء، وأن الباري تعالت أسماؤه أخذ الغلام الأول ليمنحه أفضل منه.

وعليه لا بُدّ من أن أسأل النساء وأقول: لو كانت إحداكن مثل أم سليم هل يتأتى لزوجها أن يتزوج عليها؟.

كلا، لن يفعل ذلك، وأنتن تعرفن هذا الأمر جيداً، لذا فالمقصرات أنتن لا غيركن! أنتن، يا من تجلسن صباحاً عند باب الدار لتأكلن لحوم الميتة، ويا من توزعن الابتسامات على الرائح والغادي، وعند الظهر وحينما يأتي الزوج، لا يرى في المنزل إلا القذارة، والبعثرة فتحدثه نفسه بالإتيان بامرأة قد تكون نظيفة ومرتّبة، تعرف كيف تدير المنزل، وكيف تهتم بالأولاد، وعلى حد قول العامة ـ ضربت برأسه ـ وعندها سيشتري لك ولنفسه مشكلة عويصة يصعب حلّها، وحينها ستئنين وتقولين:

إن من حيكت سجّادة حظّه بخيوط سوداء

لا يمكن أن تبيّض بماء زمزم والكوثر

أيتها السيدة! من هو الذي حاك سجادة بختك بخيوط سوداء؟ إنه كان أبيضاً وأنت التي صيرتيه أسوداً، وإذا ما كانت سجادتك قد حيكت بخيوط سوداء فما عليك أنت إلاّ أن تبيضيها بأخلاقك، وبنظافتك، وبأدبك، وبإدارة منزلك وفق العرف والشرع.

أيتها السيدة! عليك أن تكوني ربّة بيت جيدة، وأن تهتمّي بالأولاد تربيةً ونظافةً، ولا تجعلي زوجك يتجه إلى الزواج ثانيةً بتقصير منك أو قصور فتخلقي بذلك لهذا المسكين عقدة حقيرة تنعكس إفرازاتها السلبية عليك وعلى الزوجة الجديدة التي يمكن أن يبحث عنها إذا ما استسهلت الصغار الكبار.

الفصل السادس ٢

الطلاق

أقسام الطلاق

١ ـ الطلاق الضروري

٢ ـ الطلاق الترفي

٣ ـ الطلاق المعقد

الطلاق

لقد عرّف الإسلام الحنيف الطلاق على أنه أبغض الحلال إلى الله حين قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما أحلّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»(٨٣).

وهذا خلاف المسيحية التي لا يوجد فيها طلاق أصلاً، ولكنهم ومن خلال استخدام الحيَل القذرة ـ وهنا ليس محل طرحها ـ يقومون بعمليات الطلاق، وإن حالات الطلاق بينهم تتفاقم يومياً بشكل عجيب حتى أضحى هذا الأمر حاكماً اليوم في دنيا الغرب.

وفي إيران، لو تأتى لنا مطالعة إحصائيات الطلاق لرأينا ازديادها يوماً بعد يوم، وعلى سبيل الفرض، رغم أن المسؤولين يخالفون عمليات الطلاق، نرى أن هذا الأمر أضحى اليوم رائجاً في أوساطنا الإسلامية، بالرغم من تلك المخالفة.

إن إحدى المصائب الكبرى التي ترى واضحة جليّة في إيران الثورية في وقتنا الحاضر هي: كثرة الطلاق مع شدة التضييق على هذه المصيبة من خلال التبصرات والنصائح التي يتفضل بها العلماء والمثقفون في وسائل الإعلام المرئي والمسموع، ولكننا ـ وكأنما لا يوجد تأثير ملموس لتلك النصائح ـ نرى ازدياد وتفاقم حالات الطلاق بشكل يبعث على الدهشة، فما السبب في ذلك؟.

---

(٨٣) كنز العمال/ خ ٢٧٨٧١.

إن إحدى أسباب الخوض في هذا البحث الذي أسميته الأخلاق البيتية هو المساهمة في الحؤول دون تزايد حالات الطلاق، وقد نوفق بنسبة واحد في الألف لمنع استمرارية أبغض حلال في الإسلام، لذا فإن بحثنا هذا يدور حول سبب استشراء هذا الأمر، وكما قسّم الزواج إلى ثلاثة أقسام، يقسّم الطلاق إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

أقسام الطلاق:

١ ـ الطلاق الضروري

بما أن قوانين الإسلام شاملة، ولم تدع مفصلاً حياتياً إلّا وطرقته، لذا يكون الطلاق هو أحد القوانين المشمولة بالنظام الإسلامي المتكامل، وبالرغم من كراهية الطلاق في الإسلام، يُعتبر وجوده ضرورياً في الحالات التي تستوجب ذلك.

إن مثل الطلاق الضروري كمثل اليد التي أصابها السرطان، والتي يجب أن تقطع حتى لا يسري المرض إلى بقية أجزاء الجسم، وقد يكون صاحب اليد ممتعضاً لقطع يده، لكنه في الوقت ذاته مقتنع بذلك القطع، بل ويقدم المال للطبيب الذي قطعها ويشكره على فعله ذاك.

إن الطلاق الضروري يجري عندما لا يحصل توافق أخلاقي بين الرجل والمرأة بعد طرق جميع أبواب التضحية والإيثار والعفو وكلّ ما يمنع حدوثه من مساعٍ وتدابير خاصة اعتمدها الإسلام للإبقاء على الحياة العائلية.

فحينما يبتلى مؤمن ـ والعياذ بالله ـ بامرأة غير عفيفة، أو تبتلى امرأة خيّرة بزوج وضيع ويصل الأمر إلى طريق مسدود. ماذا يمكن أن يكون الحلّ؟.

لا حلّ هنا سوى الطلاق، وفصل هذه الوصلة الغير منسجمة عن بعضها البعض لذا يكون الطلاق في مثل هذه الحالات ضرورياً وحسن بنظر الإسلام والمجتمع.

لقد أقرّ العالم المسيحي ولمرّات عديدة بأن قانون الطلاق الموجود في النظام الإسلامي ـ بالطبع مع وجود الموانع الكثيرة ـ قانون جيّد، ولو لم يكن

قانون الطلاق موجوداً في النظام الإسلامي لعدّ الإسلام ناقصاً.

إن التركيبة الطبيعية للزواج والتي بنى الإسلام قوانينه على أساسها وهي أن تغدو المرأة محترمة ومحبوبة داخل المنظومة العائلية، فإذا ما حدث ما يؤدي إلى نزول المرأة عن هذا المقام وانطفأت شعلة حب الرجل لها، وأصبح زوجُها غير راغب فيها، فقد هدم الصرح والركن الأساس للعائلة.

إن الإسلام ينظر إلى مثل هذا الوضع نظرة أسى وأسف، لكنه حين يشاهد انهيار الأساس الطبيعي لهذا الزواج لا يسعه أن يفرض بقاءه من الناحية القانونية.

إن الطلاق الضروري قليل، وقليل جداً، وهو أقل من ١٪ من مجمل الطلاقات التي تحصل في إيران سنوياً، وقد لا تصل مثل هذه الطلاقات إلى ١٠٠ حالة سنوياً.

وإذا ما رأينا ازدياد الطلاق وتفاقمه في إيران فهو لأسباب أخرى غير ضرورية.

٢ ـ الطلاق الترفي.

إن الطلاق الترفي يشبه إلى حدّ ما الزواج الترفي الذي تعرّضنا له سابقاً، وفي الطلاق الترفي يكون الرجل عاشقاً لإحدى النساء، أو من الذين يبحثون عن شيْء جديد يلبّي رغبات فيهم غير طبيعية، لذا تراه يطلق زوجته التي حملت منه عدة مرات ليتزوج أخرى معجبٌ بطريقة كلامها، والأنكى من ذلك حينما تكون هذه الحالة عند المرأة.

فالمرأة التي عشقت شخصاً آخر غير زوجها، نتيجة لعدم التزامها العرفي والشرعي، تحاول جاهدةً أن تطلب الطلاق بعد تبريرها له بشتى الوسائل لكي تلتحق بمعشوقها الذي هو الآخر يعدو أن يكون وضيعاً وسافلاً، ومثل هذه الزيجات قليلٌ جداً في مدينة قم وكثيرٌ من بين الأفراد المنحرفين والغوغائيين.

وهنا لا بدّ من طرح سؤال مهم جداً، وأوجهه بالخصوص إلى النساء إذ

ينبغي لهن أن يحكّمن ضمائرهن في الجواب، وهو:

ما هو منبع الطلاق الترفي أو الطلاق الاعتباطي والعشقي؟.

وأجيب على هذا السؤال بالقول: إنه يحدث نتيجة اختلاط الرجال مع النساء، ومن التطلّع في الوجوه، أو من الأحاديث غير الضرورية التي تتم بين الرجل والمرأة، وأقول أكثر من ذلك إنه ينتج بسبب التبرّج أو السفور.

فالمرأة المتبرّجة أو السافرة لا يمكن أن نحسبها غير إنسانة ظالمة، وإنها ستحشر يوم القيامة مع أعتى الظلمة، وما هو الظلم الذي يكون أعلى مرتبة من ذاك الذي تحرك فيه امرأة شهوة شاب أعزب؟ إنها بتحريكها له قد ألقت به في نارٍ مشتعلة ليحترق بشكل يبعث على الأسف والأسى، وقد تكون نار الغريزة الجنسية أشدّ اشتعالاً من النار العادية.

ماذا يمكن أن يكون ذلك الظلم الذي ينظر فيه الشاب إلى وجه امرأة أو بنت متبرّجة؟ أو إلى جواربها الشفافة التي تكشف من خلالها عن ساقيها؟ وفي نهاية الأمر سيحاول الشاب النظر إلى المواضع الحساسة الأخرى، فتتحرك كوامن غريزته الجنسية ليقع في الإثم والمعصية ـ والعياذ بالله ـ.

إن ولوغ ذلك الشاب في المعصية يرجع في الأساس إلى تبرّج تلك السيدة، هذه السيدة التي تبتسم يميناً وشمالاً، وعند بائع المحلة، وتكشف عن رقبتها وشعرها في بعض الأحيان من أجل الحظوة بزوج جوارب أقل ثمناً مما لو كانت محجّبة، إنها تبيع حيائها ودينها لكي تصل إلى مرادها التافه، ولا أعني هنا أنها تزني من أجل ذلك، كلا بل إنها ـ والعياذ بالله ـ تمزح وتوزع الابتسامات، وترد حارتها بلباس فضفاض من أجل جلب أنظار الشباب إليها، وقد لا تعرف هي السبب في عملها ذاك الذي لا ينمّ إلا على ظلمها لنفسها وظلمها للآخرين، كونها بعملها ذاك ستثير شهوة الكاسب أو الرجل المتزوج فتبرد علاقته ومحبته مع زوجته، وبالتدريج ينجرّ ذلك الرجل إلى تطليق زوجته، أو إلى موت المحبة في نفسه، أو إلى بروز عقدة نفسية تنعكس آثارها السلبية على أبنائه بشكل خاص، وعلى بيته بشكل عام، وهذا هو الظلم العظيم، والمعصية الكبرى.

إن أحد الأشياء التي توجب ظهور المصائب والبلايا هو العشق، والعشق هذا أسوأ من السرطان، العشق الذي يحدث أحياناً بين الرجال والرجال، العشق الذي يحدث بين النساء والنساء، والعشق الذي يقوم بين الرجال والنساء، وهو إجمالاً يترك البيوت بلاقعاً، حيث ترى العائق يتنكر لكل القيم والمُثل في سبيل الحظوة بمعشوقه، بل ويصل الأمر به إلى أن يكون ذليلاً مستكيناً في مقابل تلك الحظوة المتدنّية.

وعندما نراجع أشعار العشاق نستشف بأنهم مستعدون لإهراق ماء وجوههم في سبيل ذلك العشق، وإذا ما أهرق ماء الوجه كيف يمكن استرجاعه ثانية؟.

وليعلم الجميع أن الغريزة الجنسية هي أساس تلك المصائب والبلايا إذا تُرك العنان لها، وإن الفتيان أو الفتيات إذا ما أحبّ بعضهم البعض، فإن حبّهم ذاك وعشقهم يستقي من تيار الغريزة الجنسية، وقد يكون العشق ذاك تحت مسميات أخرى كأن يكون أحد مُسميات الصداقة، أو التحابب بين المسلمين، أو العشق من أجل الله تبارك وتعالى، وكل ذاك تبرير شيطاني محض.

سُئِل الإمام الصادق جعفر بن محمد «ع» عن أصل المحبة؟ فأجاب بأن حب الله إذا خروج من قلب امرءٍ، دخل مكانه في القلب حب آخر ثم أردف سلام الله عليه بالقول:

«كُلّ من لم يحبّ على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له»(٨٤).

أما الحب أو العشق البعيد عن الدين فيطلق عليه اصطلاحاً «بالمرض السودائي» وهو مرض أشبه ما يكون بالعصاب، ويحصل هذا المرض نتيجة الاختلاط، والنظر الشهواني إلى ما حرّم الله.

لقد أثبت البعض بأن في الأبدان أشعة خاصة ترد بدن الناظر عن طريق

---

(٨٤) الكافي/ ج ٢، ص ١٢٧.

عينيه، وعندما يستهوي بدن الناظر تلك الأشعة يحصل العشق أو الحب الدنيء، وعليه حرّم الإسلام النظر إلى كل ما يمكن أن يثير الشهوة، وحرّم التحدث والاختلاط بين النساء والرجال إلاّ لضرورة.

وبالرغم من وجود أكثر من عشرة آيات تتعرض لمسألة الحجاب بصورة مباشرة، فإن هناك الكثير من الآيات التي تشير إليه من خلال عبارات قصيرة ومقتضية:

﴿يا أيها النبيّ قُلْ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنينَ عليهنَّ من جلابيبِهنَّ ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (الأحزاب/٥٩).

وإذا ما كانت المرأة بصّاصة، وكثيرة التحدث للآخرين، فقد تضحى عاشقة بالرغم من أنها متزوجة، وحينها تحدث الكارثة بسبب ذلك التحدث والنظر هنا وهناك، وتكون عندها مصداقاً للآية المباركة التي تقول:

﴿خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين﴾ (الحج/١١).

وبناء على ما تقدم يتضح لنا أن التبرّج والسفور هو سبب أساسي في مسألة الطلاق الترفي، وإن المذنب الرئيسي فيه هي المرأة الغير الملتزمة بما جاء به الرسول الأكرم(ص).

إن للمرأة جاذبية خاصة، وإن جاذبيتها تلك حدت بالرسول(ص)والأئمة الأطهار من أهل بيته «ع» إلى أن يُكرّهوا حتى المشي خلفها، أو التطلع إلى ظهرها، وحذّروا كثيراً من المشي ورائها إلاّ أن تكون هناك مسافة تحول دون الجذب.

أما إذا لم يلتزم الرجل بهذه المسائل فسوف يكون عرضةً لذلك الجذب، وعرضةً لشِراك الشيطان الرجيم الذي يسعى دائماً للإيقاع به.

إنني أعتقد بأن الفصل بين الرجال والنساء أمر ضروري لا بُدّ منه، وعليه يجب الفصل بينهما حتى في باصات النقل العمومية، ولا أوصلنا الله إلى حالة نجلس بعدها نندب حظّنا.

إن التماس الذي قد يحصل بين الرجل والمرأة في باصات النقل ـ ولو بالملابس فقط ـ خطيرٌ جداً، لذا أقول للمرأة: إنك درٌّ ثمين وكلّما حُفِظ الدرّ في مكان آمن كلّما كان بعيداً عن أيدي السرّاق، وعليه ينبغي أن يحذر الرجل والمرأة التمادي في التحدث إلى بعضهما البعض، وأن يلتزموا بالأخلاق الإنسانية والإسلامية العريقة التي تحول دون استشراء الفساد في المجتمعات البشرية.

٣ ـ الطلاق المعقّد

الطلاق المعقّد يشبه إلى حدّ ما الزواج المعقّد، وهو كثيرٌ نسبياً إذا ما قيس بالنوعين الأوليين، ويمكن القول بأن نسبته المئوية تصل في بعض الأحيان إلى ٨٠٪.

ويحدث هذا الزواج في الأعمّ الأغلب عندما لا تهتم المرأة بوظائفها المنزلية، بعد أن تبرز في كوامنه عقدة نفسية تتفاقم شيئاً فشيئاً لتصل إلى مرحلة خطيرة يُقدم فيها الزوج على التزوج ثانية وثالثة ورابعة.

والجدير بالذكر أن الرجل في هذه الحالة من التعقيد يضحى قسيّ القلب بعض الشيء ـ فعلى سبيل المثال ـ عندما يقال له إن وضع أبناءك وزوجتك سيؤول إلى دمار، فيقول: فليحدث ذلك بالرغم من أنه كان قبل ذلك يبذل الغالي والنفيس من أجل هؤلاء الأبناء وتلك الزوجة.

وعلى عكس ما ذكرنا، وحينما نشاهد عدم مراعاة الرجل للمسائل الصغيرة الكبيرة، وحينما يكون بخيلاً، جافًا في تعامله مع الأبناء والزوجة قولاً وفعلاً تتعقد الزوجة، وحينما تتعقد تدخل في مداخل ضيقة قد تكون في بعض الأحيان أماكن بعيدة عن العفّة، ناهيك عن كراهيتها لكلّ ما يمكن أن يذكرها بزوجها من مثل عشيرته، أو أبنائه، أو. . .

إن البعض من الرجال لا يعرفون كيف ينظمون أوقاتهم، أو بالأحرى لا يولون أهمية تذكر لتنظيم أوقاتهم فتراهُ يخلط بين الوقت المخصص لزوجته وأبنائه وبين الوقت الذي يمارس فيه قراءة القرآن أو مطالعة الكتب العلمية

ـ على سبيل المثال ـ وهذا أمرٌ خطير جداً، حيث تصبح الأسرة في مثل هـذه الحالة في الحاشية، لتبقى المسائل الأخرى المتعلقة به في المتن.

إن أغلب الكسبة يخرجون في الصباح الباكر ليعودون في المساء متعبين، من كثرة ساعات العمل، ومن كثرة النقاش والجدل مع المشترين، وحين رجوعهم مساءً إلى المنزل لا يطالبون زوجاتهم إلّا بطعام يأكلونه وينامون، هـذا إذا لم يجلبوا معهم دفاتر حساباتهم التي ينامون عليها في أغلب الأحيان.

مثل هذا الوضع الخطير، والخطير جداً، والذي قد يؤدي بالزوجة النجيبة إلى الخروج على نجابتها وعفّتها، وهذا ما لا يرضاه الله ولا رسوله ولا الأئمة الأطهار.

قد يكون ذلك الرجل يذهب إلى المسجد كثيراً، ويحضر في صلاة الجمعة، ويشارك في المجالس العمومية والخيرية ويعتبر عمله ذلك هو الأساس، بل هو المتن، وما عداه ـ من مثل الاهتمام بالأسرة ـ هو الحاشية وهذا هو عين الخطأ.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله تعالى سائل كلّ راع عمّا استرعاه أحفظ ذلك أم ضيّعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(٨٥).

وبناء على ذلك ينبغي للرجل أن يقسّم وقته، ساعة لربه، وساعة لأهله وعياله، وساعة لمنامه وغذائه.

هذا بالإضافة إلى اهتمام الرجل بشكل خاص بزوجته، فإذا دخل منزله واستقبله أحد أولاده، فلا بأس من معانقته، ولكن لا يجدر به أن يرفع عينه عن زوجته، ولا تظنّ بأنها إنسانة ساذجة وبسيطة.

قبل مدّة اعتقلت الشرطة المحلية امرأة قتلت ابناءها بعد أن غرزت في

---

(٨٥) كنز العمال/ خ ١٤٦٣٦.

رؤوسهم إبراً معدنية، وحينما سُئلت عن السبب في عملها المشين ذلك أجابت، بأنهم كانوا سبباً حائلاً بيني وبين زوجي حيث كان يهتم بهم أكثر مما يهتم بي، لذا صممت على قتلهم جميعاً ليخلو لي الجو بزوجي!!.

إن البعض من النساء يتصلن بي تلفونياً، وقد أسمع بكائهن وكأن عزيزاً لهن قد مات، وبعد التحدث إليهن أصل إلى نتيجة بأن أزواجهن لا يبخلون عليهم مادياً ولا جنسياً، بل يبخلون عليهن عاطفياً.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحُسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها»(٨٦).

وقال سلام الله عليه أيضاً:

«إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكفّلها، وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصن»(٨٧).

تقول إحدى النساء والتي كان أولادها سيئين بأن السبب في ذلك يرجع إلى أبيهم الذي كان ليلاً ونهاراً يطالع في الكتب، وإذا خلص من ذلك يبدأ بقراءة القرآن الكريم، وعليه كان أبناؤه معقّدين، وسيئين في القول والفعل.

إن العالم أو الطالب الذي لا يعرف غير المطالعة ظالم لنفسه ولأهله، وإن علمه ذاك لا بركة فيه، لأنه مكتسب عن طريق الظلم، ومن أراد علماً بدون ظلم يجب عليه أولاً أن يتفرّغ ساعة في اليوم على الأقل لزوجته وأبنائه ومن ثم يمارس ما يريد ممارسته لوحده.

وإن المرأة المثالية يجب عليها أن تتبسم في وجه زوجها حينما تقدم له قدح الشاي حتى يذهب التعب والعناء عنه، ولكي تتأصل أواصر المحبة والألفة والانسجام في المؤسسة الأسرية.

---

(٨٦) تحف العقول/ ص ٢٣٨.

(٨٧) تحف العقول/ ص ٢٣٧.

كان أحد العلماء الكبار يبكي بشدة لوفاة زوجته، وعندما قلنا له: ألا ترضى بالمقدّرات الإلهية؟ قال: أنا راضٍ بقدر الله تباركت أسماؤه، ولكنَّ قلبي يشتعل ناراً حينما أتذكر بأن مؤنسي، ومهد علمي، لن يعود إليّ ثانيةً.

كان يقول: عندما أكون مُتعباً أثناء المطالعة أرى زوجتي الرؤوفة تطلّ عليّ بابتسامة عريضة، وهي تحمل بيدها قدح الشاي، ثم تجلس إلي لتحدثني قليلاً، وما إن تشعر بغياب التعب عني تستأذنني بالذهاب إلى عملها المنزلي، لذا أرى أن كلّ أعمالي العلمية مرهونة بوجود تلك المرأة التي ذهبت إلى حيث رحمة الله الواسعة.

يقول باستور: إن كل اختراعاتي، وخدماتي التي قدمتها للإنسانية ترجع في أساسها إلى زوجتي التي أنقذتني من العناء والتعب حينما كنت أجهد نفسي في الوصول إلى هدف معيّن.

وبناء على ما تقدم فإن الرجل الذي لا يهتم بزوجته وأبنائه لانشغاله، بالكسب الحلال، أو لانشغاله في طلب العلم سيكون سبباً في تعقيد زوجته، وعندما يتفاقم ذلك التعقيد قد يصل الأمر إلى الطلاق، هذا إذا كانت الزوجة نجيبة وملتزمة وخيّرة، وعندما تُسئل عن كيفيّة تركها لأبنائها الذين سيفشلون في حياتهم تُجيب: دعوني أحظى بقسطٍ من الراحة ولو على حساب فشل أبنائي، وهذا ما يسمى بالطلاق المعقّد.

هذا الطلاق الذي يحدث نتيجة بروز عقدة نفسية تزداد رويداً رويداً لتصل في آخر المطاف إلى حالة تنفجر فيها تلك العقدة فتؤدي إلى الطلاق؛ وإن تلك العقدة هي حاصل سوء ظنّ المرأة في أغلب الأحيان، وعدم اهتمام الرجل بزوجته في بعض الأحيان.

* * *

الفصل السابع ١

احتياجات الأسرة

١ ـ الحاجة المادية ـ ذم البخل

٢ ـ الحاجة الجنسية

٣ ـ الحاجة العاطفية

احتياجات الأسرة

يبحث هذا الفصل في الحاجات التي يمكن أن يـؤمّنها الـرجل والمـرأة لبعضهما البعض، وهو فصل مهم إذا ما نظرنا من منـظار نفسي، ولذا اهتمت به الروايات الواردة إلينا عن الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته الأطهار «ع».

الحاجة المادية ـ ذمّ البخل

إن الحاجة الأولى التي يجب أن يهتم بها الرجـل والمرأة في البيت هي الحاجة المـادية، فـإن كان الـرجل متمكنـاً، يجب عليه أن يـوسّع على أفـراد أسرته فـإن لم يفعل عُـدَّ بخيلاً، ومصـداقاً لـلآيات التي نـزلت في ذم البخل والبخلاء، ومصداقاً للروايات الكثيرة والمتواترة التي تذمّ البخل ومن عمل به:

﴿ولا تحسبنّ الذين يبخلونَ بِما آتـاهُمُ الله من فضلِهِ، هو خيـراً لهم، بل هو شرٌّ لهم سيطوَّقُونَ ما بَخِلوا به يومَ القيامة﴾ (آل عمران/ ١٨٠).

إن البخل يشبه بقية الصفات الرذيلة الأخرى في ذمّ العقل، وهو مذموم أيضـاً حتى لدى البخيـل نفسه، فلو خـاطب أحدهم بخيـلاً: «أيهـا البخيـل» لامتعظ واغتاظ ولتنكر الأمر بشدّة.

إن من جملة القضـايـا التي تقضي على المحبـة والألفـة في البيت هـو البخل، فالرجل المقتدر ماديـاً يكرهـه أبناؤه إذا مـا بخل عليهم بمـا يمكن أن ينفقه في سبيل رفاههم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن المؤمن يأخذ بأدب الله، إذا أوسع الله عليه اتسع، وإذا أمسـك عنه أمسك»(٨٨).

(٨٨) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ١٥٧.

فوظيفة الرجل التوسيع على أسرته إذا وسّع الله عليه، وتزويج أبنائه، والتلطف إليهم بالوعظ والنصيحة، ومساعدتهم في إنجاز أعمالهم وتكاليفهم وما إلى ذلك من الأمور التي تجعل الأب محبوباً بين زوجته وأبنائه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حق الولد على والده إذا كان ذكراً، أن يستفره أمه، ويستحسن اسمه، ويعلّمه كتاب الله ويطهره ويعلمه السباحة»(٨٩).

إن الحاجات المادية يجب أن تروى، فإن لم يكن ذلك تعقّد من يشعر بحاجة، وعلى سبيل المثال نرى الأبناء الذين لا تروى حوائجهم المادية يطرقون باب السرقة ـ والعياذ بالله ـ مما يجرّ على المجتمع بلايا ومفاسد كان بالإمكان تلافيها إذا ما جاد ربّ الأسرة بما لديهِ من أموال على أبنائه.

وللنساء أقول، احذروا أن تطعموا أزواجكم وأبنائكم شيئاً من حرام، واحذروا أن تكونوا لئاماً في الطعام بشكل عام، أي تستأثر الزوجة بالفاكهة أو ما شابه ولا تقدّم شيئاً منه ـ إلا ما ندر ـ لزوجها وأبنائها مما يبعث رويداً رويداً على البخل فيصل الحال بها لأن تقول: علّنا نوفّر بعض الشيء ليوم آخر بالرغم من وجود طعامٍ كافٍ.

وقد يكون بعض أرباب الأسر في عطائهم غير راضين، ولكنهم يقدّمون ما عندهم على مضض، وعلى كراهية، وهكذا أفراد يجمعون بين اللؤم والبخل في ذات الوقت، بل قد يكون أحدهم بخيلاً حتى على نفسه مما يجرّ على برود العلاقات الأسرية، وانفصام عُراها.

فالرجل السيء الخلق، البخيل لا ينبغي له أن يتوقع محبةً من زوجته أو أولاده، وكذا الزوجة التي تجود بما عندها على الضيوف وتمنع زوجها وأبناءَها عن ذلك لا ينبغي لها أن تتوقع من زوجها وأبنائها إلاّ الخصام والتعقيد.

وعليه يمكن القول، يجب على الرجل والمرأة أن يهتمّا كثيراً بمسألة

(٨٩) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٨٥.

إزاحة الحاجـة الماديـة من البين الأسري كيـلا يضحى الأولاد ـ لا سمح الله ـ سرّاقاً معقدين خونة.

أما الرجل الذي لا يستطيع ـ على سبيل المثال ـ تـأمين شراء الفـاكهة، لا ينبغي لزوجته أن تكرهه على ذلك، بل عليها أن تواسيه، وتضع يـدها في يده حتى يصلا سويةً إلى وضع أفضل وأحسن بعون من الله وفضل منـه تعالت أسماؤه الحسنى.

يقـال إن أحـدهم مات في زمن النبيّ الأكـرم(ص) بعـد أن أنفق جميـع أمـواله في سبيـل الله، فسار النبيّ(ص) في جنـازته وشيّعـه حتى مثواه الأخيـر، ولكن أحدهم أخبر النبيّ(ص) بأن أهله وأبناءَه لا يملكون من حطام الـدنيا مـا يسدّ جوعتهم، عندها قال الرسـول(ص) ما مضمونه: بـأنه لـو علِم بذلـك لما صلّى على جنازته، ولما شيّعه.

وبناء على ذلك فالمرأة أو الرجل اللذان لا يستـطيعان إدارة منـزلهما من ناحية مادية بصورة جيدة ولا يفعلان يسهمان بشكل مباشر في إيجاد خطر كبير في منزلهما. . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مـا من شيء أبغض إلى الله عزّ وجـل من البخل، وسـوء الخلق، وإنه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»(٩٠).

٢ ـ الحاجة الجنسية

إن إرضاء الغريزة الجنسية أمر طبيعي حالها حال بقية الغرائز التي يجب أن تُرضى، لذا يجب على الرجل سدّ حاجة زوجته جنسيـاً، مثلما يجب على الزوجة إرضاء غريزة زوجها الجنسية، وإن لم يفعلا فقد ارتكبا إثماً مبيناً.

قال الباقر محمد بن عليّ «ع»:

«جـاءت امرأة إلى النبيّ(ص) فقالت: يا رسـول الله ما حق الـزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته إلا بـإذنه، ولا

---

(٩٠) بحار الأنوار/ ج ١٦، ص ٢٣١.

تصوم طوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب..»[٨١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره.. ولا تعتزل فراشه..»[٨٢].

إذا منعت الزوجة زوجها من مقاربتها مما تسبب في وقوع الزوج في المعاصي والآثام، كتب الله لها في لوحة أعمالها مثلما كتب لزوجها الذي منعته من مقاربتها.

وجاء في الخبر أن الرجل الذي لا يؤمن رغبات زوجته الجنسية، يعتبر مسيئاً وآثماً، وله نصيب من الأخطاء والآثام التي قد تصيبها المرأة التي حجز زوجها عنها نفسه.

قال الإمام الرضا عليّ بن موسى عليه السلام:

«لو لم تكن في المناكحة آية منزلة ولا سنّة متّبعة، لكان ما جعل الله فيه من برّ القريب وتآلف البعيد، ما رغب فيه العاقل اللبيب، وسارع إليه الموفق المصيب»[٨٣].

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«من جمع من النساء ما لا ينكح أو ينكح، فزنا منهن شيء، فالإثم عليه»[٨٤].

٣ ـ الحاجة العاطفية

إن للعواطف نصيب لا بأس به في سلوك البشر، إنهم يختلفون عن الحيوانات كثيراً، ولا يمكن تشبيههم بالنباتات أو أعمدة الرخام والحديد،

(٩١) وسائل الشيعة/ ج ١٤، باب ٨٨ و ٩٠ من أبواب مقدمات النكاح.

(٩٢) الحاكم.

(٩٣) مكارم الأخلاق/ ص ٢٠٦.

(٩٤) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١٨١.

بالرغم من أن الحيوانات تحتاج في بعض أحيانها إلى عاطفة، وهذا ما نراه واضحاً حين ترضع صغار القطط أو صغار الكلاب من ثدي أمهاتها، حيث تحاول الأم تأمين حاجة صغيرها المادية والمعنوية وكذا العاطفية من خلال لحسها لرجليه أو رأسه أو وجهه، وهذا خير دليل على أن الطبيعة والفطرة تقول لنا: انتبهوا جيداً فإن الإنسان أولى بهذه العواطف من غيره.

فالحيوان يحتاج للعاطفة، والكلب ـ على سبيل المثال ـ يدرك جيداً بأن صغيره يحتاج إلى العواطف علامة على احتياجاته المادية، وهذا ما ينبغي للإنسان إدراكه، لذا يجب على جميع البشر أن يتبادلوا هذا الغذاء الروحي الذي هو أسمى وأرقى من أي غذاء مادي.

لا أوصل الله ذلك اليوم الذي يكون فيه الرجل محروماً من المحبة والعاطفة، ونسأل الباري تعالى أن لا يحرمنا من العاطفة والمحبة والألفة.

إن مسألة العاطفة والمحبة مسألة في غاية الأهمية، ولذا أوصى القرآن الكريم المسلمين بضرورة منح اليتيم محبة خاصة، وتمرير اليد على رأسه، والابتعاد عن إغضابه قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدعُّ اليتيم﴾ (الماعون/١، ٢).

إن الباريَ جلّت حكمته يريد أن يقول بأن المسلم الحقيقي هو ذلك الذي لا يدعّ اليتيم، ويقال إن هذه الآية نزلت في «الوليد بن المغيرة» الذي كان مكذباً بدين الله تباركت أسماؤه، وإنه كان شديداً غليظاً مع أحد اليتامى من الذين كانوا يعملون عنده.

لماذا اهتم الإسلام بهذا الشكل باليتيم؟ ولماذا كان الرسول الأعظم(ص) يُجلس اليتامى إلى جانبه ويمسح على رؤوسهم، ويهتمّ بهم أكثر من غيرهم؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«من أنكر منكم قساوة قلبه، فليُدنِ يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه يلين

بإذن الله، إن لليتيم حقاً»[٨٥].

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحّماً به، إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت عليها يده حسنة»[٨٦].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

«إذا بكى اليتيم في الأرض، قال الله عزّ وجلّ: من أبكى عبدي هذا اليتيم الذي غيّبت أبويه أو أباه في الأرض، فتقول الملائكة: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، فيقول الله عزّ وجلّ: أشهدكم ملائكتي، إنّ من أسكته برضاه فأنا ضامن لرضاه من الجنة، قيل: يا رسول الله، وما يرضيه؟ قال: يمسح على رأسه ويطعمه تمرة»[٨٧].

هنيئاً لكم يا عوائل الشهداء، أيتها السيدة التي استشهد زوجك!.

أيتها السيدة التي مات زوجك! إذا ما كان لديك يتيم فثوابك عظيم، لأن المسح على رأس هذا اليتيم في كل مرة سيؤدي بالملائكة إلى تسجيل حسنة لك في سجل أعمالك الصالحة.

إن الثواب والأجر هو الذي يتفضل به الله على عباده الذين يترحّمون على اليتيم، لأن اليتيم يحتاج إلى عاطفة أكثر من غيره، وإلى محبة خاصة وإلاّ شعر بالحاجة إلى ذلك، وبرزت لديه عقدة قد تكون في بعض أحيانها خطيرة تؤدي إلى جرائم وجنايات في الأعم الأغلب.

فعندما تكون الدار محرومة من المحبة، يكون من فيها أولى بالحرمان، ويكون الأبناء هم الأشد حرماناً.

إن الأطفال التي لا تعدو أعمارهم على بضعة أيام يمتلكون غرائز بالفعل، ولكنها كالنار تحت الرماد، فالغريزة الجنسية على سبيل المثال

---

(٩٥) وسائل الشيعة/ ج ١٥، ص ١١١، ح ٤.

(٩٦) وسائل الشيعة/ ج ١٥، ص ١١٠، ح ٢.

(٩٧) مستدرك الوسائل/ ج ٢، ب ٤٤، ص ٦٢٢.

يمتلكها ذلك الطفل، ولكنها كالنار تحت الرماد، وكذلك غريزة حب المال فهي الأخرى كالنار تحت الرماد، إلا غريزة الجوع فيمكن أن نصطلح عليها «بالوجود الفعلي» كونه يلتفت إليها حينما يتضوّر جوعاً فتراه يبحث عن حلمة ثدي أمه بفمه الصغير، وكذا الأمر بالنسبة إلى غريزة طلب المحبة، وغريزة حب الإطراء.

فالأم التي تمسح بيدها على رأس وليدها، أو على بدنه، ولو كان عمره شهراً واحداً أهم بكثير من لبنها الذي تسقيه، وإن تبسّم الأب في وجه طفله ذو الشهر أو الشهرين أفضل للطفل من كل غذاء، وحتى من لبن أمه.

إن الأولاد بشكل عام يحتاجون إلى العاطفة المنزلية، وإلى الحب والحنان، فالأب الذي يراعي ويسدّ حاجات أبنائه المادية، ولا يلتفت لحوائجهم العاطفية أب غير منصف أب جاهل، أب لا يفهم من الأبوّة شيئاً.

إن بعض الآباء لا يرون أولادهم إلا في الأسبوع مرة واحدة، كونهم يخرجون مبكرين في الصباح، ويرجعون في ساعة متأخرة حيث يجدونهم نياماً وهذا ما يبعث على وقوعهم في الأخطار المحدقة بهم.

فالأب ينبغي له أن يتصابى مع صبيّه، وأن يمزح معه ويلعب، وأن يتبسم في وجهه ويضحك، وأن يلاطفه ويتلطف معه، لأن ذلك قيّم وثمين بالنسبة للابن، وكذا بالنسبة للزوجة، فهي الأخرى تحتاج إلى أن يتبسم زوجها في وجهها، وتحتاج لسماع كلمات الغزل والمحبة والملاطفة في زوجها ووالد أبنائها.

إن القرآن الكريم أكد كثيراً على هذه النقاط الدقيقة، فيتطرق على سبيل المثال إلى نبيّ الله موسى وكيفية صيانته من أعدائه، في الوقت الذي كان فرعون يذبّح الأولاد أينما كانوا، وخلاصة الأمر فقد كبُر موسى تحت رعاية فرعون وزوجته آسية، بعد أن ألقى الله تعالت قدرته محبته في قلبيهما فكان فرعون يتعامل مع موسى كالأب الرؤوف الرحيم، ثم مكث عند نبيّ الله شعيب عليه السلام وتزوج إحدى ابنتيه، ولما أضحى لائقاً للنبوة أرسله

المولى تعالى إلى فرعون وملائه:

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه/٤٣و ٤٤).

ماذا تقول لنا هذه الآيات؟ إنها تقول إن الإنسان يتعطش للمحبة أينما كان، لذا يقول لنا الإسلام، يجب إعدام المجرم، ولكن لا يحق لك أن تسمعه كلمات نابية بالمرة، لأنه مهما كان فهو من البشر الذين يتعطشون للمحبة.

وبناء على ذلك، أقول: إن امرأتك تشعر بالحاجة إلى العاطفة والمحبة قبل كل شيء، وأنت أيتها السيدة! عليك أن تعلمي بأن زوجك يشعر بالحاجة إلى محبتك قبل احتياجه إلى المادة، والمحبة هي أسمى من الحاجة المادية والجنسية، أبناؤكم يحتاجون إلى المحبة، فلا تبخلوا عليهم بالعطف والتودد والرأفة، ولا بأس عليكم من أن تواجهوهم يومياً بشيء من الابتسام والسرور لكي يتمكنوا من إكمال مسيرتهم الحياتية.

إن أشد ضربة يمكن أن يوجهها الرجل لزوجته، أو توجهها الزوجة لزوجها هي تلك التي يكون فيها أحدهما عابس الوجه، غاضباً، والأنكى من ذلك أن يكون أحدهما ضارباً للآخر، وهو ما يترتب عليه معصية كبرى.

أما البعض من الذين يعتبرون أنفسهم مقدّسين، فتراه لا يرفع يده على زوجته، ولا يسمعها بذيء الكلام ولكنه يجلس كالصخرة الصماء لا يتكلم ولا يرفع رأسه من كتابه أو ما في يديه، ـ وعلى حد قول العامة ـ، كالجالس على برجٍ من سمّ الأفاعي، وهذا أشدّ وجعاً من ذلك الذي يضرب ويشتم.

وقد تكون المرأة على هذه الشاكلة مما يضطر الرجل إلى التزوج ثانية للخلاص من تلك الحالة التي تنتهجها زوجته الغاضبة والساكتة.

أيها السيد! إذا كنت تظن أن زوجتك نجيبة وشريفة وسوف تتحمل سحنات وجهك الغاضبة إلى مدة طويلة فأنت مخطيء، لأن المرأة وحينما تشعر بحرمان عاطفي تكون في خطر، وإذا كانت ابنتك محرومة من العطف

والحنـان فاعلم أنهـا هي الأخرى في خـطر، لذا يجب علينـا جميعـاً أن نهتم بهذه المسألة في المنزل، لأننـا إذا أردنا تجسيـد المحبة فستكـون على شكل سيدة، ولو أردنا تجسيد العاطفة لكانت امرأة.

إن المـرأة التي تجردت عن العـواطف والمشاعـر والأحاسيس لا يمكن اعتبارها زوجة، أو سيدة منزل، كونها لا تعطي الدفء ولا الحنان لأهـل ذلك المنـزل، فهي لا تحتـرم زوجهـا، ولا تعـطف على أبنـائهـا ولا تفهم معنى الانسجام العاطفي فَلِمَ نـطلق عليها لقب سيـدة المنزل، إنهـا عدّوة المنـزل، هـذا المنزل الـذي يجب أن يُديم حيـاته، ويـديم حبّـه وودّه لكي يبقى ينعم بالدفء والحرارة من خلال الودّ والعاطفة والألفة والانسجام.

* * *

الفصل السابع ٢

٤ ـ الحاجة المعنوية

٤ ـ الحاجة المعنوية

مثلما يحتاج الإنسان إلى إرضاء جسمه، فهو يحتاج أيضاً إلى إرضاء روحه، وإن الفرق بين الإنسان والحيوان يكمن في هذه النقطة الحساسة، كون الحيوان لا يمتلك إلا بُعداً واحداً، وهو البعد الغريزي.

إن للحيوان حاجات مادية فقط، وإذا ذهبنا أبعد من ذلك، نرى له احتياجات عاطفية، أما الإنسان فهو غير ذلك كونه يمتلك بعدين الأول مادي مقرون بالرغبات، والثاني روحي مقرون بالمعنويات، وهذا البعد الثاني يستقي من نبع الملكوت، حيث شرف الله تعالى الإنسان بهذه الروح التي هي جزء من روحه جلّت صفاته:

﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر/ ٢٩).

لذا ينبغي القول بأن الإنسان يمتاز عن الحيوان ببعديه اللذين يحتاجان إلى غذائين، غذاء جسمي من مثل الأكل، وإطفاء الغريزة الجنسية، وغذاء روحي إذا ما تُرك ولم يُهتم به أصبح الإنسان مثل الحيوان بل قد يكون أسفل مرتبةً:

﴿ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضلّ، أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف/ ١٧٩).

فإذا لم يصل الإنسان إلى غذائه الروحي مما يبعث على موتها، فمن الأفضل له أن يبكي على نفسه ليلاً نهاراً، لأن الباري تعالت أسماؤه قال في آية أخرى:

﴿إن شرّ الدواب عند الله الصُمّ البُكمُ الذين لا يعقلون﴾ (الأنفال/٢٢).

فالفاقد للروح، كمريض الجسد الذي يشعر بعدم الارتياح وعلى حد قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«نعمتان مكفورتانِ الأمن والعافية»(٨٨).

وحقاً ما قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إنهما نعمتان عظيمتان فالمريض جسمياً لا يقوى على فعل شيء، ولكن الإنسان في بعض أحيانه يكون سليم الجسد مريض الروح، وإذا ما مرضت الروح أضحى وضعه خطيراً، وخطيراً جداً، لأن ذلك يؤدي إلى الوقوف في مقابل القرآن المجيد، والوقوف في مقابل الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار، وحينها يتأتى له تأويل الآيات القرآنية وفق ما ينسجم وروحه المريضة:

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنةِ وابتغاء تأويله﴾ (آل عمران/٧).

إن مرض الروح ليس كمرض الجسد كون مريض الروح يبارز ما جاء في كتاب الله تعالى بالرغم من أنه (أي القرآن المجيد) شفاء ورحمة للمؤمنين، ولكنه في الوقت ذاته يزيد الظالمين خساراً:

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ (الإسراء/٨٢).

إن شفائي ورحمتي لا تشمل الظالم، وليس له عندي إلا الخسران، وإن البطيخ والبرتقال غذاءٌ جيد، ولكن الذي في معدته قرحة، لا يتأتى له استطعامه.

فالمريض روحياً يمكن لنا أن نشبهه بذلك المريض ذي القرحة والذي لا يمكن أن يطعم من البرتقال والليمون شيئاً لذا يكون المريض روحياً خَطير

---

(٩٨) بحار الأنوار/ ج ٨١، ص ١٧٠.

الوضع، مثلما يكون الخطر محدقاً بالـذي تنزف معـدته دمـاً ويريـد استطعـام المخللات أو الحمضيات.

إن الذي تموت روحه أو تمرض لا يقصـر الخطر عليه فقط، بل يتعـداه إلى جميع أفراد مجتمعه، ابتداءً من الأقربين مِنْ مثل ابنه وابنته وزوجتـه و. . و. . ، لذا ينبغي لنا أن نهتم كثيـراً بالمسـائل المعنـوية في المنـزل، فالـرجل يراقب حالة زوجته المعنوية، والمرأة تفعل ذلك أيضاً، والاثنان يتابعـانها عنـد أولادهما، كي لا تتناقض الروح مع الجسد.

فنرى البعض ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ لا يولون أهمية تذكر لهذه المعـاني، بالـرغم من أنهم يهتمون كثيـراً بملبس ومـأكـل أبنـائهم، وعنـدهـا يضحى الابن كالكلب العقور، أو كالغدة السـرطانيـة التي يستشري داؤهـا هنا وهناك.

ما هو غذاء الروح؟

إنهـا الصـلاة والصيـام وقـراءة القـرآن المجيـد إنهـا الـدعـاء والتبتـل، والنهوض في قلب الليل لمناجاة رب العالمين.

فالمرأة التي لا تصلي، وإذا مـا صلّت نقرت كنقـر الغراب لا تـأمن أن ينزل على دارها، وعلى زوجها وأبناءها البلاء في الدنيا والآخرة:

﴿يـا أيهـا الـذين آمنـوا قُـوا أنفسكم وأهليكم نـاراً وقـودهـا النـاس والحجارة﴾ (التحريم/٦).

أيهـا السيد المؤمن! ابتعـد عن الصفات الـرذيلة، وقساوة القلب كي لا تصبح وقوداً للنـار الحاميـة من خلال التـزامك بـالصلاة والارتبـاط بالله العلي العظيم، ومن ثم تعليم أبنائك وزوجتك.

عليكم أن تكونوا من أهل القرآن المجيـد، من أهل الـدعاء، من أهـل الالتـزام بالفـرائض التي فرضهـا الباري تعـالى على عبـاده، من القـائمين في الليل للمناجـاة والتبتل لكي تسمـو أرواحكم إلى حيث الترفـع عن الموبقـات والإساءات والمعاصي.

فالرجل وامرأته إذا لم يبلغا حالة إقامة الصلاة على أوقاتها تتهاوى أرواحهم رويداً رويداً حتى تصل إلى عدم الاهتمام بهذا الغذاء الروحي، وعندها تموت الروح فيضحى الإنسان لا يَفْرُق كثيراً عن الحيوانات التي لا تمتلك إلا الغرائز، من مثل الأكل، والجنس، والعاطفة.

إن حساب الروح يختلف كثيراً عن الحسابات المادية، والعاطفية، والجنسية، ولهذا أرسل الباري جلّت صفاته «١٢٤» ألف نبيّ قسمٌ منهم يحمل رسائل سماوية ـ كتاب ـ وقسمٌ آخر يمتلك معجزة الهية إلى حيث الكمال، وهذا ما فعله الأوصياء من آل محمد (ص)،وأوصياء الأنبياء والرسل سلام الله تعالى عليهم أجمعين، وهذه المسألة مهمة جداً في حياة البشر.

وللتدليل على سموّ إنسانية الحسين بن علي عليهما السلام نقرأ في زيارته:

«أشهدُ أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرتَ بالمعروف، ونهيت عن المنكر».

كان الوقت ظهراً، وكان اليوم هو العاشر من شهر محرّم الحرام، وكان الإمام الحسين بن علي ينظر إلى أجساد أصحابه المجدّلين في العراء، وعلى تلك الحال جاءه أحد الصحابة ليقول له: يابن رسول الله كلّم القوم ليمهلونا ساعة حتى نصلِّ الظهر، فتبسم الإمام سلام الله عليه وقال: اللهم اجعلني مقيم الصلاة.

وقف الإمام الحسين «ع» للصلاة، ووقف خلفه أصحابه وآل بيته، ولكن القوم كانوا يرمونهم بالسهام والنبال التي كانت كالمطر في عزّ الشتاء.

إن المنزل الذي يخلو من الصلاة ـ لا سمح الله ـ مملوءٌ بالميكروب، مملوءٌ بالقسوة والوحشية حتى لو كان جميل المظهر، وحتى لو كان من في ذلك المنزل جميلي المنظر والشكل والملبس، هؤلاء لا يمكن أن يخلفهم خلفٌ صالح، كلا إن خلفهم سيكون مثلهم وحشي الروح مريضاً بالرغم من ظاهره السليم:

﴿فخلفَ مِنْ بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة، واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ (مريم/٥٩).

والغيّ هنا في هذه الآية هو الضياع، و «سوف» تعني التحقق الحتمي لذلك الغيّ، ويقال إنه توجد في جهنم بئر تمدّ جهنم بالنار إذا خبَت؛ اسمها «الغيّ».

فالبنت التي تصلّي ولكن آخر الوقت، وعلى عجلةٍ من أمرها، قد تنفلت من صلاتها بعد مدة، وتضيع مع من ضاعوا، وتهلك، إلا إذا شجّعها الأبوان على الالتزام في وقتها، عند ذاك ستشملها رعاية الباري تعالى، وليعلم الجميع بأن الباري جلّت أسماؤه لو رفع عنايته من على رؤوسنا لحظةً واحدة، لكنّا في ضياع عجيب، وضلال ما بعده ضلال.

في رواية نقلها الفخر الرازي في تفسير سورة «العصر» جاء فيها.

إن إحدى النساء ـ على ما يبدو ـ رفع الله عنها رحمته فجاءت إلى رسول الله(ص)فقالت: يا رسول الله، ما العمل وقد توغّلت في المعاصي، هل لي من توبة؟.

إنني محصنة، وقد زنيت وحملت، وأنجبت من حرام، وخوفاً من أن يعلم زوجي بذلك، ألقيت بالغلام في خُمرة الخل فمات من ساعته، ثم بِعْتُ ذلك الخل النجس إلى الناس!!

فأجابها صلوات الله وسلامه عليه بأنها تركت صلاة العصر في أحد الأيام، وعندها مالت بوجهها عنه، مال بوجهه عنها فحدث لها ما حدث.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويل وادٍ في جهنم كما قال الله تعالى: ﴿ويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾»[٨٩].

---

(٩٩) بحار الأنوار/ ج ٨٢، ص ٢٠٢.

«عن مسعدة بن صدقة قال: سئل أبو عبدالله الصادق جعفر بن محمد «ع» ما بال الزاني لا تسمّيه كافراً، وتارك الصلاة تسمّيه كافراً، وما الحجّة في ذلك؟ قال: لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة، ولأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلا استخفافاً بها»(٩٠).

أيها الفتيان! أيتها الفتيات! إذا أردتم أن تكونوا سعداء في الدنيا والآخرة اهتمّوا بصلاتكم، وكونوا مؤدبين في أدائها أمام الجبار المتكبر كيلا تمرض قلوبكم: **«في قلوبهم مرض»** أو **«زيغ»** أو **«رين»** وكلها تعطي نفس المعنى.

وفي الحقيقة إن القلوب المريضة هي تلك القلوب الصادئة التي ترى الصلاة ثقيلة، ولا تشعر بلذّة حينما تقف أمام الحيّ الذي لا يموت، وليعلم الذي يشعر بلذّة حينما ينظر إلى ما حرّم الله تعالى بأنه مريض روحياً، وينبغي أن يُعالج، وإذا لم يفعل ذلك واسودّ قلبه فلايفلح بعدها أبداً.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»(٩١).

وقال عزّ من قائل في محكم كتابه المجيد:

﴿أفمن شرحَ الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربّه، فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ (الزمر/٢٢).

قال الإمام الهمام الباقر محمد بن علي عليه السلام:

«ما من عبدٍ إلاّ في قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتةِ نكتةٌ سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يُغطّي البياض، فإذا غُطّي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم﴾ . .»(٩٢).

---

(١٠٠) الكافي/ ج ٢، ص ٣٨٦.

(١٠١) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ٣٢٧.

(١٠٢) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ٣٥٤.

هل تعلم أن المنزل الذي لا يسمع فيه غير أصوات الأغاني والموسيقى إلى أين سيصل؟ وهل تعلم أن الاغتياب الذي يمارسه الرجل وامرأته علاوة على التهمة وإشاعة الفساد يجعل منهما ظالمين، ويجعل من منزلهما مقراً للشياطين والمردة من الجن؟.

والأهم من ذلك كله أن المعصية بشكل عام، تطبع على الإنسان صفات رذيلة تبقى ملاصقة له حتى في دخوله القبر، وجهنم الحامية، وأنها تضر بالقلب بسرعة، وتؤثر فيه سلباً بشكل عجيب، بحيث تمنع صاحب القلب ذاك من التزام الأعمال الخيّرة.

قال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

«إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»(٩٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فيُنسى به العلم الذي كان قد علمه»(٩٤).

إن الصفات الرذيلة لا يمكن قلع جذورها بسهولة، وإنها لتحتاج إلى فترة زمنية طويلة كيما ينتهي منها المبتلي بها، فإذا ما تمكن منها فسوف يستطيع زرع شجرة الفضيلة، والجدير بالذكر بأنه لا يوجد منا من هو خالٍ من صفاتٍ رذيلة، وعليه يجب أن نسعى بجدّ وبسرعة لقلع جذور هذه الصفات التي لا تؤدي بنا إلاّ إلى الخسران العظيم ـ لا سمح الله تعالى ـ.

إن الصفات الرذيلة تشبه إلى حدّ ما قبساً من نار جهنم، فإذا سارعنا إلى إطفائها، بلغنا النجاة إلى ساحل الصفات الحميدة، وإن لم ننجح في ذلك تفاقمت تلك النار وأصبح إطفاؤها صعباً مستصعباً، بل قد يضحى مستحيلاً.

---

(١٠٣) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ٣٣٠.
(١٠٤) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ٣٧٧.

أيتها السيدة الجليلة! أيها السيد المسلم! هل تريدان أن تكونان من عباد المال، أو من طلاب الرئاسة، هل تريدان إقامة حرب جملٍ ثانية وأنتما تعرفان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من هو علي؟ إن طلحة والزبير يعرفانه أحسن منا جميعاً، ولكنهما بالرغم من نزول أكثر من ١٠٠ آية في حقه وقفا ضده في حرب الجمل، وهما يعرفان جيداً بأن الرسول الأكرم قال فيه الكثير الكثير؛ إنما كانا من طلّاب الجاه والمال والرئاسة مما جرّا على المسلمين المصائب والبلايا.

وإذا أردنا أن نسأل عن الشخص الذي أشعل فتيل واقعة الجمل، فسيأتينا الجواب بأنه: الحسد، حب المال، طلب الرئاسة.

إن ابن ملجم ـ عليه اللعنة ـ حينما ضرب عليّ عليه السلام بسيف مسموم لم يكن يظن بأنه يفعل ذلك إلا قربة إلى الله تعالى!! ولو سئل سائل عمن قتل أمير المؤمنين «ع» لجاءه الجواب: إنه العناد المتمثل بشخصية ابن ملجم الملعون، وإلاّ فإن أمير المؤمنين عليّ «ع» لم يكن شخصاً غير معروفٍ، ولم يكن خافياً على ابن ملجم الذي سمع رسول الله (ص) يقول بحقّه:

«عليّ سيد المؤمنين، عليّ عمود الدين»[٩٥]:

«إن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»[٩٦].

«من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر»[٩٧].

أيتها السيدة! لا تكوني من المعاندين، وإلاّ أصبحت من الخاسرين، وكذا أنت أيها السيد لا تكن معانداً فتخسر دنياك وآخرتك، عليكما بالتنكر للهوى والرغبات، عليكما أن تقبلا النصيحة والوعظ، ولا تنقادا لإلقاءات الشياطين، لأن الشياطين لا تريد خيركما بالمرة، بل تريد أنيساً لها في نار جهنم الحامية.

---

(١٠٥) تفسير نور الثقلين/ ج ٥، ص ٦٠٥

(١٠٦) تاريخ دمشق لابن عساكر/ ج ٢، ص ٤٠٨.

(١٠٧) تاريخ دمشق لابن عساكر/ ج ٢، ص ٤٤٤.

وفي الختام أود الفات أفكار السيدات والسادة إلى مسألة مهمة وخطيرة ألا وهي مراقبة الحاجات المعنوية، فلا يطعمن أحدكم أبناءه ـ والعياذ بالله ـ طعاماً حراماً، لأن ذلك سيؤدي بالأولاد إلى الاستخفاف بالصلاة وانهيار المعاني الروحية لهم، وبذلك موت المحبة مع موت أرواحهم ليضحى المنزل، زنزانة مظلمة، موحشة بلحاظ القضايا النفسية والروحية:

﴿أو كظلمات في بحرٍ لُجّيّ يغشاه موجٌ من فوقه موج، من فوقه سحابٌ ظُلماتٌ بعضها فوق بعض﴾ (النور/٤٠).

* * *

الفصل الثامن

تطفّل الآباء والأمهات

تطفّل الأبوين

يبحث هذا الفصل في تـدخّل أو تـطفّل الأبـوين في حياة الأبنـاء، وهو بحث مهم جداً، لذا أطلب من الآباء أن يمعنوا النظر فيه جيداً.

إن الكثيـر من المشاكـل التي يمكن أن تحدث في المؤسسـة العـائليـة ترجع في أساسها إلى تطفّل الأبـوين في الحياة الخـاصة لأبنـائهم، وحتى أن الكثيـر من الانفصالات وحـالات الطلاق يمكن إرجـاعها إلى هـذا التطفّـل أو ذلك التدخل، في الوقت الذي لا ينبغي أن يتمّ ذلك.

إن هذا المرض الاجتماعي «تطفّل الأبوين» لاقى ـ مع الأسف ـ شيوعـاً كبيـراً بين الكثير من العـوائل في مجتمعنـا المُعاش، فلم يفـرّق بين المتـديّن وغيـره، وبين المتعلم وغير المتعلّم، حيث نـرى الغالبيـة العظمى ـ علمت أم لم تعلم ـ توجّه ضربة قاصمة لحياة أبنائها المتزوجين من خـلال هذا التـدخل الممقوت.

إن الحيـوانات تـرضع صغـارها وتهتمّ بهـا ما دامت تحتـاج إلى ذلـك، ولكنها تترك لها الشروع بحياة مستقلّة حينما تراها لا تحتاج إلى عناية خاصة، حتى إن بعض الطيور لتهيء الحبوب لصغارها أيامـاً عديـدة أو بضعة شهـور، وعندما تشعر بأن تلك الصغار تستطيع الطيران ـ ولو بصورة غير جيّـدة ـ تمتنع عن قبولها في أعشاشها.

كلكم شاهدتم العلاقة بين النِعـاج وصغارهـا، وكلكم لاحظتم العـلاقة الخاصة التي تبديها الشاة لصغيرها حيث تمتنع عن الابتعاد كثيراً عن صغيـرها مخافة بروز حالة من الغربة بينها وبينه، وهذه الحقيقة موجودة في جميع أنواع الحيوانات.

ومن هنا يمكن أن نستفيد بأنه يجب علينا أن نحسن تربية البنت حتى تكبر وتنضج، ولا نحرمها من العطف والحنان المادي والمعنوي وفق ما جاء به الإسلام العظيم، إلى أن تذهب إلى بيت الزوجية لتمارس حياة مستقلة، وعندئذٍ لا ينبغي للأم أو الأب بعد ذلك أن يتدخّلا في أمورها الخاصة مبرزين ذلك بأنهما يحبّاها ويخافان عليها من الحيف والغبن.

فإذا ما حدث نزاع بين المرأة وزوجها يجب أن تأخذ أم الزوجة جانب الصهر لا جانب ابنتها، ولو كان صهرها المقصّر، وكذا بالنسبة لوالد الزوجة.

إن أحد أضرار مجانبة البنت أو الوقوف إلى جانبها من قبل أبويها هو منعها من اتخاذ قرار مستقل في كيفية ديمومة حياتها الزوجية، وإن تحريض البنت على مسائل يمكن أن تؤدي بحياتها الزوجية إلى ما لا تحمد عقباه جناية، وخيانة بحق تلك الأسرة، لأن الاحتمال وارد في أن يؤدي ذلك التحريض إلى الانفصال بين الزوجين، وإذا لم يبلغ الأمر ذلك الحد، فمن المؤكد أن المحبة والود والاحترام ستتبخّر من الجو العائلي للمتزوجين، وسيضحى البيت متأزماً ومتشنجاً بشكل عام.

وكذا الأمر بالنسبة للغلام، فإذا ما بلغ سن الزواج وجب على أبويه تزويجه، فإذا ما حدث ذلك فينبغي لهما أن يمتنعا عن التدخل في حياته الخاصة، ولا نقول بعدم إسداء النصح والوعظ طبق ما جاء في شرعة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله؛ كلا؛ فهذه المسألة واجبة، ولكن التدخل والتطفل الذي يؤدي إلى برود العلاقات الأسرية مرفوض وممقوت، ويجب علينا جميعاً أن نقف عند هذا الأمر بكل جدية كي لا يحدث ما يبعث على تشرذم المجتمع الصغير أو المؤسسة الأسرية.

فإذا ما رأى الأبوان حدوث نزاع بين الزوجين، يتطلّب تدخلهما لحلّه وفق الأسس الإسلامية، عرضا خدماتهما عليهما بدون الانحياز إلى أحد الطرفين، فإن لم يستطيعا حل ذلك النزاع عُرضت المشكلة على مختار المحلّة أو عالمها المعروف بتقواه.

قد نرى في بعض الأحيان أن إحدى الأمهات تطلب من ابنها المتزوج أن يمتثل لما تقول في حق زوجته، ولو أدّى ذلك إلى طلاق الزوجة، وهذا خطأ فاحش يلفظه الإسلام العظيم، ويحاسب عليه بشدة، وقد نرى أحد الآباء يرغب في أن يكون ابنه عبداً تابعاً له وعليه أن يستشيره حتى في أقل أموره المنزلية، مما يؤدي إلى أن تحتقر الزوجة زوجها الذي لا يفكر إلا من خلال رأس أبيه، وحينها تبرز النزاعات، وتطفو الخلافات على السطح ويبدأ أطراف النزاع بممارسة الغيبة والنميمة والتهمة:

«إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذابُ الحريق»البروج/١٠).

أيتها السيدة! إن القرآن يقول لك: إياك إياك أن تفتني ابنتك، وأعني هنا بالفتنة: بلبلة أفكارها، والمساهمة في إيجاد حالة من القلق والاضطراب تؤدي بها إلى تخريب بيتها، وهي ما وصفها القرآن بأنها أشدّ من القتل:

﴿والفتنةِ أشدّ من القتل﴾ (البقرة/١٩١).

ومن فعل ذلك يكون قد قتل الناس جميعاً:

﴿من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ (المائدة/٣٢).

فمن ساهم في إيجاد فتنة بين زوجين عُدّت معصيته أشدّ من معصية الذي يقتل نفساً بغير نفس:

﴿وما يعلّمان من أحدٍ حتى يقولا إنّما نحن فتنةٌ فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون بين المرءِ وزوجه..﴾ (البقرة/١٠٢).

جاء في الخبر أن أحد المسنّين ـ كان قد فرق بين ابن له وزوجته ـ حضر في مجلسٍ كان فيه الإمام الحسين «ع»، فاعترف بما فعل فقال الإمام له: هل تعلم ما سيترتب على ذلك من ذنوب؟ لو إنك فصدت أوردة أعناقهما لكان أقل معصية مما فعلت.

فإنّ تكدير العلاقة بين زوجين مستأنسين ببعضهما أشدّ معصية عند الله

مما لو عُذِّبا حتى الموت، وهذا ما تفعله بعض الأمهات أو بعض الآباء وهم لا يشعرون.

فالزوجة عندما تسقط من عين زوجها بسبب النميمة، أو التهمة التي يمكن أن تحيكها أم الزوج تبعث على انحطاط معنويات الأبناء وتعقيدهم إلى آخر أعمارهم، وستكون تلك الأم مبتلية بتلك المصيبة بالإضافة إلى مصيبة جهنم التي لا بدّ لها من تحمّلها بالإكراه في تلك الحياة الآخرة.

إن التجريح اللساني، أو الانتقاص من زوجة ابنك سيؤدي بك إلى تهيئة عقربٍ يلسعك في قبرك ما دمت فيه، وسيكون رفيقاً لك حتى قيام الساعة، فلِمَ تقحمين نفسك في مثل هذه المآزق التي لا يمكن الخروج منها؟ ولِمَ ترتبين لنفسك أوضاعاً لا تنمّ إلاّ عن حماقة في الرأي؟.

وأنت أيها الأب! لا تحاول إيذاء زوج ابنتك من خلال تجريحك له، أو إكراهه على شراء بعض المستلزمات المنزلية، ولا تسعى للانتقاص منه أمام الآخرين، فإن فعلت ذلك فقد خلقت لابنتك مشاكل ومشاكل عظاماً قد تؤدي بصهرك إلى تطليق ابنتك تلك التي تدّعي بأنك تحبّها وترجو لها السعادة.

أيها الزوج! إن من العار عليك معاداة أمّ زوجتك بلا سبب بيِّن، فهي كأمك، فعاملها على مستوى ما لديها من عقل، وإن كنت فطناً ذكياً كسبتها إلى جانبك في جميع الأمور وبذلك تفوز برضاها ورضا الله جلّت أسماؤه.

ليس من العار أن تكون إحدى الزوجات كالابنة بالنسبة لأم زوجها تُبدي لها المحبة والود، وتترفق لها في الحديث، لأن تلك الأم تعبت وسهرت الليالي من أجل إيصال ابنها إلى هذا الحد من العمر، ومن العار أن تحاول الزوجة تجريح أم زوجها، وإلقاء بعض العبارات النابية لأن ذلك سيؤدي بها قبل تلك الأم إلى ما لا تحمد عقباه في الدنيا والآخرة.

جاء في بعض الأمثال بأن جملاً ـ وحينما كان الجو بارداً ـ طلب من بعض الدجاج أن يُدخل رأسه في بيتهن احتماءً من البرد، وبعد أن وافقن على ذلك، أدخل كلّ جسمه ليخرب بيت الدجاج، وبذلك لم يهنأ هو بالدفء ولا الدجاج.

وإن البعض من العرائس على مثل ذلك الجمل، فبعدما تدخل الدار وتطمئن إلى زوجها، تريد التسلّط على كل شيء في تلك الدار، فهي لا تريد أمّه ولا أباه وهذا ما يتناقض مع الإنسانية، بالإضافة إلى أن فيه معصية لله تبارك وتعالى.

وبناء على ذلك، لا بد لي من أن أوصي الأزواج والزوجات والأمهات بضرورة إفشاء المحبّة والألفة بين الأسرة الواحدة، لأن مكان تلك الأسرة هو محل رحمة الله العزيز المتعال، وأن الجميع سيجلسون سوية في جنات الله فيطري بعضهم على البعض الآخر في جوٍّ تسوده رحمة الباري ولطفه.

أما أولئك الذين يتحين الواحد منهم الفرص بصاحبه، فليس لهم من الآخرة إلا أن يلعن بعضهم البعض، ويلقى الواحد منهم باللائمة على البقية لذا قال المولى تعالى فيهم:

﴿كُلَّما دخلت أمةٌ لعنت أختَها﴾ (الأعراف/٣٨).

وعليه لِمَ ترغبون في دخول جهنم؟ وإذا قلتم بأنكم لا ترغبون بذلك، فما هو الوازع الذي يحدوكم لفعل تلك الأفعال المشينة التي لا تؤدي بكم إلاَّ لجهنم؟.

إذا كنتم ترغبون في سعادة الدارين فما عليكم إلا أن تكونوا أحراراً في دنياكم مستقلين، وكذا ينبغي أن يكون أبناؤكم، فالزوجة الوفية لا تتمكن أمها من تدمير حياتها الزوجية، والرجل الوفي لا يستطيع أبواه من إيجاد الفرقة بينه وبين زوجته؛ وإن العقلاء لا يتأثرون بما يقول هذا وذاك، بل يعملون وفق ما جاء في كتاب الله وسنّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وإلاَّ فإنهم الخاسرون ولا أحد سواهم.

لو تحرّينا مجمل النزاعات التي تحدث بين الأزواج لشاهدنا آثار أصابع الآباء والأمهات واضحة على صفحات تلك النزاعات، فهذا ينحاز إلى ابنته، وتلك تنحاز إلى ولدها في مشكلة لا تحتاج إلى نزاع ولا إلى خصومة، وبدل أن يحل الآباء والأمهات مشكلات أبنائهم ترى البعض منهم يزيدون النار حطباً، وهذا عين الخطأ.

إن أحد الأعمال القبيحة الشائعة هذه الأيام هو ترك الزوجة لدارها في حالة حدوث سوء تفاهم بينها وبين زوجها.

ممن غضبتِ أيتها السيدة المحترمة؟ من زوجك؟ إن الزوجة لا تغضب من زوجها، ولا تترك منزلها لأتفه المسائل، وإذا كنت تريدين الذهاب إلى منزل أمّك، فهذا عارٌ عليكِ، وإذا كانت أمك إنسانة متدينة وملتزمة فما عليها إلا أن ترفضك، أو تنصحك بالرجوع إلى بيتك الذي هو بيت زوجك، ولو فعلت غير ذلك لكانت بفعلتها ذلك قد قلعت جذور المحبة من تلك الدار.

يرجع الرجل في بعض الأوقات متعباً بعد جهد جهيد إلى منزله الذي عدّه القرآن المجيد مكاناً للراحة والهدوء، ولكنه بدل أن يحظى بقسطٍ من الراحة تشرع زوجته قبل تهيئة طعامه باغتياب أُمه التي مرّت عليها في الصباح لعمل ما، وإذا ما رأى أمه لوحدها في المنزل، تبدأ هي الأخرى باغتياب زوجته، وإنها غير ملائمة له، ولا تناسبه بالمرة، وما أشبه ذلك من الكلام الذي ينمّ عن انحطاط وتسافل في المستوى الفكري والثقافي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام»(٩٨).

ولا يظن أحدكم أن جزاء الزنا شيء يسير، إذا ذهب صاحبه من الدنيا بدون توبة: لقد قال رسول الله فيه:

«من فجر بامرأة ولها بعل، انفجر من فرجها من صديد واد مسيرة خمسمأة عام يتأذى أهل النار من نتن ريحهما، وكانا أشد الناس عذاباً»(٩٩).

أما بالنسبة للغيبة والتهمة، وإسقاط فرد مؤمن من أعين الناس فهو أكبر معصية من الربا الذي يعد درهماً منه بسبعين زنية بذات محرم، فتصوّر جزاء الغيبة والتهمة.

---

(١٠٨) تفسير علي بن إبراهيم / ج ٧٧، ص ٥٨، مكارم الأخلاق/ ص ١١٩.

(١٠٩) بحار الأنوار/ ج ٦، ص ٣٦٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الغيبة أسرعُ في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفهِ»[١٠٠].

وعن جابر الأنصاري أنه قال: كنا عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فهبّت ريح منتنة فقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»[١٠١].

إن بعض النساء الوضيعات لا يكتفين بالغيبة والنميمة والتهمة فحسب بل يتعدين تلك الحدود إلى مسائل أخرى فترى إحداهن تبحث في حقيبة زوجة ابنها حينما تكون غائبة عن الدار، وهذا ما يدلل على وضاعة وصفاقة هكذا نساء، كونها لا تستطيع فعل ذلك أمامها، وتفعله في غيابها، وهذا ليس من الإنسانية في شيء، وليس من الأخلاق في شيء.

المسألة الأخرى هي التجسس، فقد يكون أحد الأزواج ممارساً لعملية التجسس على زوجته، وهذا ما ينمّ على ضعف في شخصيته، ودليلاً على عدم الوثوق بها، فتراه يبحث تارة في حقيبة يدها، وأخرى في جيوب ثوبها وهذا عمل قبيح، وغير مقبول أخلاقياً ولا إنسانياً، ولا عرفياً.

وقد تفعل ذلك المرأة نفسها مع زوجها، فتحاول أن تتبعه إلى أول الحارة لترى كيف يتعامل أو يتصرف مع الآخرين، وعندما يأتي إلى الدار تفتش جيوبه بدقّة، وقد تساعدها أمها في ذلك العمل المشين ظناً منها أنها تحب ابنتها، لذلك تعمل على مراقبة زوجها علّها تعثر على شيء يمكن أن تخلق من خلاله نزاعاً قد يجرّ إلى الطلاق، والانفصال، وبعثرة المؤسسة الأسرية.

وفي الختام أقول أيها الآباء! أيتها الأمهات! اتقوا الله الذي هو بين ظهرانيكم، وفكّروا في أمر آخرتكم، ولا تثيروا النزاعات هنا وهناك بسبب ما تمتلكون من فراغ أو أمراض نفسية، أو نفسيات عدوانية.

---

(١٠٠) أصول الكافي/ ج ٤، ص ٥٩.

(١٠١) الحلال والحرام في الإسلام/ ص ٤٧٧.

الفصل التاسع

طاعة الزوجة لزوجها
البيت والالتزام بالقانون

طاعة الزوجة لزوجها

يبحث هذا الفصل في مسألة الطاعة في البيت، وإن طاعة الزوجة لزوجها أمر طبيعي، وإذا لم تلتزم بذلك، تكون قد عملت شيئاً مخالفاً للأمر الطبيعي.

إنكم تعلمون جيداً بأن كلّ مكان يلزمه رئيس، ولو اتفق أن تكون إحدى دوائر الدولة خالية من رئيس، ستكون الأمور مضطربة وقلقة في تلك الدائرة، حتى لو كان من فيها لا يتجاوزون السبع أو الثمان أشخاص.

ومثل البيت كمثل إحدى دوائر الدولة الرسمية، أو على حد قول علماء النفس بأن مثل البيت كالدولة الصغيرة، وهذه الدولة لا بُدّ لها من رئيس، وإن الطبيعة تقول، وكذا فطرة المرأة: بأن الرجل يجب أن يكون رئيساً لهذه الدولة الصغيرة أو المؤسسة الأسرية، وخاصة حينما يكون هو الذي يؤمّن نفقة زوجته ونفقات البيت بشكل عام:

﴿الرجال قوامون على النساءِ بما فضَّل الله بعضَهُم على بعضٍ، وبما أنفقوا من أموالهم﴾ (النساء/ ٣٤).

فرئاسة البيت يجب أن تكون بيد الرجل، كونه يعدّ وجوداً تعقّليًّا، لذا تكون هذه الآية المباركة مطابقة للطبيعة والفطرة، وعليه ينبغي لأهل البيت أن يلتزموا بالسمع والطاعة له، فالمرأة تطيع زوجها، والفتى يسمع لقول الأبوين وكذا الفتاة، وإذا خرجوا على تلك الطاعة لم يستطع الزوج أو الأب إدارة البيت بالشكل الطبيعي، وعندها تبرز النزاعات والخلافات مما يبعث على المصائب والبلايا.

أما الحق الثاني للزوج فهو المباشرة، وبصدد هذه المسألة يجب أن تكون الزوجة مطيعة ١٠٠٪، وإلاّ عُدّت ناشزاً، والناشز لا حقّ لها في مسكن ولا ملبس ولا مطعم.

إن القرآن الكريم أكّد على هذه القضية بشدّة، وإن الروايات الواردة عن الرسول الأكرم (ص) وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم تعرضت كثيراً لحقوق الزوج على زوجه، وحسبتها أعظم مرتبةً من حقوق الزوجة على زوجها، فمنها ما جاء في صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر محمد بن عليّ «ع» أنه قال:

«جاءت امرأة إلى النبيّ (ص) فقالت: يا رسول الله! ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته، إلا بإذنه، ولا تصوم طوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب، وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، قالت: يا رسول الله! من أعظم الناس حقًّا على الرجل؟ قال: والده، قالت: فمن أعظم الناس حقًّا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فما لي عليه من الحقّ مثل ما له عليّ؟ قال: لا، ولا من كل مئةٍ واحدة»(١٠٢).

وخلاصة الأمر، فإن الواجب على الزوجة أن تطيع زوجها في كلّ أمرٍ راجع إلى الاستمتاع الجنسي في حياتهما المشتركة.

وأما ما كان خارجاً عن نطاق التمتع مما كان راجعاً إلى شخص الزوجة فجعل الإسلام حق الزوج على الزوجة في خدمتها له مستحباً، وأراد الإسلام أن يحرّك الزوجة نحو الزوج للتجاوب معه، حفظاً على حبل المودة والألفة. فحسَّسَها بعظمةِ الزوج باعتباره أقوى الموجودين وأفضلهما، ولذا جُعلت القيمومة وهي «القيادة إلى أفضل السبل في الحياة» بيد الزوج.

---

(١٠٢) وسائل الشيعة/ ج ١٤، الباب ٨٨ و٩٠ من أبواب مقدمات النكاح.

وهذه القيمومة هي التي جعلت حقّ الزوج على زوجته أكثر من حقها عليه، فقد قال تعالى:

﴿ولهن مثل الذي عليهنَّ بالمعروف، وللرجال عليهنّ درجة﴾ (البقرة/٢٢٨).

وهذا التعبير يشير إلى أن حقوق الزوجة الواجبة والمستحبة على الزوج تعادل حقوق الزوج الواجبة والمستحبة على الزوجة، إلا أن الرجال يفوقون النساء درجة، وهذه الدرجة هي: القيمومة التي جعلت للزوج في قيادة المرأة إلى أفضل السبل في الحياة، ويكفي أن تكون هذه القيمومة سبب زيادة حق الرجل على المرأة باعتباره مُحسِناً عليها أكثر مما لهامن الإحسان عليه لوقامت بكل المستحبات نحوه، وذلك لأنه هو أيضاً يقوم بالمستحبات التي له تجاه زوجته.

إن البعض من الرجال يتبجّح بمقولة أمير المؤمنين عليّ «ع»، ويعتبرها ذمّ للنساء، بالرغم من أنها تعني أهمية مشاورة الزوجة ـ وخصوصاً المجرّبة بالكمال ـ ليبقى التصميم للرجل، وهذه المقولة هي:

«شاوروهن وخالفوهن»[١٠٣].

إن عبارة أمير المؤمنين عليّ «ع» لا تتناقض بالمرة مع ما موجود في القرآن المجيد، ولا تتناقض أيضاً مع أحاديث الرسول(ص)التي وردتنا بحق المرأة.

قال العلّي العظيم في محكم كتابه المجيد:

﴿فبما رحمةٍ من الله لِنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك، فاعفُ عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمتَ فتوكّل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران/١٥٩).

أيها النبيّ! إنك برحمةٍ من الله تلين للمؤمنين والخيّرين من حولك، ولو كنت جافياً قاسي القلب لتفرّقوا عنك، فاعف عنهم فيما يختص بك،

---

(١٠٣) شرح نهج البلاغة أبي الحديد/ ج١٦، ص١٢٢.

واستغفر لهم فيما لله، وشاورهم في الأمر، أمر الحرب ونحوه مما لم يوح لك (تطييباً لنفوسهم، وتأسيساً لسنة المشاورة للأمة)، فإذا عـزمت على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاءه.

وبناء على ما تقدم، تكون المشاورة للنساء تطييباً لنفـوسهن، والتصميم القطعي بيد الرجل، فإن رأى الرجل من زوجته رأياً سديـداً، موافقـاً لما جـاء في الكتاب الحكيم وسنّة المعصوم أخذ به وعمل، وإن لم يكن كذلك امتنـع عن الأخذ به.

ولم تقتصـر الاستشارة على الـزوجة فقط، بـل تعدّت ذلـك إلى الـولـد حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الصدد:

«الولد سيِّدٌ سَبْعَ سِنين، وعَبْدٌ سَبْعَ سِنين، ووزيرٌ سبع سنين»(١٠٤).

إن هذا الحديث الشـريف يؤكد لنـا من خلال عبـارة «وزير»، أن الـولد يستشار مثلما يستشيـر الملك وزيرُه، مـع اختصاص الملك بمسـألة التنفيـذ، وعليـه فإن هـذه الاستشارة ليست بمسـألة اعتبـاطيـة إنمـا هي تـطيـيب لنفس الولد، لذا يجب أن يتم التعامل مع الولد الذي بلغ الخامسـة عشرة من عمـره بشكل مدروس ودقيق، وبدون إكراه وجبر:

﴿وإذا قال لُقمانُ لابنهِ وهو يَعِظُهُ، يا بنيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيم﴾ (لقمان/١٣).

إن كلمـة «بنيّ» في هـذه الآيـة الشـريفـة تـدل على التلطّف والتـودد والترحّم، وهو ما ينبغي لنا أيضاً أن نستخدمه في مجمل أحـاديثنا مـع أبنائنـا، فلا بأس من استخـدام كلمة «عـزيزي» و«حبيبي» ومـا شابـه ذلك كي يشعـر الولد بالعطف والحنان الأبوي، بالإضافة إلى إحساسه بشخصيته التي يحترمها أبوه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١٠٤) وسائل الشيعة/ ج ١٥، ص ١٩٥، ح ٧.

«أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً فَفُوا لهم فإنهم لا يرون إلاَّ أنكم ترزقونهم».

إن البعض من الرجال الأشقياء لا يعرف ما هي الرحمة، وما هو العطف! إنه لا يسأل عن ابنه بالمرة، ولو تأتى له أن يراه كل يومين مرة واحدة لنهره وأهانه، إنه لا يتعامل إلا بقسوة مع أبنائه وزوجته، ولو سألنا أبناءه وزوجته عن عمله؟ لأجابوا بعدم معرفتهم لذلك!.

أيها الرجل! عليك أن تفهم بأن لك أولاداً وزوجة ينتظرون قدومك في المنزل باعتبارك رب الأسرة، وربّ الأسرة لا يكون مجنوناً في تصرفاته وتعامله مع من هم في منزله، فالمنزل لا تحركه إلا الأحاسيس، والمشاعر، والعواطف إذا كان ربّ المنزل يريد نجاتهم، ويريد سمّوهم وإلا فالتعامل بقسوة معهم لا يؤدي بالمنزل وأصحابه إلا إلى الهلكة والانحراف، لذا ينبغي للرجل أن لا يُكره أبناءه وزوجته على ما لا يطيقون، لأن ذلك خلاف الشرع والعرف والقانون.

إن للزوجة كل الحق في معرفة مصدر الطعام الذي تطعمه، وكذا بالنسبة للأولاد هذا إذا كان رب الأسرة يروم معيشةً هادئة بعيدة عن الضوضاء والصخب، وكم هي جميلة تلك اللحظات التي يجلس فيها ربّ الأسرة بعد استلام معاشه إلى زوجته وأولاده لحساب ما يمكن أن يدّبروه بتلك المبالغ، فإذا كانت الزوجة غافلة عما يتقاضاه الرجل من معاش، فسوف تظنّه بخيلاً إذا ما أمسك يده بعض الشيء، وعندها تبرز مشاكل الكراهية والضغينة جراء عدم إخبارها بما عنده وما لديه.

أما عندما يكون الرجل مستبداً، ولا يحسب حساباً لزوجته خصوصاً إذا كانت الزوجة صاحبة شخصية مرهفة، فإن العداء والكراهية تبرز من جرّاء ذلك الاستبداد، وعدم الاحترام.

وقد تصل بعض الزوجات إلى مسالك ومؤديات مظلمة وخطيرة جرّاء مثل تلك المعاملة الخاطئة، لذا ينبغي للنساء والرجال أن يتجنبوا سلوك مثل

هذا التعامل مع أبنائهم كي لا ينحرفوا عن الجادة والصواب، مما يتسبب في ظهور الجنايات والخيانات والجرائم التي يرجعها علماء النفس إلى الحرمان العاطفي.

يجب على الرجل أن يصبر على زوجته إذا رأى منها بعض ما لا يعجبه من تصرفها، ويعرف بها ضعفها بوصفها أنثى، فوق نقصها باعتبارها إنساناً، ويعرف لها حسناتها بجانب أخطائها، ومزاياها إلى جوار عيوبها:
﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهنَّ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (النساء/١٩).

البيت وحكم القانون

إن الذي أرجوه من الجميع ـ وبالخصوص من الرجال ـ هو أن لا يتعاملوا بالقانون داخل المؤسسة الأسرية، وليجعلوا الحاكم في المنزل هو: المحبة والرفق، والرحمة، والعطف.

من أنا؟ ليلى، ومن ليلى؟ أنا إننا روحٌ غدت في جسدين

إذا ما أراد الرجل تطبيق القوانين بشكل جاف ومُمِلّ على من هم في داره، تبعثرت الأسرة، وشُلَّ كيانها.

إن للرجل أن يمنع زوجته من الخروج إلى خارج الدار، وهذا من حقّه في الإسلام، ولكن لا ينبغي أن يتصرف الرجل بهذا الحق بشكل اعتباطي وطفولي، فإذا ما أرادت الذهاب ـ مثلاً ـ إلى بيت جارتها وقف أمامها وقال: إن الإسلام يقول بعدم خروجك إلاّ بإذنٍ مني وها أنا أمنعك من الذهاب إلى بيت جارتنا، وكذا يفعل حينما تريد الذهاب إلى منزل أبيها أو أخيها.

أيها السيد! إذا منعتها من الذهاب إلى بيت أبيها أو جارتها، أو ما شابه، فأين تذهب إذن؟ هل يجب عليها أن تحيا بين أربعة جدران؟ وهل هذا الحق مختص بك فقط؟.

إنك إذا تصرّفت بهذا الشكل الذي ذكرنا فستفعل المرأة تلك أفعالاً في

الخفاء قد تجرّها إلى الانحراف، وقيل قديماً: إذا كانت المرأة فاقدة للعفة، فسوف تنجز ما تريد إنجازه، حتى لو وضعها في غرفة زجاجية وسددت عليها جميع الأبواب! وهل يمكن منع المرأة بجدية القانون؟ أو صرفها عما تريد فعله بإجراء القوانين بحذافيرها؟.

كلا، بل يمكن منعها بوسائل أخرى ساحرة من مثل الرفق والمحبة، والعطف.

إن هذه البحوث فعلت فعلها حقاً، ودليلي على ذلك هو رضى النساء والفتيات عن طبيعة هذه البحوث، لذا لم أر معترضاً على بحوثي هذه غير ١٪، بالرغم من وجود ٥٠٠ مخابرة تلفونية على مدى شهر يشكرني المتصلون فيها لتأثر أزواجهم بهذه البحوث.

إذن علينا استخدام وسائل الرفق، والعطف والتودد، بدل الإصرار على جعل القانون هو الحكم العدل بيننا، حيث نرى البعض من النساء تقول: إن حقي في المسألة الفلانية كذا، وهكذا قال القرآن الكريم، وكذا قال أمير المؤمنين عليّ «ع».

أيتها السيدة! إن القرآن الكريم لا يريد تنفيذ أحكامه بدون ودّ، وحبّ، وصفاء، وكذا بالنسبة لك أنت أيها السيد!:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل/٩٠).

إن التلطف في الحديث إلى المرأة، وإظهار المحبة والود لها يجعلها مطيعة ١٠٠٪ وعلى العكس من ذلك فإن التشدد معها وإلزامها بالقانون يجعل منها إنسانة رافضة لكل ما اسمه قانون، أو لكل شيء يمكن أن ينضوي تحت اسم القانون.

إنني أعرف رجالاً جافّين إلى الحد الذي لو قُلبَ لإزار زوجاتهم جانب صغير في زاوية، لبانت عليهم أمارات الغضب، ولأزبدَ أحدهم وأرعد كأنما طبقت السماء على الأرض.

إن تلك الصرخة والنظرة الشديدتين قد تتحملها المرأة للمرة الأولى،

وكذا للمرة الثانية، أما في المرة الثالثة فسترى إزارها يرجع إلى الوراء رويداً رويداً حتى تبدأ بالكشف عن جبهتها ورقبتها في غيابه.

وفي بعض الأحيان يُشَاهد أحدُ الرجال الجافّين وهو ينهر زوجته لأنها تكلّمت مع أخيه، أو جلست إلى مائدة الطعام الذي جلس إليها أخوه مما يؤدي بزوجته إلى الامتعاض والتأسف عليه، وإذا ما تكررت هذه الحادثة ثانية وثالثة، وشَعَرَتْ الزوجةُ باستبداد زوجها فإنها سوف تنحرف إلى جادة أخرى غير التي كانت عليها لتضحى ألعوبةً حقيرة بيد المتصيدين من الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ـ والعياذ بالله ـ.

أطلب من الرجال والنساء على السواء أن لا يتشددوا كثيراً بتطبيق القانون في محيط الأسرة، فالعفاف والجفاف جيد، ولكن التزمّت ممقوت ومكروه، كونه يبعث على تعقيد البنت أو الزوجة، والسؤال الكثير والإلحاح في تبيان أسباب التأخر عن المنزل أو ما أشبه ذلك يؤدي بابنك إلى أن يمقت وجودك، وحتى يصل به الأمر إلى أن يتمنى موتك فلا تكن مفرِطاً ولا مفرّطاً.

قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليّ «ع»:

«لا يُرى الجاهل إلاّ مفرطاً أو مُفَرطاً».

أما الطلب الآخر الذي أرجوه من السيدات والسادة فهو:

لا تسيئوا استخدام القانون: واعلموا أن ذلك غير صحيح، وغير جائز لأن ذلك يدخل في دائرة الغش، وفي هذا الموضوع كتبت كتاباً أسندته بالكثير من آيات القرآن الكريم، وكذا بالروايات المسندة الواردة إلينا عن الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين.

ومن جملة إساءة استخدام القانون هي مسألة أكل الربا الممزوج بحيلة شرعية، وهو أن يقول أحدهم أقرضك ١٠٠٠ تومان وأبيعك علبة كبريت بمائة تومان، أو أقرضك ١٠٠٠٠ تومان وأبيعك معها قلماً بألف تومان.

وهذا هو عين الغش في القانون، ولا يمكن أن نسمّيها إلاّ حيلةً شيطانية، بالرغم من أننا نسميها حيلة شرعية.

قال المرحوم الشيخ عبدالكريم اليزدي رضوان الله تعالى عليه ـ مؤسس الحوزة العلمية في قم ـ: كان أحدهم قد طلق امرأته ثلاث مرات فجاءني لكي أساعده في الخروج من هذه الأزمة من دون أن يطّلع أحدٌ على أمره فيذهب ماء وجهه!.

فانتخبت له أحد المتدينين من الذين يصلّون خلفي جماعةً وفي الصف الأول بعنوان: «محلل» بعد أن أقنعته أنّ له مبلغاً من المال شريطة أن يطلق ما سنزوّجه في الصباح كي ترجع إلى زوجها بدون أن يعلم أحد من عباد الله فاستجاب ذلك الرجل المتديّن لطلبي وعقدت له على تلك المرأة في الليل، وفي الصباح جئته وزوجها القديم لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ولكن الرجل المتديّن أبى علينا ذلك وقال: إنها زوجته ولا يمكن أن يطلقها لوعدٍ قطعه على نفسه، بل والأنكى من ذلك كان يردد ويسألني: أيها الشيخ! أليست هذه المرأة بزوجتي؟ فقلت له نعم هي زوجتك فقال: ولِمَ أطلقها إذن؟ فقلت: لاتفاق بيننا! فلم يقتنع بالأمر.

يقول الشيخ اليزدي: وخلاصة الأمر لم يطلّق صاحبنا تلك السيدة، فماتت كمداً من الغيظ، وعندها طلع الشيخ الجزائري المنبر ليقول كلمته المشهورة الرائعة: إن البعض من الناس عدول، لكنهم أسوأ من شمر بن ذي الجوشن الذي قطع رأس ابن بنت رسول الله (ص).

إن ذلك الرجل كان عادلاً، ولم يرتكب معصية، لكنه كان أسوأ من الشمر، كونه استغل القانون بشكل سيء، وهذا خطِرٌ جداً.

وللأسف نرى الكثير من المتدينين على هذه الشاكلة، وخصوصاً في السيدات، فعلى سبيل المثال دخلت إحداهن إلى الجامعة أو تعلمت ثلاثة أو أربعة مصطلحات بعد دخولها إلى الحوزة العلمية وما إن أصابها الغرور بتعلمها النسبي ذاك حتى ارتأت أن تسيء استخدام القانون ضد زوجها المسكين فتبدأ بالقول مخاطبةً إياه: اعلم بأن الشرع لا يحقّ لك أن تكرهني على العمل داخل المنزل، وأنا اليوم غير تلك التي عرفتها بالأمس.

إنها تريد استغلال الزوج المسكين كونها دخلت إلى الجامعة، مستفيدة من الحق في عمل غير الحق، إنها تُسيء استعمال القانون بحيلة شرعية.

وعلى حدّ قول الشيخ اليزدي، أيتها السيدة! أنتِ عادلةٌ في طلبك، ولكنك أسوأ من شمر بن ذي الجوشن لأنك تريدين بعثرة منزلك وهدمه من الأساس.

وأنت أيها السيد! يا من تدعي بأنك من حزب الله! إنك عادل لكنك أسوأ من الشمر، كونك إنسان متزمّت ومتعصّب ومتصعّب، وإنك ومن هو مثلك يصلون بالنساء والفتيات في بعض الأحيان إلى طرق وعرة مما يبعث على انحرافهن عن الجادة الصواب.

* * *

الفصل العاشر ١

الوفاق في البيت

المحبّة

التميز الممقوت

الوفاق في البيت

يبحث هذا الفصل في مسألة الوفاق الذي يجب أن يسود بين أفراد الأسرة الواحدة، ولا بُد لنا من القول بأن التوافق الأخلاقي بين أفراد الأسرة الواحدة بشكل كامل (١٠٠٪) لا يمكن أن يكون.

فالزوجة لا تتوافق مع زوجها ١٠٠٪، ولا الأم مع عروسها، ولا البنت مع أمها، ولا الغلام مع ابنه، بسبب وجود الاختلاف في الأذواق مما يبعث على بروز اختلاف ـ ولو بسيط ـ بين الجميع، أرادوا ذلك أم أبوا.

يقول علماء النفس: إن الاختلاف المشاهد في البيت بين أفراد الأسرة الواحدة أمر طبيعي، وإن عدم الوفاق ١٠٠٪ يرجع سببه ـ على حدّ قول أحد الفلاسفة ـ إلى أن الإنسان هو أحد المخلوقات المستقلة، ولا نعلم مدى صحة هذه العبارة، ولكن الذي نعلمه وندركه هو أن بين أفراد البشر اختلاف أخلاقي وذوقي ملموس ومحسوس.

فما الذي نفعله إذن، لبلوغ توافقٍ أخلاقي نسبته عالية؟.

إذا كان التوافق بين الزوجين يصل إلى ٧٠٪ فالأمر حسن وجيد، وينبغي لهما أن يشكرا الله تعالى على تلك النعمة العظمى، وإذا كان لا يتعدى نسبة ٥٪ يجب أن نقول هذه النسبة جيدةٌ هي الأخرى أيضاً، ولو بلغت نسبة الوفاق بين أم الزوج والزوجة هذه النسبة، فستعمر الأرض بساكنيها، وكذا الأمر بالنسبة للوالد والولد.

إن الشيء الذي نغفل عنه دائماً هو عدم وجود توافق أخلاقي ١٠٠٪، ولذا ترى الغالبية العظمى من البشر يرومون توافقاً أخلاقياً ١٠٠٪ وهذا لا يمكن أن يصل إليه البشر، لاختلاف أذواقهم ورغباتهم كما ذكرنا سلفاً.

إذن، فما الذي نفعله كي نتمكن من بلوغ أعلى النسب في التوافق الأخلاقي.

يوجد عاملان مهمان وأساسيان يمكن أن يتدخلا لرفع تلك النسبة وهما.

١ ـ المحبة

إذا سادت المحبة والود والوئام بين الزوج وزوجته، وبين الأب وابنه، وبين البنت وأمها، وبين الزوجة وأم زوجها، فسوف نشاهد ٣٠٪ أو ٥٠٪ من الاختلافات التي يمكن أن تقوم فيما لو لم تكن تلك المحبة، وبناءً على ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حبّك للشيء يُعمي ويُصمّ»[١٠٥].

فالمحبّ على ما يبدو لا يرى أخطاء حبيبه، ولا يتأتى له أن يرسلها على لسانه، بل ويبرر أخطاء حبيبه إلى درجةٍ غير معقولة، وأكثر من ذلك دفاعه عن ذلك الحبيب حينما يخبره الناس بما يفعل ويعمل.

عين الرضا عن كل عيبٍ كليدَةٌ   وعين السخط تُبدي المساويا

نقل البعض لنا حكاية عن قيس وليلى ـ ولا أعلم إذا كانت حقيقية أم خيالية ولا أدري هل توجد هكذا حقائق في كيان البشر أم لا؟.

يقال إن ليلى كانت طبخت طبيخاً بسبب نذر نذرته، وما إن سمع قيس بأنها فعلت ذلك، وأن الناس كانوا يتسابقون إلى دارها حتى بعث إناءً له من فخار بيد صديق له، ليجلب به شيئاً من ذلك الطبيخ.

ذهب صاحبه إلى منزل ليلى، فناولها الإناء وقال لها: إن هذا الإناء هو لقيس ولا بأس عليك لو ملأتيه له، وما إن سمعت باسم قيس حتى رمت بالإناء جانباً لينكسر، فوصل الخبر لقيس فقال:

لو كانت تميل لغيري   لما كسرت ليلى الإناء

---

(١٠٥) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ص ١٦٥.

أي لو كانت ليلى تحبّ فرداً آخراً غيري، لكسرت إناءه مثلما كسرت إنائي، وما كسرها للإناء إلّا من شدة حبها لي، حيث كانت تريد أن تراني حاملاً إنائي، ولم ترغب في رؤية غيري يحمله لي.

فالسيدة التي تعشق زوجها، لا يتأتى لها أن ترى سيئاته، بل حتى سيئاته تراها حسنات، ولذا نشاهدها تدافع عنه بقوة، وتدافع عن كل ما يمكن أن يكون له مساس بزوجها، من قريب أو من نسيب أو ما شابه ذلك، وهذا ما لاحظته عند بعض السيدات اللواتي يعشقن أزواجهن حيث تراهن يتبسّمن ويلتزمن بالطاعة، ويشكرن الباري تعالى كثيراً على نعمة وجود الزوج بالرغم من شدته وخشونته وتعسفه، ويبررن تلك الشدة والخشونة بأنها حبّ شديد لهنّ من أزواجهن، ويقلن: إن الدليل على حبه المفرط هو عدم بروزه لهذه الشدة مع الأخريات، وما شدته إلا لرغبة فيه للعيش في بيت الزوجية الجميل.

إن إحدى المسائل المهمة التي ينبغي للجميع أن يلتفتوا إليها، وأن يأخذونها بعين الاعتبار هي مسألة التودد والتلطف بالكلام، واستخدام العبارات الرقيقة والجميلة، حيث يمكن أن تفعل تلك العبارات أشياءً لا يمكن أن يتصورها إلّا من عمل بها، حيث ترى الزوجة زوجها جميلاً وهو في واقعه قبيح، وتراه أعلم الناس، في الوقت الذي لا يختلف عنهم كثيراً.

ويمكن القول إن الكلام الجميل والعبارات الرقيقة يكون مثلها كمثل الفلفل والمخللات في الطعام حيث تضفي على مجمل الحديث رونقاً خاصاً، وتكسبه طعماً يذوق لذته الطيِّبة من يسمعه، فينعكس أثره في القلب لتنمو زهرة يانعة يفوح عطرها ليشمل حتى المتحدث.

وعلى العكس من ذلك نشاهد كلمة خبيثة أو تجريحاً قد لا يعنيه قائله، يفعل فعله في القلب كالسهم المنطلق من قوس عدو، فيقضي حينها على المحبة التي لن ترجع إلى ذلك القلب ثانية إلا بصعوبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما اصطحب اثنان إلّا كان أعظمهما أجراً عند الله تعالى وأحبّهما إليه

أرفقهما بصاحبه»[١٠٦].

لقد أولى الإسلام العظيم أهمية بالغة لمسألة طاعة الزوجة لزوجها، وحسن معاملة الزوج حيث لم يستطع الشارع المقدس أن يجد عملاً أكثر أجراً وثواباً من حسن تبعل المرأة، وحسن خلق الزوج مع زوجته.

قال الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام:

«ما مِن امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها من عبادة سنة..»[١٠٧].

وقال أيضاً عليه السلام:

«أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيّها شاءت»[١٠٨].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»[١٠٩].

وجاء في الخبر أن الرسول الأكرم(ص)كان قد بشّر الرجال والنساء المتزوجين بفتح الله أبواب الجنة لهم، وإلحاقهم بمقام الأنبياء والأوصياء والصالحين إذا التزموا بخدمة بعضهم البعض وفق ما جاء في شرعته سلام الله تعالى عليه:

﴿ومنْ يُطِعِ الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصّديقين والشهداءِ والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقاً﴾ (النساء/ ٦٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر.. وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها مؤذياً ظالماً»[١١٠].

---

(١٠٦) بحار الأنوار/ ج ٧٥، ص ٥٥.

(١٠٧)، (١٠٨) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١١٦.

(١٠٩) تنبيه الخواطر/ ص ٣٦٢.

(١١٠) وسائل الشيعة/ ج ١٤، ص ١١٦.

وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه:

«من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه، أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمح عالج..»(١١١).

وقال كذلك صلى الله عليه وآله:

«من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل [ثواب] آسية بنت مزاحم»(١١٢).

التميـيز الممقوت

من جملة الأشياء التي تسلب المحبة من البين العائلي، والذي ينبغي لنا أن نحذره هو التميـيز الممقوت بين صهرين أو بنتين أو غلامين.

فترى على سبيل المثال أن إحدى البنات ترث قليلاً بينما ترِث أختها أكثر منها، أو قد يُحرم فتى من ذلك، والسبب في ذلك حب الأبوين لتلك البنت مثلاً.

أو يحرم أحدهم ابنته من الإرث، ـ والعياذ بالله ـ لأنه لا يحبّها، وعندما تسأله عن ذلك يبرر عمله بشتى التبريرات المزخرفة.

إن هذه المسائل وغيرها يمكن أن تحيد بالبنت أو الابن عن جادة الصواب فتبرز الجنايات والخيانات وكل ما يسيء إلى الإنسانية والبشرية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«رحم الله من أعان ولده على برّه قال: قلت: كيف يعينه على بره؟ قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به، وليس بينه وبين أن يدخل في حد من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم»(١١٣).

---

(١١١) بحار الأنوار/ ج ٧٦، ص ٣٦٧.

(١١٢) بحار الأنوار/ ج ١٠٣، ص ٣٤٧.

(١١٣) وسائل الشيعة/ ج ١٥، ص ١٩٩.

فالوالدن اللذان يعينان أبناءَهما على العقوق ملعونان، لأن الابن عندما يرى أمه مقصّرة في أعمالها مع زوجته، ومعتدية عليها بدون سبب يذكر يضطر إلى إبداء بعض الخشونة معها فيضحى عاقًا بحقّها، وعندها يخسر خير الدنيا، وخير الآخرة.

وعندما يرى الولد بأن والده يميّز بينه وبين بقيّة إخوانه، يغتم ويهتم، ويصبح معقّداً، فيسيء الظن بالوالد ـ والعياذ بالله ـ عندها يستسهل استغابته، والتحدث عليه وكأنما يتحدث على أخٍ له، وهذا هو العقوق، كون الابن لا يحق له التكلم على أبيه بالمرة، ولو كان أبوه مقصّراً في حقه، وليعلم الشباب بأن احترام الأبوين واجب ولازم حتى لو كانا أميين أو غير مثقفين:

﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً، أمّا يبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أحدُهُما أو كلاهُمَا، فلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً﴾ (الإسراء/ ٢٣).

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«برُّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضا الله من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله تعالى، لأن حق الوالدين مشتقّ من حق الله تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنّة ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله إلى معصيته، ومن اليقين إلى الشك، ومن الزهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك، فإذا كانا كذلك فمعصيتهما طاعة، وطاعتهما معصية، قال الله عز وجل: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ وأما في العِشرة فدار بهما، وارفق بهما، واحتمل أذاهما لحق ما احتملا عنك في حال صغرك، ولا تقبض عليهما فيما قد وسّع الله عليك من المأكول والملبوس، ولا تحوّل بوجهك عنهما، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، فإنه من التعظيم لأمر الله وقل لهما بأحسن القول وألطفه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين»(١١٣).

---

(١١٣) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٧٧.

أيها الآباء! أيتها الأمهات! لا ينبغي لكم جميعاً التفريق بين أولادكم في المحبة، ولا يجدر بكم أن تميّزوا بين الصغير والكبير، أو الغلام والبنت لأن ذلك يبعث على خلق الخلافات بين الأخ والأخت، وبين البنت وأختها فتكونان مذنبين من جرّاء فعلتكما تلك، وقد ينجرّ ذلك العداء إلى الأجيال القادمة، وهذا ما شاهدته فعلاً في بعض مجتمعاتنا المعاشة.

إن جميع هذه المسائل من قطع رحم، ومن وجود اختلافات ونزاعات تعدّ معاصي وآثام، والأكثر معصية منها وإثماً هو من كان السبب في وجودها.

إنه تقصير ذلك الأب الأحمق الذي كان يميّز بين أبنائه ولا يواسي بينهما أبداً، كونه كان يحبّ أحدهما، ويبغض الآخر وهذا كفر بنظر أهل القلوب الحيّة.

أيها السادة! أيتها السيدات! إن ما تعيشون فيه اليوم من مصائب وخلافات ونزاعات بين أبنائكم وأحفادكم، مرجعه إلى التميز الممقوت الذي زرعتم بذوره أنتم حينما تقبّلون أحدهم، وتتركون الآخر بدون مواساة.

أيها الأبوان! عليكما أن تحذرا التودد إلى أحد الأبناء في الوقت الذي يسمع أو يرى ابن آخر لكم حديث الودّ ذاك، واعلموا بأن ذلك الابن سيضحى مجرماً أو منحرفاً إذا بقيَ تعاملكم ذاك على وضعه، فكم هو جميل ذلك التعامل الذي يتساوى فيه الأبناء جميعاً، وكم هو حسنٌ وعاقل ذلك الأب الذي يحتضن ولديه الواحد تلو الآخر، ولا يقتصر على أحدهما بذلك الفعل.

قال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

«قال والدي عليه السلام: والله إنّي لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأنكز له المخّ، واكسر له السكّر، وأنّ الحق لغيره من ولدي، ولكن مخافة عليه منه ومن غيره، ألا يصنعوا به ما فعل بيوسف وإخوته، وما أنزل الله سورة إلا أمثالاً، لكن لا يجد بعضنا بعضاً كما حسد يوسف إخوته، وبغوا عليه، فجعلها رحمة على من تولّانا، ودان بحبّنا، وحجّة على أعدائنا، ومن

نصب لنا الحرب والعداوة»[114].

أيهـا الآبـاء! لا ينبغي لكم أن تميّــزوا بين أبنـائكم، ولــو فعلتم ذلـك لخربتم بأيديكم أساس المؤسسـة الأسريـة، على العكس من ذلك فـإن حكم المحبـة في البيت يسمو بـالبيت ومن فيه إلى عليـين، ويـرفـع معـه ٣٠٪ من مجمل النزاعات أو الخلافات التي يمكن أن تحدث بدون تلك المحبة.

* * *

(١١٤) بحار الأنوار/ ج ٧٤، ص ٧٨.

الفصل العاشر ٢

العفو ـ الصفح

العفو ـ الصفح

بحثنا هذا يدور حول مسألة العفو والصفح الذي يبعث على المحبة والألفة والوئام في الوسط العائلي.

إن كلمة العفو كلمة مقدسة، وعندما يريد الإنسان أن يصورها لنفسه يشعر بخروج نورٍ يسطع منها، يلامس شغاف قلوب العافين.

إنها جميلة ومقدّسة إلى الحد الذي تكون فيه دائماً جنباً إلى جنب كلمة المحبة، ولجمالها الفائق، وتأثيراتها الرائعة في النفوس أكّدَ القرآن الكريم عليها كثيراً وقسّمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ذلك الذي يحدث حينما يرى الفرد شخصاً يسيء عامداً، فيعفو عنه ويتجاوز عن سلوكه السيء في سبيل الله، وفي سبيل القيم الإنسانية السامية:

﴿خُذِ العفو وامر بالمعروف وأعرضْ عن الجاهلين﴾ (الأعراف/ ١٩٩).

أيها المسلمون! عليكم أن تلتزموا بالعفو حتى يضحى ملكةً لديكم، وإذا أردتم البقاء على هذه الصفة المحمودة يجب عليكم أن تعلّموا من هو معكم في الدار عليها، والالتزام بها، وبناء على ذلك فمن رأى من أهل داره إساءة ينبغي له أن يعفو ويصفح كي تعمّ المحبة والودّ في هذا الوسط.

أما القسم الثاني فهو أعلى وأسمى مرتبةً من سابقه، وفيه يترفع الفرد عن رؤية الإساءة، فلو أساءت زوجته أمامه يحاول جاهداً أن يفعل شيئاً يُفهم منه بأنه لم يَرَ تلك الإساءة بالمرة كي يعفو عنها.

وهذا ما يسمى بالصفح، وقد قال فيه القرآن الكريم:

﴿وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبّون أن يُغفر لكم﴾ (النور/٢٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«تجاوزوا عن عثرات الخاطئين يقيكم الله بذلك سوء الأقدار»(١١٥).

وقال أمير المؤمنين عليّ «ع» بصدد الصفح:

«ما عفا عن الذنب من قرعَ به»(١١٦).

وجاء في الخبر أن الأفراد الذين يعفون سيعفو الله عنهم يوم القيامة، أما الذين يصفحون، أي لا يعاتبون المسيء أبداً، وكأنهم لم يروا منه إساءة، يتجاوز الله عنهم، ولا يذكر مساوئهم بالمرة ويدخلون الجنة بدون حساب.

فكن أيها الرجل من المصفحين في المنزل، وكأنك لم تر سيئاً من زوجتك حينما تشعر أنها أساءت، هذا إذا أردت أن تدخل الجنة بدون حساب، ولا أعني هنا الإساءات التي لها مساس بالشرف والعفة وما إلى ذلك، كلا، بل أعني المسائل التي تتعلق بالطعام، أو النظافة أو ما إلى ذلك من الأمور التي ينبغي للعاقل أن يتجاوزها ويصفح عنها.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لابنه الحسن سلام الله عليه:

«إذا استحق أحد منك ذنباً، فإن العفو مع العدل أشد من الضرب لمن كان له عقل»(١١٧).

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بيت شعر منسوب إليه:

أمرُّ على اللئيم يسبُّني فقلت له إنه لا يعنيني

وجاء آخر سورة الفرقان في ذكر صفات المؤمن:

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ (الفرقان/٦٣).

---

(١١٥) تنبيه الخواطر/ص ٣٦٠.

(١١٦) غرر الحكم.

(١١٧) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ص ٣١٦.

إن الفرد الذي لا يهتم ولا ينزعج من أحـاديث الجهلة والمسيئين يمكن أن تنطبق عليه هـذه الآية المبـاركة، فـالرجـل الذي يـرد بيته ويـرى أن وضع المنـزل سيئاً، وكـذا وضع الأولاد والـزوجة ينبغي لـه أن يصفح، وإذا أراد أن يتحدث في الأمر وجب عليه أن يرى فرصةً مناسبة لـذلك الحـديث بحيث لا يؤثر على معنويات زوجته أو أبناءه.

وكذا بالنسبة للزوجة إذ ينبغي لها أن تغض النظر وتصفح عن زوجها إذا ما رأت منه ما يخالف قانون الأسرة المقدس.

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم وصف المؤمنين الخيّرين وصفاً جميلاً في سـورة الفرقـان فدلـل على صفحهم، وتسـامحهم كي يـرعـوي المسيء، ويثوب إلى عقله.

وقال العزيز في محكم كتابه المجيد:

﴿وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾ (الفرقان/٧٢).

نفهم من هــاتين الآيتين الشـريفتين بــأنـه لا بــد للمؤمن من أن يعفـو ويصفح، فإذا ما لطم وجهه طفلٌ لا يعدو سنَّهُ عن سنـة أو سنتين، وجب عليه أن يتصرف وكأن شيئاً لم يكن، وهذا الصفح في مثل هذه المواضع لهو دليـل على كرامة ذلك المؤمن، وسموّه، ومقامه الجليل.

أما بالنسبـة للقسم الثالث، وهـو الذي يجب أن يعمـل به الخـاصة من المسلمين من الـذين بلغوا مقـامـات ومـراتب لم يبلغهـا عـامـة النـاس فهـو: الإحسان لمن أساء إليهم:

﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ (القصص/٥٤).

أي يدفعون بالطاعة المعصية، أو بالحلم الجهل، وقد كررت هذه الآية في عدة أماكن من القرآن الكريـم، ولكن بأشكال أخرى:

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ (المؤمنون/٩٦).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحسن إلى من أساء إليك»(١١٨).

لقد أكّد الباري على هذه المسألة كثيراً في سورة يوسف التي عدّها أحسن القصص، وحقّا إنها سورة مليئة بالدروس الأخلاقية والاجتماعية العريقة، وإذا ما قرأها الإنسان وعمل بها جاهداً سيضحى إنساناً كاملاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

إن هذه السورة تحمل في سطورها نقاطاً عجيبة، ومواقف مهمة ينبغي أن نقف عندها وقفاً خاصاً.

يقول القرآن المجيد: إن زليخا أساءت كثيراً ليوسف، وألقت به في غياهب السجن ولكنه لم يتمكن من الخروج إلا بعد أن ألهمه الباري كيفية إيصال السؤال التالي إلى الملك:

﴿ما بالُ النسوة اللاّتي قطعن أيديهن﴾ (يوسف/٥٠).

عندها قالت زليخا لزوجها:

﴿الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه، وإنّه لمن الصادقين﴾ (يوسف/٥١).

وبعد أن خرج يوسف من السجن قال:

﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب﴾ (يوسف/٥٢).

أي هل تعلمون لماذا خططت لإقرار تلك النساء، واعترافهن بخطئهن؟ لقد فعلت ذلك من أجل كسب البراءة لنفسي، كوني علمت بأن الأمر سيؤول لي وأضحى عزيز مصر، وهذا يتناقض مع ما عليّ من اتهام، فتحملت سنين عشر في السجن، ولم أفكر بفضح تلك النساء أبداً، إلا بعد أن اضطرني الأمر الأهم إلى ذلك، وإلا لن يتأتى لي، ولن أسمح لنفسي كشف أفعال زليخا، وصاحباتها اللواتي قطعن أيديهن، وهذه العبارة تعد صفحاً من جانب يوسف جميلاً، لا يمكن أن يكون أو يليق إلاّ به، ولمثله من المؤمنين والخيّرين.

---

(١١٨) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ص ١٧١.

أما بالنسبة للصفح الثاني الذي أبداه يوسف سلام الله عليه، فهو ذاك الذي أظهره لإخوانه بعد أن ألقوا به في غيابت الجبّ، ليُباع ويُشترى ويحدث له ما حدث، لقد قال يوسف لإخوته بعد أن استتب له الأمر:

﴿لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم﴾ (يوسف/٩٢).

يقال إن يوسف كان يعاني كثيراً حينما يجلس إلى مائدة الطعام، ومعه إخوانه، وكانت أفكاره تتداعى ويتذكر جريمة إخوانه القبيحة وكيفية إلقائه في غيابت الجبّ، لذا لم يهنأ له عيش، ولم يطبْ له طعام، وعندها شعر بأن إخوانه قد يكونون خجلين منه، فتحدث لهم قائلاً: إنكم لو لم تلقوا بي في تلك البئر لما تمكنت من الوصول إلى هذا المكان، إذن أنتم السبب في سعادتي وعزّتي، وأنتم من أوصلني إلى هذا المقام.

﴿قال ادخلوا مصر إنشاء الله آمنين﴾ (يوسف/٩٩).

أما المرتبة الثالثة من صفح يوسف عليه السلام فكانت أسمى من تلك المرتبتين الأوليتين حيث يُفهم منها بأن يوسف «ع» كان كاملاً.

يقال إن يوسف «ع» وبعد أن رفع أباه على العرش قال:

﴿يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبلُ قد جعلها ربّي حقًّا، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ (يوسف/١٠٠).

لقد أراد يوسف أن يقول لأبيه، إن الشيطان هو السبب في اختلافاتنا وإن إخوتي لا ذنب لهم، فلا تلومّنهم أو تعنّفهم وإن بلوغي هذا المقام السامي كان بسببهم.

إن القرآن ليس كتاب قصص وحكايات ترفيّة، إنه كتاب قانون واجتماع ودين وسياسة، لذا يريد أن يقول لنا من خلال هذه الحكاية: أيها المسلمون! اصفحوا، اعفوا، وأحسنوا للمسيء ما استطعتم كي يتأدب ويرتدع، ويعلم أن الباري تعالت أسماؤه أقسم على نفسه أن يُجري ما يشاء وإنهم لعاجزون.

إن في القرآن المجيد آية تحمل معنيين ظاهريين كما هو الحال في

بعض آيات القرآن الكريم، وقد فسَّرها المفسـرون بشكل يختلف عن تفسير علماء الأخلاق وهي:

﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثلُها﴾ (الشورى/ ٤٠).

فالمعنى الأول: يكون إذا قطع أحدهم يدك قطع حاكم الشرع يده، وهذا التفسير هو الذي قال به المفسّرون، أما التفسير الثاني والذي التزمه علماء الأخلاق الأفاضل فهو: إذا أساء أحد إليك، فأسأت إليه فستكون أنت ومَنْ أساء إليك مذنبين، وإن من رماك بحجر عُدَّ مذنباً، فإذا رددت عليه الحجر كنت مثله مذنباً ولذا قال الباري تعالى بحق العافين والمصفحين «ويدرؤن بالحسنة السيئة» أي إذا أساء إليهم شخص أحسنوا إليه، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

لقد منع أهل مكة الرسول الأكرم(ص)على مدى «١٣» سنة من تبليغ رسالته بالشكل الذي يريد، ولم يدخل الإسلام في هذه المدة المديدة غير ٤٠ إلى ٥٠ شخصاً.

لقد استطاع الرسول الأكرم(ص)وفي السنة الثامنة للهجرة من التسلط على أهل مكة بعد أن جاء بجيش يفوق تعداده على «١٢» ألف نفراً، ليدخلوا مكة بدون إراقة دماء، وليشعر الرسول ومن معه بلذّة عجيبة بعد أن كابد على مدى «٢٠» سنة، تخللتها «٢٨» معركة من أجل إخلاء بيت الله الحرام من تلك الأوثان والأصنام.

وبعد الدخول مباشرةً أمر الرسول الأكرم(ص) ابن عمه عليّ«ع» بتحطيم الأصنام والتي كان تعدادها «٣٦٠» صنماً، ليتطهر بيت الله من وجودها إلى الأبد، بعد ذلك جاؤا إلى قرب تلك الباب ـ وهي موجودة الآن ـ لينظروا إليها ويستشعروا جذبها المعنوي لهم، ثم شرعوا بقراءة دعاء الوحدة لا إله إلا الله وحده وحده وحده.

كان المسجد الحرام يغصّ بالناس، أولئك الناس الذين رموا الأحجار على رسول الله(ص)قبل سنين عديدة، إنهم الناس الذين تمكنوا من إسالة

الـدماء من جبهتـه الشـريفـة الـطاهـرة، وقف الجميـع ينتـظرون أوامـر رسول الله(ص)،وكانت الغالبية العظمى ترتجف هلعاً وخوفاً، ظنًا منهم بـأن رسـول الله(ص) سيأمر عليًا «ع» بشهـر سيفـه ليعمله في رقـابهم، ولكن الـذي حدث غير ذلك.

ومـا إن انتهى الرسـول الكريم من دعـاء الـوحـدة حتى التفت إلى أبي سفيـان، وهنـد آكلة الأكبـاد ومن لفّ لفّهم، فبـدأوه بـالحـديث قـائلين: يـا رسول الله! افعل بنا ما تشاء، فإن لك الحق في ذلك، فإن قتلتنا فأنت محق، وإن مثّلت بنا فمعك الحق!

﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفرُ الله لكم﴾ (يوسف/٩٢).

بعد ذلك قبل الرسول(ص)منهم إسلامهم بالرغم من أنه يعلم بأن الكثير منهم منافقون، ولكنه قبل منهم ظاهر شهادتهم وجعل من بيت أبي سفيان أمناً لمن دخله تطييباً لنفسـه، كونـه كان رئيسـاً لمكة فمنحـه رسـول اللّـه رئاسـة ظاهرة كي يأمن شرّه.

ذكـرت كتب التاريـخ أنه عنـدما دخـل الرسـول(ص)إلى مكـة، حمـل أحـدهم علماً وبـدأ يجول في أنحـاء المدينـة ويقول: «اليـوم يـوم الملحمـة» (سننتقم اليوم منكم).

فوصل الخبر إلى أسماع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندها غضب الرسول(ص)غضباً شديداً، فأرسل عليًا عليـه السلام ليـأخذ ذلـك العلم ويدور به في أزقّة مكة ويقول: «اليوم يوم المرحمة».

هكـذا كان رسول الله(ص)رحيماً شفيقـاً عطوفـاً، وكذا كـان أهـل بيتـه الأطهار سلام الله عليهم أجمعين.

إن القرآن يريد عفواً، بل ويريد أسمى من ذلك إنه يريد صفحاً، ويريد إحساناً ودرءاً للسيئة بالحسنة.

إن الجـار الجيد ليس هـو الذي يعمـل خيـراً لجـاره، كـلا، لأن ذلـك واجب عليـه، بـل إن الجـار الحسن هـو من تمكن من أن ينسجم مـع جـاره

المسيء، وأن يتمكن من غض نظره عن سيئات جاره، وأن يصبر على أذاه.

كان أحد الأجلّاء مريضاً ومشرفاً على الموت، فذهب إليه جاره ليطمئن على أوضاعه، فرآه مضطجعاً على أرض رطبة في غرفة لها جدار ملاصقٌ لمنزله وقد عبر الماء منه إلى منزل هذا الجار، فاغتاظ واهتمَّ، وقال لجاره المريض:

لِمَ لم تقل شيئاً لي بصدد هذه الرطوبة التي جاءتك منّا؟.

فأجاب: لم أحبب إتعابك معي، وإيقاعك في مخمصةٍ يمكن أن أتحملها لوحدي!

هكذا يريد الإسلام منّا، يريد تعاملاً رفيعاً سامياً حتى مع الغرباء، ولا يريد منّا ذلك التعامل الذي قد يصدر من بعض النساء مع أمهات أزواجهن أو من بعض الزوجات اللواتي لا يعرفن درء السيئة بالحسنة.

والحق يقال إن هذه الآية المباركة الشريفة يجب أن تكتب بماء الذهب، وتعلق على الجدار لنراها كل يوم، ليس بعنوان منظرٌ جميل، آو آية قرآنية نتبرك لها، كلا، بل لنزيل بها من قلوبنا ما علق بها من أدران، ولننظر إليها بتأمل كي يضحى العفو والصفح ملكة في كوامننا ونفوسنا الأمّارة بالسوء.

أيها السيد! عارٌ عليك إذا ما صفحت عن زوجتك التي قد يبدر منها ما يمكن اعتباره إساءة إليك، وعارٌ عليك إذا لم تتبسم حينما تكون غاضباً وكذا بالنسبة لك أنت أيتها الزوجة، عليك أن تُزيلي سحنات وجهك الغاضب أمام زوجك ولو كان ظالماً لك لأن المرأة تعني المحبة والرجل يعني المروءة، فاتقوا الله تعالى وعلّموا أبناءكم على العفو والصفح والإحسان لمن أساء إليهم ليعمّ الخير والبركة في بيت الزوجية الذي باركه الله تعالت أسماؤه.

الفصل الحادي عشر

سوء الظنّ

يبحث هـذا الفصـل في مسـألـة سـوء الـظنّ في البيت، هـذا المـرض المهلك للإنسان، والمخرّب للمؤسسة الأسرية، وقد لا نجد شيئـاً أكثر هـدماً لبناء الأسرة من سوء الظنّ.

منشأ سوء الظنّ

ينشأ سوء الظنّ من الوسوسة الفكرية حينمـا يتسلط الشيطان على عقـل الإنسـان، وعندهـا يضحى هذا الإنسـان غشاش، متـظاهر، منـافق، وبعبـارة أخرى يصبح شيطاناً إنسياً، والشيطان كثيراً ما يستخـدم عقله لإيقاع الآخـرين في المهالك.

قد يتسلط الشيطان على قلب الإنســان، وفي هذه الحـالة ـ ومن منـظار قرآني ـ يصبح القلب تابعاً للهوى والهوس، ليصبح فاسقـاً فاجـراً، وعلى حد القرآن الكريم يصبح عابداً ولكن للشيطان:

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّـهُ لكم عدوٌ مبين﴾ (يٓس/ ٦٠).

وقد يتسلط الشيطان على قـوّة الخيال الإنسـانية فيـوسوس لهـا، عندهـا يسمى صاحبها بالوسواسي، والوسوسة على قمسين، وسوسة فكرية وهي التي سنبحث فيها في هذا الفصل، ووسوسة عملية وهي المعـروفة بين المقـدّسين الذين يُفرطون في تطهير أنفسهم، ولا يظنّون أنهم تطهّروا.

فإذا تسلط الشيطان على القوة الخياليـة تمكن من تمريـر أفكاره البـاطلة إلى العقـل الإنساني، وإذا مـا كانت القضيـة مرتبـطة بالعمـل، ظهـرت على

الإنسان أعمال تدلّ على عدم اطمئنانه من نفسه، أو من الآخرين أو حتى من المياه والشجر والحيوانات.

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«الوسواس شعبة من الجنون»(١١٩).

جاء أحدهم إلى الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، ليُطري عنده على عقل شخصٍ آخر، وبعد أن انتهى من ذلك قال: يابن رسول الله إنّ نفسه توسوس له، فتبسم الإمام «ع»! (أي إنك تقول عنه عاقل، ونفسه توسوس له! ثم قال سلام الله عليه:

«لما نزلت هذه الآية ﴿والذين فعلوا فاحشة﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية: فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: انا لها بكذا وكذا، قال: لستَ لها، فقام آخر فقال: مثل ذلك، فقال: لستَ لها، فقال الوسواس الخنّاس: انا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها..»(١٢٠).

علائم الوسواس.

١ ـ الضرب بالخيال:

إن للوسوسة الفكرية أخطاراً كثيرة من جملتها الضرب بالخيال حيث نرى أن البعض، وبسبب ذلك الضرب لا يرون أنفسهم أو غيرهم إلا مسيئين، لأنهم بعيدون عن رؤية الصفات الحميدة في أنفهسم وفي الآخرين كونهم يبحثون دائماً عن عيوبهم، وعيوب أصحابهم، ومجتمعهم، وهنا تكمن الخطورة.

إن الفرد الذي يشعر بالوضاعة والانحطاط لا يمكن أن يرتقي أو يسمو،

---

(١١٩) بحار الأنوار/ ج ٧٧، ص ١٣٣.

(١٢٠) بحار الأنوار/ ج ٦٣، ص ١٩٧.

والضارب في الخيال أحد الذين يشعرون بالحطّة والوضاعة، ومثل هؤلاء الأفراد كمثل الذباب الذي لا يستطيع العيش في حديقة غنّاء، لأنه يفضل ذلك في مزبلة قذرة.

وبناء على ذلك أوصي النساء خاصةً بعدم الولوغ في الضرب في الخيال، لأن ذلك يؤدي إلى عدم رؤية حسنات أزواجهن.

وأنتم أيها الرجال! حاولوا دائماً مراقبة حسنات نسائكم لا سيئاتهن وكونوا كالبلابل التي تحب الجلوس على الأغصان المورقة، ولا تكونوا كالذباب الذي يبحث عن القيح والجروح النازفة والمزابل القذرة.

إن الإنسان بطبيعته غير وفيّ، فلو عاش أحدكم بسعادة بالغة مع امرأةٍ له، ثم صرخ في وجهها يوماً، تناست كل تلك الأعمال السعيدة التي عاشتها إلى جنب زوجها.

هذه المرأة التي تعمل ليلاً ونهاراً من أجل زوجها وأبنائها، ولم يظهر منها شيء سيء على مدى سنين طوال، إذا امتنعت يوماً عن تنفيذ إرادة لزوجها، نسيَ كل شيء وأمسك بهذا الامتناع فقط، وعندها تراه يتغيّر ويغدو كالسبع الضاري، وهذا ما يدلل على وفاء الإنسان النسبي، أو قد يقول بعضهم بعدم وجود الوفاء عند الإنسان:

﴿قُتِلَ الإنسان ما أكفره﴾ (عبس/١٧).

٢ ـ الكسل والخمول

من الآثار الأخرى للوساوس الفكرية الكسل والخمول، فعندما يفكّر الإنسان في سببِ وجوده في هذه الحياة؟ لماذا أتى؟ وإلى أين سيذهب؟ وهل أنّ أفعاله ستؤدي به إلى الفرح والسرور؟ أو إلى الحزن والهم؟.

إن التوغل في مثل هذه الأفكار قد يؤدي بالفرد إلى الانتحار وهذا ما نراه كثيراً في الدول الغربية العلمانية.

إن بعض الشباب يركز على هذا السؤال دائماً، من أجل ماذا خلقنا؟.

إن منشأ هذا السؤال هو الوسوسة الفكرية التي تُتْعِبُ الإنسان وتجعله

خاملاً كسولاً لا يقوى على شيء مفيد ونافع، والجدير بالذكر أن الأفـراد التي تتفـاقم عندهم هـذه الحالـة لا يقتنعون بـأحاديث العلمـاء والمثقفين والواعين بسبب وجود تلك الأفكار التافهة، ولـذا تراهم يقـولون في أغلب الأحيـان: لو أننا لم نُخلق لكان ذلك أفضل؟!

لن أنسى عبارات ذلك الكاتب الجميلة والتي يقول فيها:

عندما استيقظت صباحـاً في أحد الأيـام حيث كنتُ حينها قلقـاً وخامـلاً قلت: يـالله، يـومٌ آخـر، وصبـاح آخــر، ومن ثم نـظرت أمــامي لأرى على منضدتي صحيفة قديمة، كان فيها موضوعان متناقضان وعجيبان.

الموضوع الأول: انتحار شخص، وكانت طـريقة انتحـاره غريبـة جداً، كان في معدته قرحـة، فأراد استخـراج معدتـه تلك التي كان يتـألم منها على مدى سنين طوال، فشقّ بطنه بسكين حادة وهو يقول لمعدتـه: أريد أن أعيش دقيقة واحدة بدونك! وبعد دقيقة واحدة فارق الحياة.

أما الموضوع الثاني والذي كان في الجهة المقابلة للموضوع الأول وهو مقالة لإحدى السيدات جاء فيها: الحمد لله في كل صبـاح، الحمد لله الـذي جعلني استفيق من نوم عميق، لأستقبل يوماً جـديداً بكـل نشاط، والحمـد له على نعمة العمر الذي حبانا إياها لنتمكن من استقبال الأيام المتتالية.

يقـول هذا الكـاتب: أطـرقت قليـلاً لأفكـر بمنبـع ومنشـأ انتحـار ذلـك الـرجل، ونشـاط تلك المـرأة، وخمـولي وكسلي، فلم أر منشـأ لـذلـك غيـر الوساوس الفكرية التي تحصل على أثر التعب الشديد، والنصب الزائد وعـدم إعطاء فرصة جيدة للعقل ليفكر بشكل أفضل.

٣ ـ سوء الظنّ

إن الأثر الأهم من تلك الأثرين السيئين، والـذي ينتج بسبب الـوسوسـة الفكـرية هـو: سوء الـظنّ، سوء الـظنّ بمن في البيت، وسوء الـظنّ بمن في المجتمع، ومن ثم سوء الظنّ بالله ـ والعيـاذ بالله ـ، وبـالرسـول، وبالكتـاب، وبالأئمة الأطهار، وعندها يكون الإنسان كافراً بسبب سوء ظنّه ذاك.

إن سوء الظنّ من الشيطان، والشيطان لا يقنع بالقليل، بالرغم من أنه يشرع من القليل حتى يصل بالبشر إلى الطبقة السابعة من جهنم، عندها يسخر منهم ويقول: ما الذي جاء بكم إلى هنا؟.

إنها الوسوسة الفكرية التي تجعل الإنسان يسيء الظنّ رويداً رويداً حتى يبلغ به الأمر إلى الظنّ سوءً بالعلي القدير وبرسله وكتبه والأئمة من أهل بيت نبيّه الأمين سلام الله عليهم.

أخطار سوء الظنّ

إن أحد أخطار سوء الظنّ هو تفسيق وتكفير الآخرين، فقد نرى شاباً متديناً، خيّراً، ثوريًا، يفسّق عالماً جليلاً بسبب سوء الظنّ، فحينما يظنّ ذلك الشاب سوءً بالعالم الجليل سيعتبره فاسقاً، ثم كافراً، وبعد ذلك يجيز لنفسه قتله، وهذا ليس بالوضع الاعتيادي، بل يمكن اعتباره وضعاً استثنائياً ينمّ عن جنون ناتج عن وساوس أدت إلى سوء الظنّ بالآخرين.

أما إذا أساء الرجل الظنّ ـ والعياذ بالله ـ بزوجته فسوف يحيك القصص والحكايات لأجل أن يُرضي نفسه الخاضعة للوساوس الفكرية.

فقد يسعل أحدهم في الشارع فيقول الرجل لزوجته في داره، إن ذلك الرجل يعنيك بسعاله ذاك، وأنا أعرف ذلك!! وهذا هو عين الجنون، أو قد يتأخر الرجل ساعةً في طابور الخبّاز فتظنّ زوجته بأن له زوجة أخرى ذهب إليها، وحينما يرجع تبدأ بالنواح والعويل! وهذا هو عين الجنون.

يقال إن رجلاً وامرأته ناما على سطح الدار، فرأى الرجل المجرّة المعروفة باسم «طريق الأسد» في قلب السماء باتجاه القبلة، وهو ما يعرف عنه بين الناس بطريق مكة، فسأل زوجته عن ذلك؟ فقالت إنه طريق مكّة، فإذا ما ضيّع الحجاج طريقهم إلى مكة استدلوا به عليها.

وما إن سمع الرجل ذلك الجواب من زوجته حتى انتفض قائماً وهو يقول: إنك أردت أن ننام هنا كي يستدل علينا الحجاج فيقتلونني وتتزوجين أحدهم؟.

قد لا تكون هذه الحكاية واقعية، ولكن شخصاً أخبرني بأخرى واقعية عجبتُ لها كثيراً.

يقول ذلك الرجل: جاء رجلٌ من الحامل للوساوس الفكرية مع زوجته الحاملة للوساوس العملية، فالتفت إلى المرأة وقلت لها: أيتها السيدة! إذا سمعتِ وأطعت كلامي لمدة ستة شهور، ستخرج تلك الوساوس من قلبك وإلى الأبد بعون الله تعالى.

وما إن انتهيت من عبارتي تلك حتى قام زوجها ممتعضاً تاركاً معالجته التي جاء من أجلها، وبعد مدة من الزمن قصيرة اتصل بي تلفونياً ليقول: لقد أدركت مغزى كلامك لزوجتي، إنك كنت تقول لها بالإشارة، اطلبي الطلاق من زوجك لأتزوجك، وبعد ستة أشهر ستشفين مما أنتِ فيه!!.

إن سوء ظنّ الرجل بزوجته، وسوء ظنّ الزوجة بزوجها يبعث على بروز الاتهامات بينهما، فترى الرجل على سبيل المثال يتهم زوجته بالسرقة حينما يفقد مبلغاً معيناً قد يكون استخدمه في شراء حوائج خاصة به.

من هنا يبدأ لينتهي بأن يسيء الظنّ بعفّتها، وقد تفعل هي ذلك أيضاً بدون حرج ولا حياء!:

﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ، إن السمعَ والبصَرَ والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (الإسراء/٣٦):

﴿وظننتم ظنّ السوء، وكنتم قوماً بُوراً﴾ (الفتح/١٢).

إن الأمة التي يظنّ أفرادها ببعضهم البعض هالكة لا محالة، فلا تسيئوا الظنّ بإخوانكم وأخواتكم واتقوا الله الذي يراكم من حيث لا ترونه.

إن إحدى مصائب ثورتنا الإسلامية هي سوء الظنّ المتفشي بين الأفراد الذين يدّعون الثورية، والذين يدّعون أنهم من حزب الله، والجدير بالذكر أن ظنّهم ذاك لا يطابق الواقع بنسبة ٩٩٪:

﴿قُتِلَ الخرّاصون، الذين هم في غمرةٍ ساهون﴾ (الذاريات/١٠، ١١).

قال أمير المؤمنين سلام الله تعالى عليه:

«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنّن بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءً وأنت تجد لها في الخير محملاً»(١٢١).

جاء في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف أمام الكعبة وقال:

«حرم الله دم المؤمن، وماله، وسوء الظنّ به»(١٢٢).

كانت إحدى النساء تُسيء الظنّ كثيراً بزوجها، فجاءها ذات يوم ليقول لها: وجدت عملاً إضافياً لمدة ساعتين في اليوم ـ عملاً إضافياً من أجلها ـ، يقول وبعد انتهاء عملي، حملت بعض الطعام اللذيذ الذي قدّم لي في مكان عملي إلى منزلي لأتناوله مع زوجتي وأطفالي ـ وكنت حينها متعباً جداً ـ.

طرقت الباب، وإذا بزوجتي تفتح لي وتقول بغضب شديد: اذهب إلى تلك التي قضيت معها أول الليل، فقلت لها: سمعاً وطاعة، فرجعت إلى الفندق الذي أعمل فيه عملاً إضافياً لأتناول عشائي وأبيت فيه إلى الصباح.

وفي اليوم التالي: ذهبت لاستئجار دارٍ بعد أو أوصيت هذا وذاك من أجل العثور على زوجةٍ جديدةٍ، ولم يمضِ يومان حتى وجدت من أضحت زوجة ثانية لي، لأبقى معها أسبوعاً واحداً.

رجعت إلى منزلي القديم لأقول لزوجتي الأولى: من الآن فصاعداً سأكون ليلة هنا وليلة عند الذي طردتِني إليها، وإذا لم يعجبك الأمر فسأمضي ليلتين هناك، وليلة هنا:

﴿إن الشياطين ليُوحون إلى أوليائِهم ليجادلوكم، وإنْ أطعتموهم إنّكم لمشركون﴾ (الأنعام/١٢١).

إذا أساء الرجل الظنّ بزوجته فقد اكتسب إثماً عظيماً، وإذا ما أثبت حاكم الشرع سوء ظنّ الرجل بزوجته، حقَّ له أن يضربه من ٢٥ ـ ٧٩ جلدة

---

(١٢١) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١٩٦.

(١٢٢) بحار الأنوار/ ج ٧٦، ص ٧١.

أو ضربة سوط، لأن ذلك الظنّ السيء بالزوجة يبعث على فساد المجتمع، وهو من الكبائر:

«إيّاكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا»(١٢٣).

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«الرجل السوء لا يظنّ بأحد خيراً لأنّه لا يراه إلّا بوصف نفسه»(١٢٤).

إن الذي يؤمن بالله تباركت أسماؤه، لا ينبغي أن يظنّ بالآخرين سوء، ولا يتجسس عليهم، ولا يتحسس منهم، فقد يتجسس فرد على جارٍ له فتصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

وعلى سبيل المثال: لو رأت امرأة شابًّا دخل إلى البيت المجاور عليها أن تظنّ خيراً وتقول إن ذلك الشاب هو أحد أرحام جارتنا فلانة، هذا إذا كانت مسلمة، أما إذا تجسست وأخبرت هذا وذاك وجمعت الناس على دار جارتها قد يفهم زوج تلك السيدة خطأً بأن زوجته أساءت إلى دينها وعفتها، فيطلقها، ويحرم أبنائها من المعيل وما إلى ذلك من البلايا التي تصدر عن التجسس على الآخرين.

إن البعض من الذين يدّعون التدين والقدسية يتجسسون على هذا وذاك فيذهبون بماء وجوه الآخرين نتيجة سوء ظنّهم وتطفّلهم مما يبعث على حدوث طلاق، أو نزاع، أو خصام.

وإذا ما سألت صاحبنا ذلك الذي تجسس على الآخرين لأجابك بأنه من حزب الله، وكان لا بُدّ له من أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

أيها السيد! إنك ليس من حزب الله، إنك من حزب الشيطان، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم بالتجسس على الآخرين، فلا بأس

---

(١٢٣) سنن أبي داود/ خ ٤٩١٧.

(١٢٤) غرر الحكم.

بك أن تتعلم دينك أولاً، لتمارس بعد ذلك كيفية الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿إنّ الظنّ لا يُغني من الحق شيئاً﴾ (النجم/٢٨).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تتبعوا عثرات المسلمين فـإنه من تتبـع عثرات المسلمين، تتبـع الله عثرته، ومن تتبّع الله عثرته يفضحه»[١٢٥].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إنّي لم أؤمَر أن أنقّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم»[١٢٦].

* * *

(١٢٥) الكافي/ ج ٢، ص ٣٥٥.

(١٢٦) كنز العمال/ خ ٣١٥٩٧.

الفصل الثاني عشر

الوسوسة العملية

الوسوسة العملية

قد تحدّثنا سابقاً وقلنا إن الـوسوسـة تنقسم إلى قسمين الأول: فكري، والثـاني: عملي، ولقـد بحثنـا في المـوضـوع الأول وبقي لنـا أن نبحث في الثاني.

فالوسوسة العملية: هي تلك التي يكون فيها الإنسان ظاناً في طهارته أو في وضـوئه، أو غسله، أو عبادتـه بشكل غـريب، وغيـر طبيعي، فتـراه مثـلاً يتوضأ أربعة مرات أو خمسة، وبعدهـا تحدثـه نفسه بـأن وضوءه بـاطل، وقـد تكون بعض قطرات الماء نجسة، وما شابه ذلك من الوسواس.

إن الوسوسة العملية إذا ظهرت في المؤسسة الأسرية هدّتها من الأساس وتركتها خاوية، فمن أين تأتي هذه الوسوسة؟.

سبق أن ذكـرنا بـأن الشيـطان إذا تسلط على عقـل الإنسـان جعـل منـه منافقاً، غشاشاً، محتالاً، وفي مجال السياسة كذاباً ومتلاعباً.

وإذا ما تسلط الشيطان على القلب وجعل منه تبعاً له، أضحى صـاحب ذلك القلب من عبّاد المال، وعبّاد الشهرة.

وقـد يتسلط الشيطان على قـوة الإنسان التخيليـة فيـوسـوس لـه فكـريـاً وعملياً، ليرى أشياء لا حقيقة لها ولا واقع، وكذلك يسمع أصواتاً خفية يـظنها في يقينه بأنهـا حق يجب أن يعمل بـه، بينما لا تكـون غير وسـاوس شيطانيـة متدنيّة.

فـالجبـان ـ على سبيـل المثـال ـ إذا كـان الشيـطان متسلطاً على قــواه التخيلية يرى الجن أو الملائكة إذا قضى ليلة في إحدى الخرائب، بل ويسمع

أحاديثهم في الوقت الذي لا يوجد هكذا شيء بالمرة.

أو قد يدخل أحد الجبناء من الذين تسلّط الشيطان على قواه التخيلية إلى مقبرة، فيرى الموتى أحياءً عندما لا يكون أحد إلى جانبه، بل قد يرى أحدهم يجري خلفه ويمسك به فيغشى عليه.

فلو فرضنا أنه لا يوجد جنّي في تلك الخِربة، ولم يخرج ميت من قبره ليمسك به فمن كان ذلك الذي يصدر الأصوات والأفعال؟ إنها قوة الخيال المؤثرة على بصره وسمعه، وقواه اللامسة والتي جلبت إليه ذلك البلاء المهيب.

أما بالنسبة للوسوسة العملية فترى على سبيل المثال شخصاً يشعر بترشح الماء من آلته بعدما غسلها بالماء مرات عديدة بالرغم من أنها لم تكن كذلك ولكن الوسواس الذي في قلبه المتسلط عليه الشيطان يخبره بأنه ما زال نجساً وعليه أن يتطهر مرة ثانية وثالثة ورابعة.

وخلاصة القول إن الأشياء التي يرى فيها ضرراً عليه يقطعها فوراً، على العكس من تلك التي يرى فيها نفعاً له، فهو لا يطمئن لها، ولا يتأتى له أن يقطع فيها، ففي مسائل الطهارة لا يستطيع أن يصدق طهارته إلّا بعد تطهيرٍ كثير وكذا في مسائل النجاسة.

إن مثل هؤلاء أفراد لا يمكن القول فيهم إلا أنهم مرضى، ومرضهم روحي، فإذا ترك أحدهم الاهتمام بمعالجة هذا المرض تفاقم عليه ليصبح كالسرطان المتفشي في جميع أنحاء الجسم، وعندها يكون إنساناً غير طبيعي في المجتمع.

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هلكت، فقال له(ص): أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: أي والذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله

عليه وآله: ذاك والله مَحضُ الإيمان»(١٢٧).

ومحض الإيمان يعني بها زواله وانمياثه من القلب حين يعرض الشيطان فيوسوس للقلب.

إن الذي يجب أن نفطن إليه هو أن الشيطان اللعين مستعد لحرفنا عن الطريق القويم إلى الطريق المعوّج، فيأتي لهذا عن طريق المعصية، ويوقع بذاك عن طريق الكسب الحرام، ويشجع آخر على التوغل في الشهوات، ويقول لآخر بأن السلطة جميلة وتليق بك وحدك، وكذا يوسوس للناس حينما يشخّص ضعفهم حتى يسيرون على نهجه المنحرف فيتنكرون للعفّةِ والشرف والأمور الطبيعية.

يقال إن شخصاً رأى الشيطان في منامه، وكان في يده حبال كثيرة فسأله عن سبب حملهِ لتلك الحبال؟ فقال إنها لجرّ الإنسان إلى جهنم الحامية، ثم سأله ثانية، وما هذه السلاسل التي تحملها على كتفك؟ فقال: إنها للسيد الرضي، ولقد ذهبت إليه الليلة فقيدته بها ثلاث كرات ولكنه قطعها في المرات الثلاث.

ثم سأله عن حبالٍ ملوّنة كان يحملها؟ فقال الشيطان: إن لكل فرد طريقة أتقدم بها إليه، وهذه الألوان هي الطرق والمناهج التي يمكن أن ينحرف بها البشر عن الصراط المستقيم، فأحدها الغيبة، والثاني هو التهمة، والثالث: الشايعة، والرابع هو الوسواس الذي أقيد به الذي يريد التطهر، أو الوضوء، أو العبادة والخامس..

﴿فبما أغويتني لأقعدَنَّ لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينَّهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف/١٦ و ١٧).

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«احذروا عدوّاً نفذَ في الصدور خفياً، ونفث في الآذان نجيًا»(١٢٨).

---

(١٢٧) أصول الكافي/ ج ٤، ص ١٥٦.

(١٢٨) غرر الحكم.

وقال سلام الله عليه أيضاً:

«الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحبّ الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان»[١٢٩].

إن الشيطان قد يوسوس للمرأة المتساهلة والمتهاونة في أمور دينها، فيشجعها على التبرّج، والسفور، ليصل بها في نهاية الأمر إلى التنكر للعفّة والشرف، ويأتي الرجل فيوسوس له لكي يقيّد الاثنين بحبائله فيجرّهما إلى جهنم وبئس المصير:

﴿لأتخذَنَّ من عبادك نصيباً مفروضاً، ولأضلَّنَّهم ولامنيَّهُم ولآمرنهم فليُبَتِكُنَّ آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيِّرُنَّ خلقَ الله﴾ (النساء/١١٨، ١١٩).

وقال العزيز الحكيم أيضاً بصدد تولّي الإنسان للشيطان:

﴿ومن يتخذ الشيطانَ وليًّا من دون الله فقد خسِرَ خسراناً مبيناً﴾ (النساء/ ١١٩).

ويقول أيضاً تباركت أسماؤه في مكان آخر بعد أن قال الشيطان سأغوينَّهم جميعاً:

﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك، واجلِبْ عليهم بخيلِكَ ورجلِك، وشاركهُم في الأموال والأولاد وعدِهم وما يعدُهُم الشيطان إلاَّ غروراً﴾ (الإسراء/٦٤).

قد يكون المغرر به جاهلاً، وضعيفاً فكرياً فيسلط الشيطان الرجيم له أحد رجاله الجهلاء ليجرّه إلى جهنم بخيط وليس بحبل، وقد يكون المغرر به عاملاً فيقيّض له شيطاناً عالماً يأتيه بالاستدلالات لكي يحلل لنفسه استطعام الحرام.

وقد يسول الشيطان لأحدهم الغش، أو التطفيف في الميزان، أو الرشوة إذا كان ذا مقامٍ إداري، وقد يأتي لأحدهم عن طريق العلم، والرغبة في التسلط، وحبّ المال والجاه وما إلى ذلك.

---

(١٢٩) بحار الأنوار/ ج ٧٣، ص ١٤٠.

وخلاصة القول: إن لكل إنسان طريق يأتيه الشيطان منه وهذا ما ذكره المرحوم الشيخ غلام رضا يزدي حينما قال على منبره عبارة جميلة بهذا الصدد.

قال: إن لكل شخص شيطاناً، وشيطاني حتماً سيكون أحد شيوخ الشياطين، لكي يتمكن من الاستدلال بإغوائه لإقناعي وجرّي إلى الهلكة: «اجلب عليهم بخيلك ورجلك».

ومن أجل أن يدفع البشر شياطينهم، عليهم أن يلتزموا دائماً بقراءة سورة الفلق، واسعوا لأن تعلّموا أبناءكم قراءة السور الأربعة التي تبدأ بكلمة «قل» وحثّوهم على قراءتها حينما يخرجون من الدار صباحاً كي يتمكنوا من حفظ أنفسهم وأرواحهم من همزات الشياطين المردة:

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ أي التجىء إلى الذي أزاح الظلام عن الصبح، أو ربّ كل ما ينفلق عنه، كالمطر والنبات والعيون والأولاد ﴿من شرّ ما خلق﴾ من شرّ ذي نفسٍ وغيره جسماً كان أو عرضاً ﴿ومن شرّ غاسق إذا وقب﴾ أي من شر الليل الحالك أو الشديد الظلمة إذا دخل ظلامه، وتخصيصه بهجوم البلاء فيه غالباً. ﴿ومن شرّ النفاثات في العقد﴾ النساء أو النفوس السواحر اللواتي ينفثن ـ ينفخن ـ بريق أو بدونه في العقد التي تصنع من الخيوط المرقاة، وعُرفت دون غاسق وحاسد لأن كلّ نفاثة شريرة بخلافهما. ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ (أي الذي يُظهر حسده، وفعل ما يحمله عليه، وتخصيص الثلاثة بعدما يعمها، وهو ﴿ما خلق﴾ لشدة شرّها.

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

﴿قل أعوذ بربّ الناس ملك الناس إله الناس﴾.

خصّوا بالذكر تشريفاً لهم، وملك الناس، إله الناس عطف بيان إذ ليس كل رب ملكاً، وليس كل ملك رباً أو إلهاً، وهذه الثلاثة تؤذن بكمال قدرته على الإعادة وتكرير الناس لزيادة التشريف والبيان ﴿من شر الوسواس﴾ اسم بمعنى الوسوسة، أريد به الشيطان سُمِّيَ بفعله مبالغة ﴿الخناس﴾ لأنه يخنس

أي يتأخر إذا ذكر العبد ربه. **﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾** يوسوس عندما يجدهم غافلين عن ذكر رب السموات والأرضين **﴿من الجنة والناس﴾** بيان للوسواس، أي الشيطان أو للذي يوسوس من الإنس، لأن الوسواس قد يكون جنيًا وقد يكون إنسياً، اللهم اكفنا شر الجنّ والإنس، واغفر لنا، ما تعمدنا، وأخطأنا، ونسينا، وسهونا، واعف عنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال إبليس:

«خمسة ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة، واتكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حتى تصيبه، ومن رضيَ بما قسَّم الله له، ولم يهتم لرزقه»(١٣٠).

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام بعد أن قال له جميل بن درّاج: إنه يقع في قلبه أمرٌ عظيم فقال «ع»: **«قل لا إله إلا الله، فقال جميل: كلّما وقع في قلبي شيء قلت لا إله إلا الله فيذهب عنّي»**(١٣١).

وجاء في تفسير الميزان: **«إن المراد من اتّباع خطوات الشيطان ليس اتّباعه في جميع ما يدعو إليه من الباطل بل اتّباعه فيما يدعو الله من أمر الدين بأن يزيّن شيئاً من طرق الباطل بزينة الحقّ ويسمي ما ليس من الدين باسم الدين فيأخذ الإنسان به من غير علم»**(١٣٢).

إن التعامل مع الأفراد الذين يشعرون بإلقاءات الشياطين في نفوسهم ينبغي أن يكون دقيقاً، وحذراً، كالتعامل مع أيّ مريض، كون المبتلي بالوسواس لا يعدو أن يكون مريضاً وإلاّ ما صدرت عنه تلك الأفكار والأفعال التي لا ترتبط بالواقع المعاش.

---

(١٣٠) بحار الأنوار/ ج ٦٩ ص ٣٧٨.

(١٣١) أصول الكافي/ ج ٤، ص ١٥٥.

(١٣٢) الميزان/ ج ٢، ص ١٠١.

فالغضب، والانتقاد، والشدّة في الحديث يزيد في مرض الفرد الوسواسي، وعندها يضحى مجنوناً، لذا ينبغي أن نجامله ونسايره مدة من الزمن كيّ تخف وطأة المرض عليه فيتعافى بإذن من الله تباركت أسماؤه.

اللهم إنا نسألك وندعوك بحق بنت رسول الله(ص)الزهراء البتول سلامك عليها أن تجعل الشفاء من نصيب مرضى المسلمين وخصوصاً أولئك المبتلين بالوساوس والخيالات إنك أرحم الراحمين وصلّي اللهم على محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الفهرس

الفصل الثاني(١)

الفصل الثاني(٢)

الفصل الثالث(١)

الفصل الثالث(٢)

الفصل الثالث(٣)

الفصل الرابع(١)

الفصل الرابع(٢)

فوائد الزواج

الفصل الرابع(٣)

الفصل الخامس(١)

الفصل الخامس(٢)

الفصل الخامس(٣)

الفصل السادس(١)

الفصل السادس(٢)

الفصل السابع(١)

الفصل السابع(٢)

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر(١)

الفصل العاشر(٢)

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر